أئمة الهدى

ومصابيح الدجى

تأليف

الشيخ محمد حسان

أبو عبد الرحمن عوض الجزار

الناشر

دار ابن رجب للنشر والتوزيع

فارسكور: ٠٥٧/٤٤١٥٥٠. المنصورة ت: ٠٥٠/٣١٢٠٦٨.

النَّاشِرُ

دَارُ ابْنِ رَجَبٍ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

فارسكور ت: ٠٥٠/٤٤١٥٥٠٠٥٧. المنصورة ت: ٠٥٠/٢١٢٠٦٨

دَارُ أَصْدَاءِ الْمُجْتَمَعِ

المملكة العربية السعودية - القصيم

بريدة - هاتف وفاكس: ٠٦٣٢٣٢٥٩

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة فضيلة الشيخ / محمد صفوت نور الدين
الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر

الحمد لله الهادى للصواب سبحانه والصلاة والسلام على إمام المهتدين والداعى إلى الطريق القويم على صراط مستقيم وبعد :

اقتضت حكمة الله البالغة أن يجعل الرسالة الخاتمة باقية فقيَّض الله سبحانه لها عوامل البقاء والحفظ إلى أن تقوم الساعة ،وإن فهم ومعرفة حال الصحابة أحد أهم هذه العوامل،لذا فإن الله سبحانه هيأ للمسلمين أن يجعل إجلال الصحابة جزءاً لا يتجزأ من عقيدتهم ـ عقيدة أهل السنة والجماعة .

فقيض الله الحاسدين والضالين،فطعنوا فى الصحابة فى الأيام الباكرة فانبرى أهل السنة لبيان فضلهم وإظهار ميزاتهم فأصبحت على لسان كل مسلم،وسطر أهل السنة فى عقيدتهم مسألة الخلافة،وأن أحق الناس بها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على،وضللوا كل من خالف ذلك .

وعرفوا الفضل للصحابة وتفاضلهم فيما بينهم وأحبوهم وأحبوا أهل بيت النبى ﷺ وهم أزواجه وآل على وآل جعفر وآل عقيل وآل عباس (وكل من حرمت عليه الصدقة)،وذكروا محاسن الأصحاب وكفوا عن

مساوئهم - وسكتو عما شجر بينهم لعلمهم أن الجميع مجتهد فمصيبهم له أجران ومخطئهم له أجر الاجتهاد وخطؤه مغفور ،وأن الله أوجد ذلك بقدره لنتعلم من سلوكهم كيف نسلك عند وقوع الفتن فكانت أقوال أئمة الهدى عنهم نوراً لمن بعدهم يستضيئون به،فالصحابة كانوا قبل الإسلام فى جاهلية ، فلما أسلموا صاروا طلبة علم ثم كانوا بعد النبى ﷺ هم أئمة الهدى والعلماء ولم يتيسر لجيل بعدهم ما تيسر لهم

فالله تبارك وتعالى هيأ لهم أدوات الطلب فكانت معهم بمجرد لقائهم للنبى ﷺ .

وأدوات طلب العلم ثلاثة من جمعها جاز له أن يطلب العلم ،ومن لم يجمعها فهو من العوام يمكنه أن يتعلم على سبيل النجاة ولا يصدق عليه اسم طالب العلم .

أدوات الطلب :

أولاً : أن يتوفر له علوم العربية ما يكفيه لفهم النصوص قرآنا وسنة

ثانياً : أن يمكنه التعرف على المقبول من المردود من السنة .

ثالثاً : أن يعرف من القرآن أحكام تلاوته ومـا يتعلق بالنص القرآنى أداءً وفهماً .

والصحابة رضوان الله عليهم كانوا عربا أهل اللغة وأربابها لهم فيها السبق والباع الطويل،وكانوا مع النبى ﷺ فكل ما يسمعونه مقبولاً ليس

فيه مردود ، بل كله يقينى الثبوت ليس فيه راجح ومرجوح ،وقد تلقوا القرآن من النبى ﷺ فأتقنوا أحكام التلاوة وما يتعلق بها - أما غير الصحاب فيبذلون السنين والأعمار لتحصيل الأدوات ، ثم يقصر عنهم باعهم عن إدراك الصحابة فى بداية أمرهم بالإسلام ، فسبحان من قيض لذلك الدين وأهله ما كان سببا لحفظه .

فلا يظن أحد أن كل من حمل معه كتاباً أو قلماً صار للعلم طالباً ، لابد أن يجمع أولاً أدوات الطلب ،وينبغى أن نفرق بين طالب العلم وبين المتعلم على سبيل النجاة ، فطالب العلم منزلته رفيعة نسب كثير من الأئمة والعلماء أنفسهم لها تشريفاً ورفعة،وأما التعلم على سبيل النجاة فهو الواجب على كل مسلم لينجى عمله من الرد والبطلان وينجى نفسه من النار .

الأمر الثانى : أن الصحابة صاروا بانتقالهم من الجاهلية إلى الإسلام ،ومن الكفر إلى الإيمان وبصحبتهم لرسول الله ﷺ صاروا من بعده أئمة الهدى وعلماء الأمة الذين يقتدى بهم ولا يتيسر ذلك لغيرهم بمثل ما تيسر لهم ، وبيان ذلك فى أربعة أمور :

الأول : الصحابة كانوا فى الجاهلية أهل فصاحة وبلاغة جعلتهم لما سمعوا القرآن الكريم أدركوا معانيه ،وعرفوا وفقهوا فيه ، لأن الفصاحة والبلاغة كانت لهم جبلة .

الثانى : أن الصحابة عاشوا الجاهلية ثم انتقلوا إلى الإسلام فلم

ينخدعوا بالجاهلية بعد لأنهم عرفوا الشر الذى بعث الله رسوله لهدمه، فعرفوا حكم الجاهلية وحمية الجاهلية ،وظن الجاهلية وتبرج الجاهلية وربا الجاهلية وكل أمر الجاهلية الذى وضعه رسول الله ﷺ تحت قدميه فى خطبته فى حجة الوداع ، لذا فإنه ينسب إلى عمر رضى الله عنه قوله (تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ فى الإسلام من لا يعرف الجاهلية) .

الثالث : أن الصحابة رأوا رسول الله ﷺ وعاينوا التنزيل ـ أى رأوه يقضى فى المسائل ويقضى فى الأقضيات، ورأوه يعمل بنصوص الإسلام فرأو النبى ﷺ متوضأ، ورأوه مصلياً، ورأوه متصدقاً ومزكياً ورأوه حاجاً وصائماً رأوه فى داخل بيته أباً، وزوجاته شاهدنه زوجاً معاشراً فى خلوته وجلوته . رأوه فى غسله وغائطه، رأوه فى حيائه وخلقه، رأوه فى طعامه وشرابه، رأوه مجاهداً وداعياً وخطيباً وواعظاً ، رأوه على كل حال ،وعاينوا أسباب النزول فكانوا أقدر الناس على نقل الأحكام إلى المسائل وتقريب الأفهام الشرعية لمن بعدهم ،وهذا مالم يقصر الصحابة فى بيانه، بل ضحوا وبذلوا الجهد الكبير فيه .

الأمرالرابع :أن الصحابة قدر الله لهم أن بقوا معاً فى المدينة أعواماً تزيد على ثلاثة عشر عاماً قبل أن يؤذن لهم فى الهجرة إلى بلاد المسلمين المفتوحة فمنع عمر خروجهم، ثم لما استأذنوا عثمان أذن لهم ،

فكانوا لا يخرجون فى زمان عمر إلا بإذنه ،ولعمل محدد بعينه ، ثم يعودون فجالس وعايش الأصحاب بعضهم بعضا يرى كل منهم من الآخر ويسمع فينقلون العلم ،وينقلون الفهم ويتوارثون العمل ، وإذا وقع أمر أرادوا فيه القضاء تشاوروا حتى صاروا أوعية مملوءة علماً وحكمة وقيض الله عثمان فأذن لهم بعد أن نضجوا فانتقلوا فى الأمصار ، فانتشر بهم العلم فى سائر البلاد .

ولو أنهم انتقلوا قبل النضج ما نشروا ذلك العلم كله،ولو أنهم حبسوا أكثر من ذلك لمات العلم مع موتهم،فسبحان الحكيم العليم ، جعل الصحابة من أهم دعامات ذلك الدين .

الأمر الثالث :

أن الصحابة صاروا عصمة للأمة وهداية لها ، فجعل هذا الجيل خير القرون ليكونوا مرجع الأمة فى هذا الدين علماً وفهماً وعملاً،وبيان ذلك فيما أخرجه مسلم فى صحيحه أن النبى ﷺ قال :« **النجوم أمنة للسماء ، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد،وأنا أمنة لأصحابى ، فإذا ذهبت أتى أصحابى ما يوعدون ،وأصحابى أمنة لأمتى ، فإذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما يوعدون** » .

فالله جعل الصحابة عصمة للأمة من الفتنة ،وإنما وقع ذلك بعوامل قدرها لهم الله بحكمته حماية للأمة من الفتن،منها الحافظة القوية

ووحدة التلقى ووحدة المرجعية ، والتلقى للعمل، وإنهم رضوان الله عليهم كانوا عدولاً صادقين أمناء فى النقل .

ونصوص تعديل الصحابة تملأ كتب السنة والتفسير والأصول ، ودين الله كامل تام ، ومن كماله وتمامه ما كان من شأن الصحابة الكرام من عدالة وحفظ وامتثال لذلك الدين .

أخا الإسلام : إن من أَجَلِّ القربات معرفة منزلة الصحابة وحبهم والسير على منهجهم ، فهم المؤمنون الذين عناهم رب العزة سبحانه وتعالى فى قوله : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾

[النساء : ١١٥]

هذا ولقد سارت أجيال من أبناء الصحابة وجمع كبير من المسلمين على نهج الصحابة الكرام يتلمسون سبلهم ويهتدون بهديهم ، فانبرى أهل العلم للحديث عنهم وبيان مواقفهم ، فكان منهم الحكام العادلون من أمثال عمر بن عبد العزيز وغيره ممن أضاءوا الدنيا بعدلهم وحلمهم

ومنهم القضاة الفاهمون من أمثال شريح القاضى وغيره ممن يضرب بهم المثل فى دقة القضاء وحسن الفهم للخصومات ، ومنهم المجاهدون الذين بذلوا أرواحهم وقادوا الجيوش وخاضوا غمار الحروب، وهؤلاء من الكثرة بحيث لا يستوعبهم ديوان جامع، ومنهم العلماء والفقهاء

كالفقهاء الأربعة، وأئمة الحديث بين أصحاب كتب السنة وغيرهم .

هذا وإن التعرف على حياة هؤلاء ومآثرهم بالتحقيق والتدقيق من المقاصد الهامة لتربية جيل مسلم صحيح .

أخى القارئ :

وهذا جهد طيب قام به الأخوين الكريمين: الشيخ محمد حسان، والشيخ عوض الجزار إسهاماً فى تعريف المسلم المعاصر بأعلام من أعلام الدعوة من الصحابة والتابعين، فنسأل الله لهم المثوبة للقارىء الفهم والاستيعاب .

والله الموفق والهادى للصواب

وكتبه
محمد صفوت نور الدين.



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هاديَ له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له . . هو الواحد الذى لا ضد له ، وهو الصمد الذى لا منازع له . . وهو الغنى الذى لا حاجة له . . . وهو القوى الذى لايعجزه شئ فى الأرض ولا فى السماء . . وهوجبار السموات والأرض ؛ لا راد لحكمه ولا معقب لأمره.

هو الأول فلاشىء قبله، وهو الآخر فلا شىء بعده . . وهو الظاهر فلاشىء فوقه . . . وهو الباطن فلا شىء دونه، وهو على كل شىء قدير.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله . . وصفيه من خلقه وخليله أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة وكشف الله به الغُمَّة، وعَبَدَ ربه حتى لبى داعيه، وجاهد فى سبيله حتى أجاب مناديه، وعاش طوال أيامه ولياليه . . يمشى على شوك الأسى ويخطو على جمر الكيد والعنت، يلتمس الطريق لهداية الضالين وإرشاد الحائرين . . حتى علَّم

الجاهل .. وقوَّم المعوج، وأمَّن الخائف .. وطمأن القلق .. ونشر أضواء الحق والخير والإيمان والتوحيد كما تنشر الشمس ضياءها فى رابعة النهار ، فاللهم اجزه عنا خير ماجزيت نبيا عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته.

اللهم صلى وسلم وزد وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين وبعد:

بين يديك أخى القارىء الكريم كتاب « **أئمة الهدى ومصابيح الدجى** » - يسَّر الله إتمامه - الذى ستتجول فيه مع باقة عطرة من صحابة المصطفى ﷺ وبعض سلفنا الصالح من العلماء الأعلام الذين أضاءوا الدنيا بنور التوحيد.

إن هذا الكتاب الذى بين يديك رحلة فى حديقة الإسلام نطوف بين رياضها العطرة الذى يفوح أريجها معطراً بشذا الجنان الفيحاء.

ننتقل فى هذه الحديقة الغناء التى حوت من الأزهار أجملها ومن الرياحين أطيبها ومن المياه أعذبها لنتعرف على رجال تربوا على مائدة القرآن وكان معلمهم إمام الأنبياء وخير الأنام محمد ﷺ.

وإننا أخى الكريم لانزعم أننا بهذا السفر نَسُدُّ نقصاً فى المكتبة الإسلامية أو نُجلِّى أمراً لم يبينه من سبقنا ولكننا أردنا أن نقدم للبشرية

عامة ولشباب الإسلام خاصة سيرة سهلة يسيرة بأسلوب يجمع بين الأصالة والعذوبة نعتمد فيها على ماصح من الأخبار والآثار ونبتعد فيها عن السقيم منها والشاذ .

إن هذا الكتاب محاولة لإبراز همم هؤلاء الرجال العالية فى الدعوة والجهاد والعلم والفهم والصبر والزهد والتواضع والورع .. إلى آخر هذه المثاليات التى لن تجد لها فى تاريخ العالمين نظير.

إن دراسة التاريخ الإسلامى ـ وبالأخص السيرة النبوية ، وتاريخ الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين والعلماء والمجاهدين والقادة من سلفنا الصالح ـ إذا أُحسن عرضها وأُبرزت خصائصها، وبطولات رجالها الذين كانوا رعاة للغنم، فجعلهم الإسلام سادة وقادة للأمم ، فإنه حتماً ينمى فى شباب الإسلام ويبعث فيهم روح الولاء لله ورسوله، ويدفع هممهم إلى معالى الأمور، ويكشف عن طاقاتهم المذخورة ويستثمرها حتى ننهض بهذه الأمة المكلومة التى بعدت كثيراً كثيراً .

أخى القارئ الكريم :

إن دراسة سير الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين والعلماء العاملين من الأهمية بمكان، خاصة إذا اعتمدت على منهج المحدثين فى نقد الروايات والأخبار.

إنك ـ أخى الكريم ـ إذا ما وقفت على كتب التاريخ والسير بدراسة

واعية متأنية تشعر بضخامة الانحراف والخطأ الذى وقع فيه كثير من المؤرخين - قدامى ومعاصرين - فالقدامى جمعوا الآثار والأخبار صحيحها وسقيمها ودَوَّنُوها فى كتبهم، ومنهم ذو ميول وأهواء ، ومنهم ثقات وعدول ولكنهم فى هذا الطور كما قال يحيى بن معين: « إذا كتبت فقمش ، وإذا حدثت ففتش»

أما المعاصرون فحدث ولا حرج فقلما تجد من يلتزم التحقيق العلمى المعتمد على المقاييس الشرعية .

لذلك فأن التاريخ الإسلامى اعتراه كثير من التشويه والدس والنسيان، ولم يجد من يحيمه ويصونه مثل الحديث النبوى الذى نشأت له علوم لا تدرك نهايتها الكتب والأقلام .

كما أنك تجد أن السيرة النبوية - ولله الحمد والمنة - قد لقيت عناية فائقة فى التدوين والتأليف، وفى النقد والتحقيق على يد علماء الحديث بينما لم يجد التاريخ علوماً تساهم فى حفظه على وجه التمام والكمال، ولا جهوداً تميز غثه من سمينه، وخبيثه من طيبه، وأصيله من دخيله، وصحيحه من ضعيفه.

أيها القارئ الكريم :

إننا بهذا الكتاب وهو محاولة متواضعة - بتوفيق الله وعونه ومدده - أحببنا بها أن يتعرف شباب الإسلام على رجال سموا بالإسلام فى

عقيدتهم وأخلاقهم . . فى أحوالهم ومعاملاتهم.

ونحن ـ والذى رفع السماء ـ لفى مسيس الحاجة ـ فى هذه الأزمان ـ لقراءة سير السلف الصالح فما أحوجنا إلى القدوة الحسنة ،ولذا فنحن نهيب بإخواننا الآباء والمربين أن يقرءوا على أبنائهم وطلابهم سير السلف الصالح من الصحابة والتابعين والعلماء العاملين .

فلاشك أن إبراز تاريخ هذه الأجيال والتركيز على ما قاموا به فى تحملهم أمانة الدعوة إلى الله،وما أصابهم فى سبيلها من الأذى والعنت يكون له أعظم الأثر فى أن نعرف لهم قدرهم وفضلهم ونحبب أبناءنا فى التأسى بهم والاعتزاز بالانتساب إليهم ليرتبط حاضر الأمة بماضيها العريق ذى التاريخ المشرق المنير فى الدعوة ونشر العلم والتوحيد،وقيادة البشرية قيادة راشدة إلى مراقى الفلاح.

أيها القارئ الكريم :

إن بقيت لنا كلمة فى هذه المقدمة فإننا نهيب بعلمائنا المحققين ومشايخنا المتخصصين المهتمين بتحقيق الإسناد والمشتغلين بعلوم الحديث أن يقوموا بتخريج الآثار والأخبار فى كتب التاريخ الإسلامى خاصة تاريخ الخلفاء والصحابة لأنه قد شارك فى تدوين أخبار التاريخ الإسلامى ورواياتها مجموعة من الرواة والأخباريين والمؤرخيين والضعفاء والمتهمين والمطعون فى عدالتهم من أتباع الفرق الضالة كالشيعة

والخوارج والزنادقة.

كما امتهن التأريخ صنف من القُصَّاص والوُضَّاع ووجدوا فيه السبيل إلى غايتهم والطريق إلى مرامهم وجعلوه سفينة النجاة وسُلَّم المرقاة عند السلاطين والحكام إلا من رحم الله رب العالمين .

ذلك أن الأخباريين قد دأبوا على نقل أخبار الماضين بإخبار المخبرين ونقل الناقلين وأدوا ذلك كله إلينا نحو ما أدى إليهم متأثرين بطرف مما جرى عليه المحدثون فأسندوا الآثار والأخبار التى وصلتهم إلى رواتها وألقوا بالعهدة عليهم ،وهذا ما فعله الإمام الطبرى ـ رحمه الله ـ فى كتابه الفذ تاريخ الرسل والملوك كما سيأتى .

لذا نجدد الدعوة إلى علمائنا بالذود عن التاريخ الإسلامى لأنه ليفت فى الأعضاد أن ترى من يمضغ التاريخ أهون المضغ ،ويلوك أعراض المسلمين لوكاً عظيماً ذلك بقول قرأه أو سمعه هنا أو هناك .

وإن من أكثر الكتب التى يعزو إليها المصنفون،كتابى الطبقات الكبرى لابن سعد،وتاريخ الرسل والملوك والأمم لابن جرير الطبرى ،وهما كتابان عظيمان ولكنهما لم ينالا حظاً فى التخريج والدراسة .

أما الكتاب الأول فقد أثنى عليه وعلى مؤلفه العلماء فقد أجاد فيه ابن سعد وأحسن .

قال ابن حجر : وابن سعد أحد الحفاظ الكبار الثقات.

وقال الذهبى فى ترجمة ابن سعد : كان من أوعية العلم ومن نظر فى طبقاته خضع لعلمه أ . هـ[١]

إلا أنه رحمه الله قد أكثر جداً الرواية عن شيخه الواقدى مما جعل ابن النديم يقول فى الفهرست : أن ابن سعد ألف كتبه من مصنفات الواقدى .

وهذا الواقدى قد تكلم فيه علماء الجرح والتعديل .

فقال البخارى: سكتوا عنه، تركه أحمد وابن نُمير، وقال مسلم : متروك الحديث، وقال النسائى ليس بثقة، وقال الذهبى : لا شئ للواقدى فى الكتب الستة إلا حديث واحد عند ابن ماجة حدثنا ابن أبى شيبة حدثنا شيخ لنا. فما جسر ابن ماجة أن يفصح به وما ذاك إلا لوهن الواقدى عند العلماء .

ثم قال الذهبى فى ختام ترجمة الواقدى : وقد تقرر أن الواقدى ضعيف يحتاج إليه فى الغزوات والتاريخ ونورد آثاره من غير احتجاج أما فى الفرائض فلا ينبغى أن يذكر فهذه الكتب الستة ومسند أحمد وعامة من جَمَعَ فى الأحكام تراهم يترخصون فى إخراج أحاديث أُناس ضعفاء ومتروكين ومع هذا لا يخرجون لمحمد بن عمر الواقدى شيئاً .

ثم قال رحمه الله: انعقد الإجماع اليوم على أنه ليس بحجة وأن

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٦٥) .

حديثه فى عداد الواهى . ا هـ[1] .

هذا ولا شك أن عالماً نحريراً وحبراً نجيداً كابن سعد أعلم بشيخه وروايته ، فهو ينتقى منها ويختار ، إلا أن الأمر لا يسلم بعد مما انتقد عليه .

والناظر فى الطبقات يجد أن معظم الأسانيد المروية خاصة فى تاريخ الخلفاء والصحابة جاء من طريق محمد بن عمر الواقدى شيخ ابن سعد .وبعد هذا تجد كثيراً من المصنفين المعاصرين أو القائمين بالتحقيق ـ زعماً ـ تجدهم يزينون هوامش الكتب بجملة «رواه ابن سعد فى الطبقات» أو «الخبر فى الطبقات لابن سعد» وكأن هذا يكفى لبث الثقة فى روع القارئ بأن الخبر صحيح، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وأما الكتاب الثانى: تاريخ الرسل والملوك والأمم للإمام ابن جرير الطبرى صاحب التفسير وهو إمام علم من أئمة العلماء، يحكم بقوله ويرجع لرأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل العلم فى عصره، وتاريخ الطبرى من أوسع كتب التاريخ وأغزرها مادة، ولكن الطبرى رحمه الله قد أسند الأخبار التى وصلته إلى رواتها وألقى بالعهدة عليهم، فقد قال رحمه الله فى مقدمة تاريخ الطبرى : وليعلم الناظر فى كتابنا هذا أن اعتمادى فى كل ما أحضرت

---

(١) المصدر السابق .

ذكره فيه مما شرطت أنى راسمه فيه، إنما هو على ما رويت من الأخبار التى أنا ذاكرها فيه، والآثار التى أنا مسندها إلى رواتها فيه، دون ما أدرك بحجج القول، واستنبط بفكر النفوس إلا اليسير القليل منه، إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين، وما هو كائن من أنباء الحادثين، غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم إلا بأخبار المخبرين، ونقل الناقلين دون الاستخراج بالعقول، والاستنباط بفكر النفوس فما يكن فى كتابى هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه، أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً فى الصحة، ولا معنى فى الحقيقة فليعلم أنه لم يؤت فى ذلك من قِبلَنَا وإنما أُوتِىَ من قِبَل ناقليهِ إلينا، وإنَّا إنما أدينا ذلك على نحو ما أُدِّىَ إلينا (١)

كما أن الإمام الطبرى رحمه الله تعالى اعتمد رواياته فى سيرة الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين ـ وهو موضوع كتابنا ـ على تقديم رواية سيف بن عمر ففى هذا الجزء من تاريخ الطبرى تجده فى غالب الروايات يقول: بعث إلى السُّرى عن شُعيب عن سيف بن عمر ـ وهذا السيف قد أجمع علماء الجرح والتعديل على تضعيفه، وأفحش ابن حِبان القول فيه ، فقال: يروى الموضوعات عن الأثبات، واتهم الزندقة ومجموع مروياته فى تاريخ الطبرى مائتان وست وستون .

---

(١) تاريخ الرسل والأمم والملوك لابن جرير الطبرى ص ١٣ ط الكتب العلمية.

أضف إلى ذلك أن مجموع مرويات الطبرى عن الواقدى (شيخ ابن سعد السابق ذكره) فى ٣١٧ موضعاً من تاريخه.

كما أنك تجد أن الطبرى فى هذا القسم (سيرة الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين) قد روى عن هشام الكُلبى(وهومتروك الحديث) كما روى عن أبى مُخنف (وهوشيعى محترق) كما روى عن ابن إسحاق وابن سعد رحمهما الله .

أما فى أخبار الفتن فى عهد عثمان ومقتله فقد اعتمد على الواقدى وقدم روايته !! وذكر أنه أعرض عن كثير منها كراهة منه لبشاعتها.

وفى معركة الجمل اعتمد على رواية سيف بن عمر،وعمر بن شبة (ثقة حافظ) وأكملها بروايات عن أحمد بن زهير بن خيثمة(حافظ ثقة) وهشام الكلبى وأكملها بروايات أخرى عن سيف بن عمر وثلاث روايات عن نصر بن مزاحم [1](شيعى محترق) لذا فلينتبه من يقرأ أو ينقل من تاريخ الطبرى !!

أخى القارئ الكريم : بين يديك طليعة هذه الدراسة التى نسأل الله تعالى أن يجعل لها القبول ،وأن يجعلها خالصة لوجه الكريم ، فهذا هو المجلد الأول من هذه السلسلة - يسر الله إتمامها - ونبدأ فيه بالشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما لنتعرف على صديق الأمة

---

(١) منهج كتابة التاريخ الإسلامى ، ص ٤٤٤ بتصرف .

الأكبر ،وفاروق الأمة الأواب .

وبعد تجـهيز سـيرة الشيـخين للطبع ظهر فى الأفق سـؤال كدنا أن نذوب معه خجلاً وحياءً ألا وهو:هل نستطيع أن نكتب عن سيرة الأئمة فى مـجلديـن على الأقل دون أن نذكـر المعلم الـذى علّم وربّى هؤلاء الأئمة؟!!

إننا ـ يشهـد الله ـ نستحى أن نتكلم عن الأئمة دون أن نـتقرب إلى الله بذكر شئ من فضـائل المعلم الذى علم الدنيا. . المعلم الذى أخرج هؤلاء الأئمة من ظلمات الشرك إلى ضيـاء التوحيد ، المعلم الذى يأتى يوم القيامة وهؤلاء الأئمة بل الأمة كلها فى ميزان حسناته يوم القيامة

فقدمنا لهذا الكتاب بمقدمة متواضـعة ـ تقرباً إلى الله والتماساً للبركة ـ لشئ من فضـائل ومعـجزات هذا المعلم فصـلاة وسلاماً عـلى معلم الناس الخير .

ثم أتبعناها بفـصل عن بعض فضائل الصـحابة الكرام وعقـيدة أهل السنة فيـهم رضى الله عنهم ،ويلاحظ القارئ الكريم أنـنا قد أطلنا فى هذه المقدمة لأننا نعتقد أنها كانت كلمة لابد منها لمن يريد قراءة ودراسة التاريخ الإسلامى ،ونداءً لابد منه لمن أراد أن يساهم ولو بقليل فى تنقية وغربلة كتب التـاريخ الإسلامى-من علمائنا ومشـايخنا المحدثين-مما علق بها من أخبار ضعيفة أو واهية .

وختاماً نشكر ربنا ونحمده كما ينبغى لجلال وجهه وعظيم سلطانه على ما يسر وأعان وسدد ،ونحمده تعالى على توفيقه ومنّه وفضله ،ونستغفره من التقصير والذلل .

فهذا الكتاب نضعه بين أيدى القراء الكرام ، فمن وجد منهم فيه خيراً - وسيجد إن شاء الله - فنرجوا أن يتفضل علينا بدعوة صالحة ومن وجد فيه مأخذاً أو تقصيراً - وسيجد - فنطلب منه أن يقدم العذر وحسن الظن على غيره وأن ينصحنا ولا يفضحنا، سترنا الله وإياكم بستره الجميل.

فإن تجد عيباً فَسُدَّ الخَلَلا فَجَلَّ من لا عَيْبَ فيه وَعَلا

كما ندعوا الله أن يتقبل منا هذه المحاولة وأن يبارك فيها لتقع فى نفس القارئ المسلم موقع الرضا والتأثير والإقناع،وأن يتجاوز سبحانه عن تقصيرنا فيها وأن يحفظها لنا ثواباً وبركة فى القبر ويوم العرض . إن ربى سميع قريب مجيب وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المؤلفان

فى ٢٦ شعبان ١٤١٩

١٥ ديسمبر ١٩٩٨ م

مقدمة

تحتوى على الفصول التالية

الفصل الأول: شيئ من فضائل النبى ﷺ

الفصل الثانى: شيئ من معجزات النبى ﷺ

الفصل الثالث: شيئ من أخلاق النبى ﷺ

الفصل الرابع: شيئ من فضائل الصحابة رضى الله عنهم.

الفصل الخامس: عقيدة أهل السنة فيما شجر بين الصحابة الكرام رضى الله عنهم.

صلاة وسلاما على معلم الناس الخير

صـلاةً وسلامـاً على إمام الأنبيـاء .. وإمام الأتقـياء .. وإمـام الأصفياء.

صلاةً وسلاماً على خاتم الأنبياء .. وسيد المرسلين .. وقائد الغُر المحجلين .

صـلاةً وسـلامـاً على صـاحب الشـفـاعة العـظمى يوم الدين .. وصاحب المقام المحمود واللواء المعقود والحوض المورود.

صـلاةً وسلامـاً على من شـرح الله له صدره ، ورفع له ذكـره ، ووضع عنه وزره وزكاه فى كل شىء.

صلاةً وسلاماً على من زكَّاه ربه فى عقله فقال :

﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ [النجم : ٢]

صلاةً وسلاماً على من زكاه ربه فى بصره فقال :

﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم :١٧]

صلاةً وسلاماً على من زكاه ربه فى صدره فقال :

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [الشرح:١]

صلاةً وسلاماً على من زكاه ربه فى طُهره فقال :

﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ [الشرح: ٢]

صلاةً وسلاماً على من زكاه ربه فى ذكره فقال :

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: ٤]

صلاةً وسلاماً على من زكاه ربه فى صدقه فقال :

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ [النجم: ٣]

صلاةً وسلاماً على من زكاه ربه فى علمه فقال :

﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾ [النجم: ٥]

صلاةً وسلاماً على من زكاه ربه فى حلمه فقال :

﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨]

صلاةً وسلاماً على من زكاه ربه كله فقال تعالى:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]

فصلاةً وسلاماً عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الأول

شيء من فضائله ﷺ

لقد خلق الله الأرض، واختار منها بلده الحرام ففضلها على سائر بقاع الأرض، وخلق الله السموات سبعا، واختار العليا وفضلها فجعلها بالقرب من كرسيه ومن عرشه جل وعلا .

وخلق الله الجنان وفضل الفردوس فجعل سقفها عرش الرحمن .

وخلق الله الملائكة واصطفى منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل .

فجبريل صاحب الوحى الذى به حياة القلوب والأرواح.

وميكائيل صاحب القطر الذى به حياة الأرض ومن عليها من الأحياء.

وإسرافيل صاحب الصور الذى بنفخته يبعث الناس من فى القبور ليوم النشور .

وخلق الله البشر واصطفى منهم الأنبياء والرسل، واصطفى من الرسل أولى العزم الخمسة، واصطفى من أولى العزم خليله وحبيبه محمدا ﷺ على جميع الأنبياء والرسل .

ومما يدل على فضله صلوات الله وسلامه عليه :

* قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران : ٨١]

قال ابن كثير رحمه الله :

قال على بن أبى طالب وابن عمه عبد الله بن عباس رضى الله عنهما: ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ الله عليه الميثاق لئن بعث محمداً وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بُعث محمدٌ وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه. وقال طاووس والحسن البصرى وقتادة:

أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضاً ، وهذا لايضاد ما قاله علىٌ وابن عباس ولا ينفيه بل يستلزمه ويقتضيه .

ثم قال ـ رحمه الله ـ : فالرسول محمدٌ خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ، وهو الإمام الأعظم الذى لو وجد فى أى عصر وجد ، لكان هو الواجب الطاعة ، المقدم على الأنبياء كلهم، ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس أهـ [(١)].

* **اختصاصه عليه الصلاة والسلام بالشفاعة** فى ذلك اليوم العصيب يوم القيامة حين يتخلى كل نبى عنها من عظم هول الموقف، ويقول :

(١) تفسير ابن كثير (١ / ٣٧٨)

نفسى نفسى، فيقوم لها الرحمة المهداة ﷺ، وهذا - كما قال ابن كثير رحمه الله -: « هو المقام المحمود الذى لا يليق إلا له، والذى يحيد عنه ألوا العزم من الأنبياء والمرسلين، حتى تنتهى النَّوبة إليه فيكون هو المخصوص به » [1].

* قال الله عز وجل لرسوله ﷺ :

﴿ أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٨ - ٧٩]

قال ابن كثير رحمه الله :

« لرسول الله ﷺ تشريفات يوم القيامة لا يشركه فيها أحد، وتشريفات لا يساويه فيها أحد، فهو أول من تنشق عنه الأرض، ويبعث راكباً إلى المحشر، وله اللواء الذى آدم فمن دونه تحت لوائه، وله الحوض الذى ليس فى الموقف أكثر وارداً منه.

وله الشفاعة العظمى عند الله ليأتى لفصل القضاء بين الخلائق، وذلك بعدما يسأل الناس آدم ثم نوحاً، ثم إبراهيم، ثم موسى ثم عيسى، فكل يقول« لست لها »حتى يأتوا إلى محمد ﷺ فيقول: « **أنا لها، أنا لها** » .

ومن ذلك أنه يشفع فى أقوام قد أُمِر بهم إلى النار فيردُّون عنها.

---

(١) تفسير ابن كثير ((١/ ٣٧٨)

وهو أول الأنبياء يُقض بين أمته، وأولهم إجازة على الصراط بأمته وهو أول شفيع فى الجنة، وهو أول داخل إليها ، وأمته قبل الأمم كلهم.

ويشفع فى رفع درجات أقوام لا تبلغها أعمالهم، وهو صاحب الوسيلة التى هى أعلى منزلة فى الجنة، والتى لا تليق إلا له.

وإذا أذن الله فى الشفاعة للعصاة شفع الملائكة، والنبيون ، والمؤمنون ، فيشفع هو فى خلائق لا يعلم عدتهم إلا الله، ولا يشفع أحدٌ مثله، ولا يساويه فى ذلك[1].

ونسوق فيما يلى حديثين من أحاديث الشفاعة، ففيهما عبرة وعظة.

* فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: أتى رسول الله ﷺ يوماً بلحم فرفع إليه الذراع - وكانت تعجبه - فنهس منها نهسة، فقال:

« أنا سيد الناس يوم القيامة،وهل تدرون بم ذاك ؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين فى صعيد واحد، فيسمعهم الداعى وينفذُهُم البصر ،وتدنو الشمس ، فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون ،فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ماأنتم فيه ؟ ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض : ائتوا آدم ،فيأتون آدم فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده ،ونفخ فيك من روحه،وأمر الملائكة فسجدوا لك !

(١) انظر تفسير ابن كثير (٣ /٥٦).

اشفع لنا إلى ربك،ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول آدم: إن ربى غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله،ولن يغضب بعده مثله،وإنه نهانى عن الشجرة فعصيته، نفسى نفسى.اذهبوا إلى غيرى ،اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً،فيقولون : يا نوح .أنت أول الرسل إلى الأرض ،و سمّاك الله عبداً شكوراً ،اشفع لنا إلى ربك،ألا ترى ما نحن فيه ؟ فيقول لهم : إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله ،وإنه قد كانت لى دعوة دعوت بها على قومى نفسى نفسى، اذهبوا إلى إبراهيم ﷺ .فيأتون إبراهيم فيقولون:أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض ،اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألاترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم إبراهيم: إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله،ولن يغضب بعده مثله،وذكر كذباته ، نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى،اذهبوا إلى موسى . فيأتون موسى ﷺ فيقولون: يا موسى:أنت رسول الله،فضّلك الله برسالته وبتكليمه على الناس،اشفع لنا إلى ربك،ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم موسى ﷺ : إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ،ولن يغضب بعده مثله ،وإنى قتلت نفساً لم أومر بقتلها.نفسى نفسى،اذهبوا إلى عيسى ﷺ،فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكَلّمْتَ الناس فى المهد وكلمتة منه ألقاها إلى مريم وروح منه ، فاشفع لنا إلى ربك،ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما

قد بلغنا ؟ فيقول عيسى ﷺ: إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله،ولن يغضب بعده مثله،ولم يذكرذنباً ،نفسى نفسى،اذهبوا إلى غيرى .اذهبوا إلى محمد ﷺ .فيأتونى فيقولون : يا محمد أنت رسول الله ،وخاتم الأنبياء،وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك،وما تأخر،اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فأنطلق فآتى تحت العرش،فأقع ساجداً لربى، ثم يفتح الله على من محامده،وحُسْنِ الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلى، ثم يقال : يا محمد! ارفع رأسك،سل تعطه.اشفع تُشَفَّعْ،فأرفع رأسى فأقول: يا رب ! أمتى أمتى،فيقال : يا محمد! أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ،وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب :والذى نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى» [1]

* وفى حديث أنس بن مالك رضى الله عنه يقول رسول الله ﷺ «فيأتونى،فأستأذن على ربى فيؤذن لى،فإذا أنا رأيته وقعت ساجداً فيدعنى ما شاء .فيقال : يا محمد ارفع رأسك .قل تسمع . سل تعطه ،اشفع تُشَفَّع،فأرفع رأسى ،فأحمد ربى بتحميد يعلمنيه ربى، ثم أشفع

---

(١) رواه البخارى رقم (٤٧١٢) فى تفسير سورة بنى إسرائيل.باب: ذرية من حملنا مع نوح أنه كان عبداً شكوراً ،ومسلم رقم (١٩٤) فى الإيمان باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها واللفظ له،والترمذى رقم (٢٤٣٦) فى القيامة.

فيحد لي حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة،ثم أعود فأقع ساجداً،فيدعني ما شاء الله أن يدعني،ثم يقال:ارفع رأسك يا محمد.قل تسمع .سل تعطه.اشفع تشفع،فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه،ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرجهم من النار،وأدخلهم الجنة (قال:فلا أدري في الثالثة أم في الرابعة قال :) فأقول : يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن،أي وجب عليه الخلود » (١)

فضع خدك أيها المسلم على التراب شاكراً أن جعلك الله من أمة هذا النبي العظيم الكريم على الله عز وجل ،والذي يذكر ـ أول ما يذكر في ذلك الموقف ـ أمته ،فيشفع لها،وذلك حين يقول: يا ربّ أمتي أمتي، فصلوات الله وسلامه على نبينا محمد،وجزاه الله عنا أفضل ما جزى نبياً عن أمته،ونسأل الله سبحانه الثبات على ذلك حتى الممات،ونعوذ بالله من البدع،والأهواء ومن شر الفتن ما ظهر منها،ومابطن،ومن الضلالة بعد الهدى،ومن الحور بعد الكور، إنه سميع مجيب. وصدق الله العظيم إذ يقول في كتابه الكريم:

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨]

ويقول عز من قائل:

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٥٦٥) في « الرقاق»:باب صفة الجنة،والنار ،ومسلم رقم (١٩٣) في الإيمان ،واللفظ له.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧]

ولقد قال ابن عمر رضى الله عنهما:

« إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثاً، كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع، حتى تنتهى الشفاعة إلى النبى ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود »[1]

* ومن فضائل رسولنا وحبيبنا، وقدوتنا محمد بن عبد الله ﷺ أنه أُسْرِىَ به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السموات العلى حيث رأى من آيات ربه الكبرى، وفرضت عليه الصلوات الخمس .

قال الله تعالى : **﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾** [الإسراء : ١]

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **أُتيتُ بالبراق ـ وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل. يضع حافره عند منتهى طرفه ـ قال: فركبته حتى أَتيْتُ بيت المقدس، قال فربطته بالحلقة التى يربط به الأنبياء، قال: ثم دخلت المسجد ،فصليت فيه**

---

(١) رواه البخارى رقم (٤٧١٨) فى تفسير سورة بنى إسرائيل، باب: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً .

ركعتين، ثم خرجت فجاءنى جبريل عليه السلام بإناء من خمر ،وإناء من لبن فاخترت اللبن،فقال جبريل ﷺ اخترت الفطرة .

ثم عُرِج بنا إلى السماء،فاستفتح جبريل،فقيل: مَن أنت ؟ قال : جبريل .قيل : ومن معك؟ قال : محمد.قيل:وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه،فَفُتِحَ لنا .فإذا أنا بآدم .فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية .فاستفتح جبريل عليه السلام .فقيل : من أنت؟ قال : جبريل،قيل : ومن معك؟ قال : محمد.قيل : و قد بعث إليه ؟ قال:قد بعث إليه،ففتح لنا،فإذا أنا بابنىْ الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ﷺ فرحبا بى ودعوا لى بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل .فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل .قيل : ومن معك؟ قال : محمد ﷺ.قيل : وقد بعث إليه ؟ قال قد بعث إليه ،ففتح لنا ،فإذا أنا بيوسف ﷺ إذا هو قد أعطى شطر الحسن .فرحب ودعا لى بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة ،فاستفتح جبريل عليه السلام . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل. قيل : ومن معك؟ قال : محمد قيل: وقد بعث إليه؟ قال : قد بعث إليه .ففتح لنا،فإذا أنا بإدريس.فرحب ودعا لى بخير .

قال الله عز وجل: ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم : ٥٧]

ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة ،فاستفتح جبريل ،قيل : من هذا ؟ قيل: جبريل؟ قيل : ومن معك؟ قال محمد .قيل : وقد بعث إليه ؟

قال:قد بعث إليه.ففتح لنا ،فإذا أنا بهارون ﷺ فرحب ودعا لى بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء السادسة،فاستفتح جبريل عليه السلام،قيل : من هذا ؟ قال : جبريل .قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ﷺ.قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ،ففتح لنا ،فإذا أنا بموسى ﷺ فرحب ودعا لى بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة،فاستفتح جبريل ،فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل.قيل : ومن معك؟ قال : محمد ﷺ قيل : وقد بعث إليه؟ قال : قد بعث إليه،ففتح لنا ،فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مسنداً ظهره إلى البيت المعمور.وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذَهَب بى إلى سدرة المنتهى،وإذا ورقها كآذان الفيلة،وإذا ثمرها كالقلال،قال :فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيرت ،فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها،فأوحى الله إلىّ ما أوحى ،ففرض على خمسين صلاة فى كل يوم وليلة ، فنزلت إلى موسى فقال : ما فرض ربك على أمتك؟

قلت : خمسين صلاة. قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك ،فإنى قد بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم .قال :فرجعت إلى ربى فقلت : يا رب خفف على أمتى .فَحَطّ عنى خمساً،فرجعت إلى موسى ،فقلت :حط عنى خمساً.قال : إن أمتك لايطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف،قال: فلم أزل أرجع

بين ربى تبارك وتعالى ،وبين موسى عليه السلام،حتى قال : يا محمد ! إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة،لكل صلاة عشرٌ فذلك خمسون صلاة،ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة،فإن عملها كتبت له عشراً،ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً،فإن عملها كتبت سيئة واحدة. قال:فنزلت حتى انتهيت إلى موسى ﷺ فأخبرته.

فقال:ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فقال رسول الله ﷺ:فقلت:قد رجعت إلى ربى حتى استحييت منه » (١)

* ومن فضائله أيضاً التى جاءت على لسان الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال:

قال ﷺ: « **أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدى لواء الحمد ولا فخر،وما من نبى يومئذ ـ آدم فمن سواه ـ إلا تحت لوائى ،وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر**»(٢).

قال ابن الأثير:

قال ﷺ فى هذا الحديث: « **سيد ولد آدم** ».

وقال فى ذكر يونس عليه السلام: « **ما ينبغى لعبد أن يقول أنى خير**

---

(١) رواه البخارى رقم (٣٢٠٧) فى بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ،ومسلم رقم (١٦٢) فى الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات،وفرض الصلوات والترمذى رقم (٣٣٤٣) فى التفسير ،والنسائى (١/ ٢١٧، ٢١٨) فى الصلاة .

(٢) أخرجه الترمذى رقم (٣٦١٨) فى المناقب وهو فى صحيح الجامع رقم (١٤٦٨) .

من يونس بن متى ونسبه إلى أبيه »[١] .

وقال : « **لا تفضلونى على يونس** ».

ووجه الجمع بينهما : أن قوله : « **أنا سيد ولد آدم** » إنما هو إخبار عما أكرمه الله تعالى به من الفضل والسُّؤْدُد ، وتحدث بنعمة الله عنده وإعلام أمته بذلك، ليكون إيمانهم به على حسب ذلك .

وأما قوله فى يونس عليه السلام، فيحتمل أن يكون أراد بقوله: **لا** ينبغى لعبد، أو لأحد غير نفسه، أو أن يكون عاماً فيه وفى غيره من الناس فيكون هذا على سبيل الهضم وإظهار التواضع لربه، يقول: لا ينبغى لى أن أقول: أنا خير منه، لأن الفضيلة التى نلتها كرامة من الله، وخصوصية منه لم أنلها من قِبَل نفسى، ولا بلغتها بقوتى فليس لى أن أفتخر بها، وإنما يجب على أن أشكر عليها ربى، وإنما خص يونس بالذكر لما قصه الله علينا من شأنه، وما كان من قلة صبره على أذى قومه، فخرج مغاضباً، ولم يصبر كما صبر أولى العزم من الرسل أ. هـ[٢].

* وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال:

---

(١) أخرجه البخارى رقم (٣٤١٣) فى الأنبياء ، باب قول الله تعالى: ﴿ وإن يونس لمن المرسلين ﴾ ، وبنحوه رواه أبو داود رقم (٤٦٧٠) فى السنة ، باب التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

(٢) جامع الأصول : (٨/ ٥٢٧).

« أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر ،وأول شافع وأول مشفع» .

وفى رواية الترمذى : « أنا أول من تنشق عنه الأرض فأُكس الحُلَةَ من حُلل الجنة، ثم أقوم عن يمين العرش ، فليس أحدٌ من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى »(١) .

* وعن واثلة بن الأسقع سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة ،واصطفى من قريش بنى هاشم،واصطفانى من بنى هاشم »(٢).

وفى مسند أحمد: « أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب،إن الله تعالى خلق الخلق فجعلنى فى خيرهم،ثم جعلهم فرقتين،فجعلنى فى خيرهم فرقة،ثم جعلهم قبائل،فجعلنى فى خيرهم قبيلة،ثم جعلهم بيوتاً،فجعلنى فى خيرهم بيتاً ،فأنا خيركم بيتاً وأنا خيركم نفساً »(٣) .

* وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال:

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٢٧٨) فى الفضائل ، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق،وأبو داود رقم (٤٧٦٣) فى السنة، باب فى التخيير بين الأنبياء ،والترمذى رقم (٣٦١٥) فى المناقب .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٢٧٦) فى الفضائل ، باب فضل نسب النبى ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة ،والترمذى رقم (٣٦٠٥).

(٣) رواه الترمذى رقم (٣٦١٠) فى المناقب ، باب ما جاء فى فضل النبى ﷺ وصححه شيخنا الألبانى فى صحيح الجامع رقم (١٤٧٢).

قال رسول الله ﷺ: « **أعطيت خمساً لم يُعْطَهُن أحدٌ قبلى : كان كل نبى يُبعث إلى قومه خاصة ،وبعثت إلى كل أحمر وأسود ،وأحلت لى الغنائم،ولم تحل لأحد قبلى ،وجعلت لى الأرض طيبةً طهوراً ومسجداً فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ،ونُصِرْتُ بالرعب بين يدى مسيرة شهر ،وأعطيت الشفاعة** » (١).

* وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: « **فضلت على الأنبياء بست:أعطيت جوامع الكلم،ونصرت بالرعب،وأحلت لى الغنائم،وجعلت لى الأرض طهوراً ومسجداً،وأرسلت إلى الخلق كافة،وختم بى النبيون** »(٢).

قال البخارى:

بلغنى أن جوامع الكلم: أن الله عز وجل يجمع له الأمور الكثيرة التى كانت تكتب فى الكتب قبله فى الأمر الواحد والاثنين.

وقال ابن الأثير: قوله «جوامع الكلم »:

أراد به القرآن، جمع الله بلطفه فى الألفاظ اليسيرة منه معانى كثيرة

---

(١) رواه البخارى رقم (٣٣٥) فى التيمم ، باب التيمم ، ومسلم رقم (٥٢١) فى المساجد فى فاتحته ،والنسائى (١/ ٢١٠، ٢١١) فى الغسل .

(٢) رواه البخارى رقم (٢٩٧٧) فى الجهاد ، باب قول النبى ﷺ نصرت بالرعب مسيرة شهر، ومسلم رقم (٥٢٣) فى المساجد ومواضع الصلاة فى فاتحته واللفظ له، والترمذى رقم (١٥٥٣) فى السير.

وكذلك ألفاظه ﷺ كانت قليلة الألفاظ ،كثيرة المعانى .

وقوله : نصرت بالرعب.

قال ابن الأثير:

الرعب الفزع والخوف، ذلك: أن أعداء النبى ﷺ كان قد أوقع الله فى قلوبهم الرعب، فإذا كان بينه وبينهم مسيـرة شهر هابو وفزعوا منه، فلا يقدمون على لقائه . أ .هـ[1] (٨/ ٥٣١).

* وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ:

« ما من الأنبياء نبى إلا أُعْطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلـىّ،فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة »[2].

* وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ:

« إن مثلى ومثل الأنبياء قبلى كـمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه،وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه،فـجعل الناس يطوفون به ويعـجبون

---

(١) جامع الأصول : (٨/ ٥٣١).

(٢) رواه البـخـارى رقم (٤٩٨١) فى فـضـائل القـرآن، باب كيـف نزول الوحى، واللفظ له، ومسلم رقم (١٥٢) فى الإيمان ، بابا وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ.

له،ويقولون:هلا وُضِعتْ هذه الَّلبنة ؟

قال:فأنا اللبنة وأنا خاتم الأنبياء »[١].

* وأخرج الإمام مسلم من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **آتى باب الجنة يوم القيامة ، فأستفتح، فيقول الخازن : من أنت ؟فأقول : محمد،فيقول:بك أُمرت أن لا أفتح لأحدٍ قبلك »**[٢].

* وفى مسند أحمد عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها** [٣]»[٤].

* وفى البخارى من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: جاءت ملائكة إلى النبى ﷺ وهو نائم، فقال بعضهم: «**إنه نائم،وقال بعضهم : العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا:إن لصاحبكم هذا مثلاً، فاضربوا له مثلاً،فقالوا:مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدُبة وبعث داعياً،فمن أجاب الداعى دخل الدار،وأكل من المأدبة،ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة،فقالوا:أوِّلوها له**

---

(١) رواه البخارى رقم (٣٥٣٥) فى الأنبياء ،باب خاتم النبيين ﷺ ،ومسلم رقم (٢٢٨٦) فى الفضائل ، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين .

(٢) رواه مسلم رقم (١٩٧) فى الإيمان، باب قول النبى ﷺ : أنا أول الناس يشفع فى الجنة.

(٣) أى : أحركها .

(٤) صححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (١٤٥٩) وقال رواه أحمد والترمذى .

يَفْقَهُها. فقال بعضهم: إنه نائم ،وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا فالدار: الجنة، والداعى: محمد ﷺ، فمن أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً فقد عصى الله، ومحمد فرق بين الناس»(١) .

* وعند مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **ما منكم من أحد إلا وقد وكِّل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة، قالوا: وإياك يا رسول الله ؟ قال: وإياى، إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم، فلا يأمرنى إلا بخير**»(٢) .

* وأخرج الإمام مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: « تلا رسول الله ﷺ قول الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿ **رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [إبراهيم : ٣٦]

وقول عيسى عليه السلام : ﴿ **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [المائدة : ١١٨]

---

(١) رواه البخارى رقم (٧٢٨١) فى الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ .

(٢) القرين : المصاحب وكل إنسان معه قريناً من الملائكة وقريناً من الشياطين، فقرينه من الملائكة يأمره بالخير ويحثه عليه ،وقرينه من الشياطين يأمره بالشر ويحثه عليه، وفقنا الله لاتباع قرين الخير ،ومخالفة قرين الشر. قاله ابن الأثير (جامع الأصول: ٨: ٥٤٥).

(٣) رواه مسلم رقم (٢٨١٤) فى صفات المنافقين، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتن الناس.

فرفع يديه، وقال: « اللهم أمتى أمتى وبكى، فقال الله عز وجل: يا جبريل: اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسله: ما يبكيه ؟ فأتاه جبريل فسأله ؟ فأخبره بما قال - وهو أعلم - فقال الله : يا جبريل ، اذهب إلى محمد، فقل له: إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسوؤك»[1] .

* ومن فضائلة ﷺ أن الله أيده بالمعجزات الباهرة .

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٠٢) فى الإيمان ، باب دعاء النبى ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم.

الفصل الثانى

شىء من معجزات رسول الله ﷺ

إن من فضائل رسولنا محمد ﷺ أن الله تعالى قد أيده بالمعجزات الباهرة، تأييداً منه سبحانه لعبده ورسوله محمد ﷺ، وبرهانا على صدقه ، ودليلاً على علو شأنه ورفعة مكانته عند ربه، وأعظم آية أعطيها رسول الله ﷺ القرآن الكريم ، ولهذا يقول ﷺ :

« ما من الأنبياء نبى إلا أعطى الله من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أوتيته وحياً أوحاه الله إلىّ فأرجو أن أكون أكثرهم تبعاً يوم القيامة » (1)

والآيات والمعجزات التى أيّد الله تعالى بها رسوله ﷺ كثيرة، وسنكتفى بذكر بعضها، إذ ليس الهدف فى هذه المقدمة حصرها :

أ ـ انشقاق القمر.

فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : بينما نحن مع رسول

---

(1) رواه البخارى « رقم (٤٩٨١) فى« فضائل القرآن » باب: كيف نزل الوحى ، وأول ما نزل ، ومسلم رقم (١٥٢) فى الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته .

الله ﷺ بمنى إذا انفلق القمر فلقتين، فكانت فلقة وراء الجبل، وفلقة دونه. فقال لنا رسول الله ﷺ: « اشهدوا » [١]

* وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر مرتين» [٢]

ب - حنين الجذع :

فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه: أرسل رسول الله ﷺ إلى امرأة من الأنصار فقال: مُرى غلامك النجار أن يعمل لى أعواداً أجلس عليهن إذا كلمت الناس، فأمرته فعملها من طرفاء الغابة، ثم جاء بها فأمر بها فوضعت .

قال جابر : فلما وضع له المنبر سمعنا للجذع مثل أصوات العشار حتى نزل النبى ﷺ فوضع يده عليه »[٣]

قال جابر: كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها »

---

(١) البخارى رقم (٤٨٦٤) فى سورة اقتربت الساعة باب: « وانشق القمر، وإن يروا آية يعرضوا »، ومسلم: رقم (٢٨٠٠) فى صفات المنافقين وأحكامهم، باب: انشقاق القمر والترمذى رقم (٣٢٨١، ٣٢٨٣) .

(٢) رواه البخارى رقم (٤٨٦٧، ٤٨٦٨) فى التفسير ، باب: « وانشق القمر، وإن يروا آية يعرضوا »، ومسلم رقم (٢٨٠٢) فى صفات المنافقين ، باب انشقاق القمر، والترمذى رقم (٣٢٨٢) فى التفسير.

(٣) رواه البخارى رقم (٩١٨) فى الجمعة ، باب الخطبة على المنبر، والنسائى (٣/ ١٠٢) فى الجمعة ، باب مقام الإمام فى الخطبة.

جـ ـ ومن معجزاته ﷺ نبع الماء من بين أصابعه .

* عن جابر بن عـبد الله رضى الله عنهمـا قال: «**عطش الناس يوم الحديبـية،والنبى ﷺ بين يديه ركوة،فـتوضأ فـجهش الناس نحوه،فـقال مالكم ؟ قالوا:ليس عندنا ما نتـوضأ،ولا نشرب إلا ما بين يديك فوضع يده فى الرِّكـوة،فجـعل الماء يثور بين أصـابعه كـأمثـال العيـون،فشـربنا وتوضأنا قلت :كم كنتم ؟**

قال : لو كنا مائة ألف لكفانا.كنا خمس عشرة مائة» [(١)]

* وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال:

« **رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر،فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأُتى رسول الله ﷺ بوضوء،فوضع رسول الله ﷺ فى ذلك الإناء يده،وأمـر الناس أن يتوضـؤوا منه،قال:فـرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه، فتوضأ الناس،حتى توضؤوا من عند آخرهم .**

قال قتادة :قلت لأنس:كم كنتم ؟ قال:ثلاثمائة،أو زهاء ثلاثمائة»[(٢)] .

* وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال:

كنا نعد الآيات بركـة، وأنتم تعدونها تخويفـاً،كنا مع رسول الله ﷺ

---

(١) رواه البخارى رقم (٣٥٧٦) فى الأنبياء ، باب عـلامات النبوة فى الإسلام،ومسلم رقم (١٨٥٦) فى الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام .

(٢) رواه البخارى رقم (١٦٩) فى الوضوء، باب التماس الوضوء إذا حانت الصلاة، ومسلم رقم (٢٢٧٩) فى الفضائل، باب من معـجزات النبى ﷺ والموطأ (١/ ٣٢) فى الطهارة والنسائى (١/ ٦٠) فى الطهارة،والترمذى رقم (٣٦٣٥) فى المناقب.

فى سفر، فـقلَّ الماء، فقال : اطلبوا فـضله من ماء، فجاءوا بإناء فـيه ماء قليل، فأدخل يده فى الإناء، ثم قال: «**حيَّ على الطهور المبارك ،والبركة من الله**»، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل»[١]

*** ومن معجزاته ﷺ تكثير الطعام والشراب :**

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال:

« لما حفـر الخندق رأيت بالنبى ﷺ خـمصاً شـديداً، فانكفـيت إلى امرأتى، فـقلت: هل عندك شيء ؟ فإنى رأيت برسول الله ﷺ خـمصاً شديداً، فـأخرجت إلىّ جـراباً فيه صـاع من شعيـر، ولنا بهيـمة داجن فَذَبَحتُها، وطَحَنْتِ الشعير، ففـرغَتْ إلى فراغِى، وقطعتُها فى بُرمَتها، ثم وليتُ إلى رسول الله ﷺ.

فـقـالت: لا تفـضـحنى برسـول الله ﷺ، ومن مـعـه، فـجـئـتـه فسارَرْتُه، فقلت: يا رسول الله! ذبحنا بُهَيْـمةً لنا وطحنّا صاعاً من شعير كان عندنا فتـعال أنت ونفرٌ من أصحـابك، فصاح النبى ﷺ: « **يا أهل الخندق : إن جابر قد صنع سُوراً [٢] فحيَّ هلابكم**» [٣]

---

(١) رواه البخارى رقم (١٦٩) فى الوضوء ، باب التماس الوضوء إذا حانت الصلاة، ومسلم رقم (٢٢٧٩) فى الفضـائل، باب من معجـزات النبى ﷺ ،والموطأ (١/ ٣٢) فى الطهارة ،والنسائى (١/ ٦٠) فى الطهارة ،والترمذى رقم (٣٦٣٥) فى المناقب.

(٢) السور بدون همزة ـ هو الطعام.

(٣) أى هلموا مسرعين.

فقال رسول الله ﷺ: « **لا تُنْزِلُنَّ برمتكم ،ولا تخبِزُنَّ عجينكم حتى أجيءَ** »، فجئتُ ، وجاء رسول الله ﷺ يقدُمُ الناس ،حتى جئت امرأتى فقالت: بك وبك [١] فقلت : قد فعلت الذى قلت فأخرجت له عجينا، **فبصق به وبارك ، ثم عمد إلى بُرمتنا فبصق ،وبارك ، ثم قال :ادعى خابزة فلتخبز معك،واقدحى من برمتكم ،ولا تنزلوها» وهم ألف ،فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا،وإن برمَتَنا لتغطُّ كما هى ،وإن عجيننا ليُخبزُ كما هو** » [٢].

* وفى البخارى ومسلم من حديث عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما قال: « كنا مع النبى ﷺ ثلاثين ومائة، فقال النبى ﷺ: « **هل مع أحد منكم طعام** ؟ فإذا مع رجل صاعٌ من طعام، أو نحوه، فعُجن، ثم جاء رجل مشرك مُشعانٌ [٣] طويل بغنم يسوقها، فقال النبى ﷺ: أبيعاً، أم عطية ؟ أو قال : هبةٌ ؟ قال: لا بل بيع، فاشترى منه شاة، فَصنُعتْ، وأمر النبى ﷺ بسواد البطن أن يشوى، وأيْمُ الله ما فى الثلاثين والمائة إلا وقد حزَّ النبى ﷺ له حَزَّةً من سواد بطنها (يعنى الكبد) إن كان شاهداً أعطاه إياه، وإن كان غائباً خبأ له فجعل منها

---

(١) أى أنها ذمته ودعت عليه.

(٢)رواه البخارى رقم (٤١٠٢) فى كتاب « المغازى» باب: غزوة الخندق واللفظ له، ومسلم رقم (٢٠٣٩)كتاب « الأشربة » باب :جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك، وبتحققه تحققاً تاماً، واستحباب الاجتماع على الطعام .

(٣) مُشعان الرأس: إذا كان منتفش الشعر ثائر الرأس.

قصعتين، فأكلوا أجمعون، وشبعنا، ففضلت القصعتان فحملناه على البعير »[1].

* وعن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال:

« خرجنا مع رسول الله فى غزوة فأصابنا الجهد».

وفى رواية البخارى خَفَّت أزواد الناس وأملقوا (أى فنى زادهم) فأتوا النبى فى نحر إبلهم (المراد استأذنوه فى نحر إبلهم) فأذن لهم، فلقيهم عمر فأخبروه، فقال: ما بقاؤكم بعد إبلكم ؟ فدخل عمر على النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، ما بقاؤهم بعد إبلهم؟ فقال رسول الله ﷺ: ناد فى الناس يأتون بفضل أزوادهم، ودعا وبَرَّك عليهم، ثم دعاهم بأوعيتهم فاحتثى الناس حتى فرغوا، ثم قال رسول الله ﷺ : «**أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ﷺ**»[2].

* وعن أبى هريرة رضى الله عنه كان يقول :

أالله الذى لا إله إلا هو، إن كنت لأعتمد بكبدى على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطنى من الجوع، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذى يخرجون منه، فَمَرَّ أبو بكر فسألته عن آية فى كتاب

---

(١) رواه البخارى رقم (٢٦١٨) فى الهبة، باب قبول الهدية من المشركين، ومسلم رقم (٢٠٥٦) فى الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره.

(٢) رواه البخارى رقم (٢٩٨٢) فى الجهاد ، باب حمل الزاد فى الغزو، ومسلم رقم (١٧٢٩) فى اللقطة، باب استحباب خلط الأزواد.

الله ؟ ما سألته إلا ليستتبعنى فمر ولم يفعل، ثم مرَّ بى عمر فسألته عن آية فى كتاب الله ؟ ما سألته إلا ليستتبعنى، فَمَرَّ ولم يفعل، **ثم مرَّ بى أبو القاسم ﷺ فتبسم حين رآنى وعرف ما فى نفسى وما فى وجهى، ثم قال: يا أبا هرِّ. قلت: لبَّيكَ يا رسول الله، قال: الحَقْ، ومضى فتبعته، فدخل، فاستأذن، فأذن لى، فدخل فوجد لبناً فى قدح، فقال : من أين هذا اللبن؟** قالوا: أهداه لك فلان أو فلانة، قال: «**أبا هر**»، قلت : لبيك يا رسول الله، قال: «**الحق إلى أهل الصُّفَّة فادعهم لى**» - قال : وأهل الصُّفة أضياف الإسلام، لا يأوون إلى أهل ولا مال، ولا على أحد، إذا أتته صدقةٌ بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيء، وإذا أتته هديةٌ أرسل إليهم، وأصاب منها وأشركهم فيها، فساءنى ذلك، فقلت: وما هذا اللبن فى أهل الصفة ؟ كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوَّى بها، فإذا جاؤوا أمرنى فكنت أنا أُعطيهم، وما عسى أن يبلغنى من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بُد، فأتيتهم فدعوتهم، فأقبلوا واستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت. قال: «**يا أبا هر**»، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «**خذ فأعطهم**»، فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد علىّ القدح فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يردّ علىّ القدح فيشرب حتى يروى، ثم يرد على القدح حتى انتهيت إلى النبى ﷺ وقد

روى القوم كلهم، **فأخذ القدح فوضعه على يده، فنظر إلى فتبسم، فقال: «أبا هر»** قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «**بقيت أنا وأنت**»، قلت: صدقت يا رسول الله، قال: «**أقعد فاشرب**»، فقعدت فشربت، فقال: «**اشرب**» فشربت، فمازال يقول «**اشرب**» حتى قلت: لا والذى بعثك بالحق، ما أجد له مسلكاً، قال: «**فأرنى، فأعطيته القدح، فحمد الله وسمى وشرب الفضلة**»[1]

* وعن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :

« **إنى لأعرف حجرا بمكة كان يسلّم علىّ قبل أن أُبعث إنى لأعرفه الآن**» [2]

د ـ ومن معجزاته ﷺ إخباره ببعض الأمور المستقبلية التى أطلعه الله عليها ،ووقوعها كما أخبر .

فعن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال: « بينا أنا عند النبى ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل فقال: «**يا عدى: هل رأيت الحيرة**» ؟ قلت: لم أرها، وقد أنبئتُ عنها قال: «**فإن**

(١) رواه البخارى رقم (٦٤٥٢) فى الرقاق ،باب كيف كان عيش النبى ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا، والترمذى رقم (٢٤٧٩) فى صفة القيامة.

(٢) مسلم رقم (٢٢٧٧) فى « الفضائل » باب : فضل النبى ﷺ ،وتسليم الحجر عليه قبل النبوة.

طالت بك حياة لترين الظعينة:ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله ـ قلت فيما بينى وبين نفسى: فأين دُعّارُ طيىء الذين قد سعروا البلاد ؟ ـ **ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى»** قلت : كسرى بن هرمز؟ قال : «**كسرى بن هرمز،لئن طالت بك حياة لترين الرَّجل يخرج ملء كفه ذهب ، أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه ،وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فيقولن : ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك؟ فيقول:بلى**

فيقول : ألم أعطك مالاً ،وأفضل عليك ؟فيقول : بلى

فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم،وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم». قال عدى : سمعت النبى ﷺ يقول :« اتقوا النار ولو بشقٍّ تمرة، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة ».

قال عدى: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله،وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز،ولئن طالت بكم حياة لترونَّ ما قال النبى أبو القاسم ﷺ: يخرج مِلءَ كفه »[1].

* وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال:« **بينما نحن عند رسول الله ﷺ،وهو يَقْسم قَسْماً، إذ أتاه ذو الخويصرة ـ وهو رجل من بنى تميم ـ فقال: يا رسول الله ! اعدل.**

---

(١) البخارى رقم (٣٥٩٥) فى « المناقب» باب :علامات النبوة فى الإسلام .

فقال : ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل ؟ قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل.فقال عمر : يا رسول الله ! ائذن لى فيه فأضرب عنقه.

فقال : دعه.فإن له أصحاباً يحقرُ أحدكم صلاته مع صلاتهم ،وصيامه مع صيامهم ،يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ،يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّمِيَّة يُنْظَرُ إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ،ثم يُنْظر إلى رِصافه فما يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى نَضِيه - وهو قدحه - فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى قُذَذه فلا يوجد فيه شيء ،قد سبق الفرث والدم ،آيتهم رجل أسود إحدى عَضُديه مثل ثدى المرأة، أو مثل البضعة تَدرْدَرُ،ويخرجون على حين فرقة من الناس »

قال أبو سعيد: فأشهد أنى سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ، وأشهد أن على بن أبى طالب قاتلهم، وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتى به حتى نظرت إليه على نعت النبى ﷺ الذى نعته »[1]

وفى حديث زيد بن وهب الجهنى :

أنه بعدما قُتل الخوارج قال علىٌّ رضى الله عنه:

التمسوا فيهم المخْدج، فالتمسوه فلم يجدوه، فقام على رضى الله عنه بنفسه حتى أتى ناساً قد قتل بعضهم على بعض قال :

(١) البخارى رقم (٣٦١٠) فى « المناقب» باب: علامات النبوة فى الإسلام، ومسلم رقم (١٠٦٣) فى« الزكاة» باب : ذكر الخوارج وصفاتهم .

أخروهم، فوجدوه مما يلى الأرض، فكبر، ثم قال، صدق الله، وبلغ رسوله فقام إليه عبيدة السلمانى، فقال: يا أمير المؤمنين الله الذى لا إله إلا هو لسمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ ؟

فقال: إى والله الذى لا إله إلا هو، حتى استحلفه ثلاثا، وهو يحلف له[1].

* **ومن معجزاته ﷺ كف الأعداء عنه ﷺ .**

قال تعالى : ﴿ **والله يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسَ** ﴾

ففى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال :

قال أبو جهل : هل يُعَفِّرُ محمد وجهه بين أظهركم ؟ (أى يسجد) قال: فقيل : نعم.

فقال : واللات والعُزَّى ! لئن رأيته يـفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه فى التراب .

قال : فـأتى رسول الله ﷺ وهو يصلى ، زعم ليطأ على رقبـته . قال : فما فجئهم منه إلا وهو ينكُصُ على عـقبيه ويتقى بيديه . قال : فقيل له ! مالك ؟

فقال : إن بينى وبينه خندقاً من نارٍ وهولاً وأجنحة .

---

(١) مسلم : الموضع السابق .

فقال رسول الله ﷺ: « **لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضواً عضواً**»(١).

وفى حديث الهجرة الطويل يقول أبو بكر الصديق رضى الله عنه :« . . فارتحلنا، والقوم يطلبوننا، فلم يدركنا أحد منهم إلا سراقة بن مالك على فرس له، فقلت: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا .

قال : « **لا تحزن إن الله معنا** » حتى إذا دنا منا ، فكان بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين أو قال رمحين أو ثلاثة .

قال :« ولم تبكى» ؟

قلت : أما ـ والله ـ ما على نفسى أبكى ،ولكن أبكى عليك، فدعا عليه رسول الله ﷺ فقال: « **اللهم أكفنا بما شئت**» فساخت (غاصت) قوائم فرسه إلى بطنها فى أرض صلد ووثب عنها وقال: يا محمد قد علمت أن هذا عملك فادع الله أن ينجينى مما أنا فيه، فوالله لأعمينَّ على منْ ورائى من الطلب، وهذه كنانتى فخذ منها سهماً ، فإنك ستمر بإبلى وغنمى فى موضع كذا وكذا فخذ منها حاجتك، قال: فقال رسول الله ﷺ : « **لا حاجة لى فيها**»(٢) .

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٧٩٧) فى صفات المنافقين، باب قوله تعالى :﴿ إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾.

(٢) رواه البخارى رقم (٣٦٥٢) فى الفضائل، باب مناقب المهاجرين وفضلهم ،ورقم (٣٩٠٥) فى مناقب الأنصار ، باب هجرة النبى ﷺ،ومسلم رقم (٢٠٠٩) فى الأشربة، باب جواز شرب اللبن،رواه أيضاً أحمد فى المسند (١/ ٣) رقم (٣).

* وفى البخارى ومسلم من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : غزونا مع رسول الله ﷺ غزاة قبل نجد، فأدركنا رسول الله ﷺ فى القائلة فى واد كثير العِضاةِ (شجر له شوك، كالسلم والأراك) ، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة فعلق سيفه بِغُصنٍ من أغصانها، وتفرق الناس فى الوادى يستظلون بالشجر، فقال رسول الله ﷺ: «**إن رجلاً أتانى وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسى والسيف صلتا فى يديه فقال: من يمنعك منى ؟ قلت: الله، فشام السيف، فها هو ذا جالس، ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ وكان ملك قومه فانصرف حين عفا عنه. فقال: لا أكون فى قوم هم حربٌ لك**» [(١)].

*** ومن معجزاته إجابة دعائه ﷺ:**

ففى صحيح مسلم[(٢)] من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال :

كنت أدعو أمى إلى الإسلام وهى مشركة، فدعوتها يوماً ، فأسمعتنى فى رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله وأنا أبكى ، فقلت : يا رسول الله إنى كنت أدعو أمى إلى الإسلام فتأبى علىّ ،

---

(١) رواه البخارى رقم (٢٩١٣) فى الجهاد ، باب تفرق الناس عند الإمام عند القائلة، ومسلم رقم (٨٤٣) فى الفضائل، باب توكله ﷺ على الله وعصمة الله تعالى له من الناس .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٤٩١) فى فضائل الصحابة، باب من فضائل أبى هريرة الدوسى رضى الله عنه .

فدعوتها اليوم فأسمعتنى فيك ما أكره، فادع الله تعالى أن يَهْدى أم أبى هريرة، فقال رسول الله ﷺ: « **اللهم اهد أُمَّ أبى هريرة** » فخرجت مستبشراً بدعوة النبى ﷺ، فلما جئت فصرت إلى الباب وقرُبت منه، فإذا هو مُجاف (مغلق)، فسمعت أمى خَشْفَ قدمىَّ (الخشف والخشفة: الصوت والحركة) فقالت: مكانك يا أباهر، وسمعت خضخضة الماء، فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هر: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. قال فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكى من الفرح، فقلت: يا رسول الله، أبشر فقد استجاب الله دعوتك، وهدى أم أبى هريرة، فحمد الله وقال خيراً .

قال، فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن يُحبِّبنى أنا وأمى إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا، فقال رسول الله ﷺ: « **اللهم حبب عبيدك هذا ـ يعنى أبا هر ـ وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهما المؤمنين** » فما خَلَقٌ من مؤمن يسمع بى ولا يرانى إلا أحبنى .

* وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : بينما رسول الله ﷺ يصلى عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نُحِرتْ جزور (بعير) بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بنى فلان، فيأخذه فيضعه على كتفى محمد إذا سجد ؟ فانبعث أشقى القوم

فأخذه، فلما سجد النبى ﷺ وضعه بين كتفيه قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا قائم أنظر، فلو كانت لى منعةٌ طرحْتُهُ عن ظهر رسول الله ﷺ، والنبى ﷺ ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة فجاءت - وهى جوْيرية - فطرحته عنه ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلما قضى النبى ﷺ صلاته رفع صوته، ثم دعا عليهم - وكان إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً - ثم قال: «**اللهم عليك بقريش**» - ثلاث مرات - فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته، ثم قال: «**اللهم عليك بأبى جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة، وشيبة ابن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبى معيط**»، (وذكر السابع ولم أحفظه) قال: فوالذى بعث محمداً ﷺ بالحق، لقد رأيت الذين سمى صرعى، ثم سحبوا إلى القليب، قليب بدر»[1].

والقليب: هو البئر التى هى غير مطوية. قاله ابن الأثير.

* وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: كان رجلٌ نصرانياً أسلم وقرأ البقرة وآل عمران، فكان يكتب للنبى ﷺ فعاد نصرانياً، فكان يقول: ما يدرى محمد إلا ما كتبت له، فأماته الله، فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم نبشوا عن

(١) رواه البخارى رقم (٢٤٠) فى الوضوء، باب إذا ألقى على ظهر المصلى قذراً أو جيفة لم تفسد عليه صلاته، ومسلم رقم (١٧٩٤) فى الجهاد، باب ما لقى النبى ﷺ من أذى المشركين والمنافقين واللفظ له، والنسائى (١/ ١٦١) فى الطهارة، باب فرث ما يؤكل لحمه يصيب الثوب.

صاحبنا، فألقوه، فحفروا له فأعمقوا فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم ، فألقوه خارج القبر، فحفروا له وأعمقوا له فى الأرض فأصبح قد لفظته الأرض ، فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه»[١].

* وعن السائب بن يزيد رضى الله عنه قال: ذهبت بى خالتى إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن ابن أختى وجعٌ، فمسح رأسى ودعا له بالبركة، ثم توضأ فشربت من وضوئه ، ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زِرّ الحجلة[٢].

قال الجعيد :رأيت السائب بن يزيد ابن أربع وتسعين جلْداً معتدلاً .

* وعن زيد بن أخطب رضى الله عنه قال:

« مسح رسول الله ﷺ بيده على وجهى ،ودعا لى ، قال غزْرة : فلقد رأيته بعدما عاش عشرين ومائة سنة،وليس فى لحيته إلا شعيرات تُعدُّ بيضٌ» .[٣]

ومما لا شك فيه أن هناك فيض غزير من الأمثلة فى هذا الباب، ولكنا

---

(١) رواه البخارى رقم (٣٦١٧) فى المناقب ، باب علامات النبوة فى الإسلام واللفظ له، ومسلم رقم (٢٧٨١) فى المنافقين فى فاتحته.

(٢) رواه البخارى رقم (١٩٠) فى الوضوء، باب استعمال فضل وضوء الناس، ومسلم رقم (٢٣٤٥) فى الفضائل ، باب إثبات خاتم النبوة واللفظ له، والترمذى رقم (٣٦٤٦) فى المناقب .

(٣) أخرجه الترمذى رقم (٣٦٣٣) فى المناقب، ورواه أيضاً أحمد فى المسند (٥/ ٣٤١) رقم (٢٢٧٨٨) وقال محققه : إسناده صحيح واللفظ له.

اكتفينا بذلك خشية الإطالة.

*** ومن معجزاته ﷺ إخباره عن المغيبات:**

ففى البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال:

لما فتحت خيبر أهديت للنبى ﷺ شاة فيها سُمٌّ، فقال النبى ﷺ: «**اجمعوا لى من كان هاهنا من يهود**» فجمعوا له، فقال ﷺ: «**إنى سائلكم عن شىء، فهل أنتم صادقىَّ عنه**»؟ فقالوا: نعم فقال لهم النبى ﷺ: «**من أبوكم؟**» قالوا: فلان، فقال: «**كذبتم، بل أبوكم فلان**»، قالوا: صدقت فقال: «**فهل أنتم صادقى عن شىء إن سألت عنه**»؟

فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته فى أبينا، فقال لهم: «**من أهل النار؟**» قالوا: نكون فيها يسيراً، ثم تخلفونا فيها، فقال النبى ﷺ: «**اخسئوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبداً**»، ثم قال: «**هل أنتم صادقى عن شىء إن سألتكم عنه ؟**» قالوا: نعم يا أبا القاسم، قال: «**هل جعلتم فى هذه الشاة سُماً**»، قالوا: نعم، قال: «**فما حملكم على ذلك ؟**»

قالوا: إن كنت كاذباً نستريح، وإن كنت نبياً لم يضرك»[1].

(١) رواه البخارى رقم (٣١٦٩) فى الجزية والموادعة، باب إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يعفى عنهم؟

* **ومن معجزاته ﷺ انقياد الشجر بأمره :**

ففى صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا وادياً أفيح، فذهب رسول الله ﷺ يقضى حاجته فاتبعتُه بإداوة من ماء.

فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئاً يستتر به فإذا شجرتان بشاطىء الوادى، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما فأخذ بغُصنٍ من أغصانها فقال: « **انْقَادِى عَلَىَّ بإِذْنِ الله** » فانقادت معه كالبعير المخشوش[1]، الذى يصانع قائده حتى أتى الشجرة الأخرى، فأخذ بغصن من أغصانها فقال: « **انقادى على بإذن الله** » فانقادت معه كذلك حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما، لأم بينهما (يعنى جمعهما)، فقال: « **التئما علىَّ بإذن الله** » فالتأمتا، قال جابر: فخرجتُ أُحْضِرُ مخافة أن يُحِسَّ رسول الله ﷺ بقُرْبى فيبتعد(وقال محمد بن عباد : فيتبعد)، فجلستُ أُحدِّثُ نفسى فحانت منى لفتة، فإذا أنا برسول الله ﷺ مقبلاً، وإذا الشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساقٍ. . »[2].

---

(١) قال النووى فى شرح مسلم : « هو بالخاء والشين المعجمتين، وهو الذى يجعل فى أنفه خشاش بكسر الخاء، وهو عود يجعل فى أنف البعير إذا كان صعباً ويشد فيه حبل ليذل وينقاد، وقد يتمانع لصعوبته، فإذا اشتد عليه وآله انقاد شيئاً ، ولهذا قال الذى يصانع قائده، وفى هذا من المعجزات الظاهرة لرسول الله ﷺ.

(٢) رواه مسلم رقم (٣٠١٢) فى الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبى اليسر.

*** ومن معجزاته ﷺ إبراء المرضى بإذن الله :**

ففى البخارى ومسلم من حديث سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه**»، قال: فبات الناس يدوكون [١] ليلتهم أيهم يُعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يُعطاها، فقال: « **أين علىّ ابن أبى طالب** » ؟ فقالوا: يشتكى عينيه يا رسول الله. قال: فأرسلوا إليه فَأتُونى به، فلما جاء بصَقَ فى عينيه ودعا له، فبَرأ حتى كأنْ لم يكنْ به وجع .. »[٢]

*** ومن معجزاته ﷺ إخباره أن سيكون وكان فى حياته :**

عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا، فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره ومال الآخرون إلى عسكرهم ـ وفى أصحاب رسول الله ﷺ رجلٌ لا يدع لهم شاذة ولا فاذَّة إلا اتبعها يضربها بسيفه. فقيل: ما أجزأ منا اليوم أحدٌ

---

(١) يدوكون : باب القوم يدوكون دوكاً: إذا وقعوا فى أخلاط ودوران وخاضوا فى الأمر (جامع الأصول : ٨/ ٦٥٤).

(٢) رواه البخارى رقم (٣٧٠١) فى فضائل أصحاب النبى ﷺ ، باب مناقب على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ومسلم رقم (٢٤٠٧) فى فضائل الصحابة، باب من فضائل على ابن أبى طالب رضى الله عنه .

كما أجزأ فلان، فقال رسول الله ﷺ : « **أما إنه من أهل النار** » .

فقال رجل من القوم: أنا صاحبه. قال: فخرج معه كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه. قال: فجرح الرجلُ جُرحاً شديداً، فاستعجل الموت، فوضع سيفه بالأرض وذُبابه بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه، فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أشهد أنك رسول الله. قال: « **وماذاك ؟** » قال: الرجل الذى ذكرت آنفاً أنه من أهل النار ، فأعظم الناس ذلك، فقلت: أنا لكم به، فخرجتُ فى طلبه ثمَّ جُرح جرحاً شديداً فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه فى الأرض وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فقال رسولُ الله ﷺ عند ذلك: « **إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس،وهو من أهل النار،وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة** »[1].

* وعن سعد بن معاذ رضى الله عنه قال: كان صديقاً لأمية بن خلف، وكان أمية إذا مر بالمدينة نزل على سعد، وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أمية، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة انطلق سعداً معتمراً، فنزل على أمية بمكة، فقال لأمية: انظر لى ساعة خلوة لعلى أن أطوف بالبيت، فخرج به قريباً من نصف النهار فلقيهما أبو جهل، فقال: يا أبا

---

(١) رواه البخارى رقم (٤٢٠٣) فى المغازى ، باب غزوة خيبر .

صفوان، من هذا معك؟ فقال: هذا سعدٌ، فقال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بمكة آمناً وقد أويتم الصباة وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم. أما والله لولا أنك مع أبى صفوان ما رجعت إلى أهلك سالماً، فقال له سعد ورفع صوته عليه ـ أما والله لئن منعتنى هذا لأمنعنك ما هو أشدُّ عليك منه: طريقك على المدينة، فقال له أمية: لا ترفع صوتك يا سعدُ على أبى الحكم سيد أهل الوادى. فقال سعد: دعْنا عنك يا أمية، فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول إنهم قاتلوك، قال: بمكة؟ قال: لا أدرى، ففزع لذلك أمية فزعاً شديداً، فلما رجع أمية إلى أهله قال: يا أم صفوان، ألم تر ما قال لى سعدٌ؟ قالت: وما قال لك؟ قال: زعم أن محمداً أخبرهم أنهم قاتلى، فقلت له: بمكة؟ قال: لا أدرى.

فقال أمية والله لا أخرج من مكة، فلما كان يوم بدر استنفر أبو جهل الناس قال: أدركوا عيركم، فكره أمية أن يخرج، فأتاه أبو جهل، فقال: يا أبا صفوان إنك متى ما يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادى تخلفوا معك، فلم يزل به أبو جهل حتى قال: أما إذ غلبتنى، فوالله لأشترين أجود بعير بمكة، ثم قال أمية: يا أم صفوان جهزينى، فقالت له: يا أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربىُّ؟ قال: لا، ما أريد أن أجوز معهم إلا قريباً، فلما خرج أمية أخذ لا يترك منزلاً إلا عقل بعيره، فلم يزل بذلك حتى قتله الله عز وجل

ببدر[١].

* وفى صحيح مسلم أن عمر بن الخطاب قال :

إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس.

يقول: « **هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله** ».

قال: فقال عمر: فوالذى بعثه بالحق ! ما أخطئوا الحدود التى حَدَّ رسول الله ﷺ.

قال: فجعلوا فى بئر بعضهم على بعض: فانطلق رسول الله ﷺ حتى انتهى إليهم فقال: « **يا فلان بن فلان! ويا فلان بن فلان ! هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقاً ؟ فإنى قد وجدت ما وعدنى الله حقاً**».

قال عمر : يا رسول الله : كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها ؟

قال : « **ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يرُدّوا على شيئاً** »[٢].

(١) رواه البخارى رقم (٣٩٥٠) فى المغازى ، باب ذكر النبى ﷺ من يقتل ببدر.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٨٧٣) فى الجنة وصفة نعيمها ،وأهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار .

الفصل الثالث

شيء من أخلاقه ﷺ

لقد أثنى الله تبارك وتعالى على نبيه المجتبى وحبيبه المصطفى ﷺ غاية الثناء ، بل وأقسم قسم عظيم على أن نبيه على خلق عظيم:

قال جل وعلا: ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

[القلم : ١ ـ٤]

قسم عظيم من رب كريم على أن المصطفى على خلق عظيم .

كما أثنى عليه سبحانه فقال:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

وبين جلا وعلا شفقة هذا النبى الكريم على أمته،فقال تعالى :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨]

وحث الله تبارك وتعالى نبيه الكريم ﷺ على خفض الجناح للمؤمنين بقوله :﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[الشعراء :٢١٥]

ولقد وصفته زوجه أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عندما سألها هشام بن عامر: يا أم المؤمنين انبئينى عن خلق رسول الله ﷺ .

قالت: ألست تقرأ القرآن ؟ قلت بلى. قالت: « **فإن خلق نبى الله ﷺ القرآن**»[١].

ووصفه خادمه أنس بن مالك رضى الله عنه الذى كان يلازمه فى حله وترحاله .

فقال: « **كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلقاً**»[٢].

وقال هو عن نفسه ﷺ :

« **إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[٣].

وقد اجتمعت فى رسول الله ﷺ خصال الخيركلها من حياء وكرم وشجاعة ووفاء ونجدة وشهامة وحسن استقبال، وحلم وحسن سريرة، وصدق حديث ولغة وطهارة وزكاء نفس وسائر خصال الخير، وإليك شىء مما جاء فى أخلاقه.

* ففى الصحيحين عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « كان

(١) رواه مسلم رقم (٧٤٦) فى صلاة المسافرين، باب جامع فى صلاة الليل ومن نام عنه .
(٢) رواه البخارى رقم (٦٢٠٣) فى الأدب، باب الكنية للصبى وقبل أن يولد للرجل، ومسلم رقم (٢١٥٠) باب استحباب تحنك المولود عند ولادته، وأبو داود رقم (٤٩٦٩) فى الأدب، والترمذى رقم (٣٣٣) فى الصلاة على البسط.
(٣) رواه أحمد فى المسند (٢/ ٣٨١) حديث رقم (٨٩٣٢) ، والبخارى فى الأدب المفرد رقم (٢٧٣) ، وهو فى صحيح الجامع رقم (٢٣٤٩).

رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، وكان لى أخ يقال له: أبو عمير - قال أحسبه فطيماً - وكان إذا جاء قال: « **يا أبا عمير، ما فعل النغير** » لنُغَرٍ كان يلعب به، فربما حضر الصلاة وهو فى بيتنا، فيأمر بالبساط الذى تحته فيكنس و ينضح، ثم يقوم ونقوم خلفه فيصلى بنا»[(١)].

* وعنه رضى الله عنه قال:

« **والله ! لقد خدمته تسع سنين. ما علمته قال لشىء صنعته . لم فعلت كذا وكذا ؟ أو لشئ تركته هلا فعلت كذا وكذا** »[(٢)].

* وعنه رضى الله عنه قال :

كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، فأرسلنى يوماً لحاجة، فقلت: والله لا أذهب وفى نفسى أن أذهب لما أمرنى به نبى الله ﷺ فخرجت حتى أَمُرَّ على صبيان وهم يلعبون فى السوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاى من ورائى، قال: فنظرت إليه وهو يضحك. فقال: « **يا أنيس! اذهب حيث أمرتك ؟** » **قال: قلت: نعم أنا أذهب يا رسول الله**»[(٣)]

---

(١) رواه البخارى رقم (٦٢٠٣) فى الأدب، باب الكنية للصبى وقبل أن يولد للرجل، ومسلم رقم (٢١٥٠) فى الأدب ، باب استحباب تحنك المولود عند ولادته، وأبو داود رقم (٤٩٦٩) فى الأدب ،والترمذى رقم (٣٣٣) فى الصلاة ، باب فى الصلاة على البسط.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٣٠٩) فى الفضائل ، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً .

(٣) رواه مسلم رقم (٢٣١٠) فى الفضائل ،باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً .

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما:

« كان النبي ﷺ أجود الناس وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ،وكان جبريل عليه السلام يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ،فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»[١].

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت :

«ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين ، إلا أخذ أيسرهما،مالم يكن إثماً،فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه،وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حُرمةُ الله فينتقم لله بها »[٢].

* وعن عائشة رضي الله عنها أيضاً قالت:

«ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده،ولا امرأة ،ولا خادماً،إلا أن يجاهد في سبيل الله ،وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه،إلا أن يُنتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عز وجل »[٣].

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

« كان النبي ﷺ إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٥٥٤) في المناقب ، باب صفة النبي ﷺ،واللفظ له ومسلم رقم (٢٣٠٨) في الصلاة ، باب الاستماع للقراءة.

(٢) رواه البخاري رقم(٣٥٦٠) في الأنبياء، باب صفة النبي ﷺ،واللفظ له ومسلم رقم (٢٣٢٧) في الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام،والموطأ (٢/ ٩٠٣) في حسن الخُلق ،وأبو داود رقم (٤٧٨٥) في الأدب .

(٣) رواه مسلم رقم (٢٣٢٨) في الفضائل ، باب مباعدته ﷺ للآثام ،وأبو داود رقم (٤٧٨٦) في الأدب.

يكون الرجل ينزع يده،ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو يصرفه ،ولم يُر مقدِّماً ركبتيه بين يدى جليس له » [(١)].

* وعن أنس رضى الله عنه أيضاً قال :

« كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلقُ به حيث شاءت » [(٢)].

* وعن ابن أبى أوفى رضى الله عنه قال :

« كان رسول الله ﷺ يُكثر الذكر،ويُقلُّ اللغو،ويطيل الصلاة،ويقصر الخطبة،ولا يأنف ولا يستكبر أن يمشى مع الأرملة والمسكين والعبد حتى يقضى له حاجته» [(٣)].

* وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال:

« كان النبى ﷺ أشدَّ حياءً من العذراء فى خدرها » [(٤)].

* وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

« ما عاب النبى ﷺ طعاماً قط،إن اشتهاه أكله،وإلا تركه » [(٥)].

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٧٩٤) فى الأدب، باب فى حسن العشرة،والترمذى رقم (٢٤٩٢) فى صفة القيامة. وحسنه الألبانى فى صحيح سنن أبى داود (٤٠٠٩) .

(٢) رواه البخارى رقم (٦٠٧٢) فى الأدب، باب الكبر.

(٣) رواه النسائى (٣/ ١٠٩) فى الجمعة، باب ما يستحب من تقصير الخطبة ،وهو فى صحيح الجامع (٥٠٠٥)

(٤) رواه البخارى رقم (٣٥٦٢) فى المناقب، باب صفة النبى ﷺ،واللفظ له ومسلم رقم (٢٣٢٠) فى الفضائل.

(٥) رواه البخارى رقم (٣٥٦٣) فى المناقب ، باب صفة النبى ﷺ،باب كثرة حياءه ﷺ.

* وعن أنس رضى الله عنه قال :

« ما سُئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه. قال: فجاءه رجلٌ فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال:يا قوم ! أسلموا . فإن محمداً يعطى عطاءً لا يخشى الفاقة » (١).

* وعن ابن شهاب رضى الله عنه قال :

« غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح،فتح مكة.ثم خرج رسول الله ﷺ بمن معه من المسلمين فاقتتلوا بحنين،فنصر الله دينه والمسلمين،وأعطى رسول الله ﷺ يومئذٍ صفوان بن أمية مائةً من النَّعم، ثم مائةً،ثم مائةً

قال ابن شهاب:حدثنى سعيد بن المسيب أن صفوان قال: والله لقد أعطانى رسول الله ﷺ ما أعطانى،وإنه لأبغض الناس إلىّ،فما برح يعطينى حتى إنه لأحب الناس إلىّ»(٢).

* وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ :

« ولد لى الليلة غلام،فسميته باسم أبى إبراهيم» ثم دفعه إلى أم سيف امرأة قَيْنٍ يقال له:أبو سيف،فانطلق يأتيه واتَّبَعْتُه،فانتهينا إلى أبى سيف وهو ينفخ بكيره. قد امتلأ البيت دُخاناً،فأسرعت المشى بين يدى رسول الله ﷺ. فقلت:يا أبا سيف ! أمسك. جاء رسول الله ﷺ

(١) رواه مسلم رقم(٢٣١٢) فى الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا .
(٢) رواه مسلم رقم (٢٣١٣) فى الفضائل ، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال:لا

فأمسك، فدعا النبى ﷺ بالصبى، فضمه إليه، وقال ما شاء الله أن يقول، فقال أنس: لقد رأيته وهو يكيد بنفسه بين يدى رسول الله ﷺ (أى يجود بها ومعناه وهو فى النزع) فدمعت عينا رسول الله ﷺ، فقال: «**تدمع العين ويحزن القلب. ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، والله ! يا إبراهيم إنا بك لمحزونون**»(١).

* وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: أن الأقرع بن حابس أبصر النبى ﷺ يُقبِّل الحسن، فقال: إن لى عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم، فقال رسول الله ﷺ: « **إنه من لا يرحم لا يرحم**»(٢).

* عن سماك بن حرب قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس رسول الله ﷺ ؟ قال: نعم، كثيراً كان لا يقوم من مصلاه الذى يصلى فيه الصبح حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت قام، وكانوا يتحدثون فيأخذون فى أمر الجاهلية فيضحكون ويبتسم النبى ﷺ(٣).

* وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال:

« كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها

---

(١) رواه البخارى رقم (١٣٠٣) فى الجنائز، باب قول النبى ﷺ: إنا بك لمحزونون، مسلم رقم (٢٣١٥) فى الفضائل، باب رحمته ﷺ بالصبيان والعيال وتواضعه واللفظ له، وأبوداود رقم (٣١٢٦) فى الجنائز.

(٢) رواه البخارى رقم (٥٩٩٧) فى الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله، ومسلم رقم (٢٣١٨) فى الفضائل ، باب رحمته ﷺ بالصبيان والعيال وتواضعه واللفظ له.

(٣) رواه مسلم رقم (٢٣٢٢) فى الفضائل، باب تبسمه ﷺ وحسن عشرته.

الماء فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها، فربما جاءوه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها»[١].

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أيضاً قال:

أن امرأة كان في عقلها شيء فقالت: يا رسول الله ! إن لي إليك حاجة فقال: « **يا أم فلان ! انظري أي السكك شئت ، حتى أقضي لك حاجتك، فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها**»[٢]

* وعن جابر بن سمرة قال: صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى، ثم خرج إلى أهله وخرجت معه، فاستقبله ولدان، فجعل يمسح خَدَّيْ أحدهم واحداً واحداً. قال: وأمَّا أنا فمسح خدي. قال : فوجدت ليده بَرْداً أو ريحاً، كأنما أخرجها من جُؤْنة عطَّار[٣] (السقط الذي فيه متاع العطار).

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخل علينا النبي ﷺ فقال (أي نام القيلولة) عندنا، فعرق وجاءت أُمِّي بقارورة، فجعلت تسلُتُ العرق فيها، فاستيقظ النبي ﷺ فقال: « **يا أم سليم ! ما هذا الذي تصنعين؟**» قالت: هذا عَرَقك نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب[٤].

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٣٢٤) في الفضائل ، باب قرب النبي ﷺ من الناس وتبركهم به.
(٢) رواه مسلم رقم (٢٣٢٦) في الفضائل ، باب قرب النبي ﷺ من الناس وتبركهم به.
(٣) رواه مسلم رقم (٢٣٢٩) في الفضائل ، باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره للمباح.
(٤) رواه مسلم رقم (٢٣٣١) في الفضائل ، باب طيب عرق النبي ﷺ ، والتبرك به.

* وعن الأسود بن يزيد النخعى رحمه الله قال : سألت عائشة ما كان النبى ﷺ يصنع فى بيته ؟

قالت: « **كان يكون فى مهنة أهله (تعنى خدمة أهله)، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة** »(١) .

* وعن عبد الله بن الحارث رضى الله عنه قال :

« **ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ** »(٢) .

*وفى البخارى من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال: كنت أمشى مع النبى ﷺ وعليه بُرْدٌ نجرانى غليظ الحاشية، فأدركه أعرابى فجبذه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت بهما حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد، مُرْ لى من مال الله الذى عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ، ثم ضحك وأمر له بعطاء.

وفى رواية نحوه ،وفيه: « **حتى إذا انشق البُرْد، وحتى بقيت حاشيته فى عنق رسول الله ﷺ** »(٣) .

* وفى الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال:

---

(١) رواه البخارى رقم (٦٧٦) فى الأذان ، باب من كان فى حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج ،والترمذى رقم (٢٤٩١) فى صفة القيامة.

(٢) رواه الترمذى رقم (٣٦٤٥) فى المناقب وصححه الألبانى (صحيح الترمذى ٢٨٨٠).

(٣) رواه البخارى رقم (٥٨٠٩) فى اللباس، باب البرود والحبر والشملة.

كان رسـول الله ﷺ أحسن الناس وجـهاً، وكان أجـود الناس، وكان أشـجع الناس، ولقد فـزع أهل المدينة ذات ليلة فـانطلق ناس من قِـبَلَ الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً، وقد سبقهم إلى الصوت ـ وفى رواية: وقد استبرأ الخـبر ـ وهو على فرس لأبى طلحة عُرْىٍ(*) فى عنقه السيف، وهو يقول: « **لن تُراعوا، قال: وجدناه بحـراً ـ أو إنه لبحر ـ قال: وكان فرساً يُبطَّأ** »[1].

* وفى صحـيح مسلم عن معاوية بن الحـكم السُّلمىِّ قال: بينا أنا أصلى مع رسـول الله ﷺ إذ عطس رجل من القـوم. فقلت: يرحـمك الله! فرمانى القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه! ما شأنكم؟ تنظرون إلىَّ، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخـاذهم فلمَّا رأيتهم يُصَمِّتُوننى، لكنى سكت، فلمـا صلى رسول الله ﷺ، فبـأبى هو وأمى! ما رأيت مُعلماً قبله ولا بعده أحسن تعليـماً منه، فوالله! ما كهرنى ولا ضربنى ولا شتمنى قال: « **إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شىء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير، وقراءة القرآن** »[2].

* وفى صحيح مسلم[3] أيضاً من حـديث أنس بن مالك رضى الله

(*) الفرس العُرى: أى ليس عليه سرج ولا أداة.

(١) رواه البخـارى رقم (٢٩٠٨) فى الجهاد والسيـر، باب الحمائل وتعليق السـيف، ومسلم رقم (٢٣٠٧) فى الأدب، والترمذى رقم (١٦٨٥) فى الجهاد.

(٢) رواه مسلم رقم (٥٣٧) فى المساجد، باب تحريم الكلام فى الصلاة.

(٣) رواه مسلم رقم (٢٨٥) فى الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات.

عنه قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي . فقام يبول في المسجد فقال أصحاب رسول الله ﷺ : مَهْ مَهْ، قال: قال رسول الله ﷺ: « **لا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ** » فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: « **إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر. إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة، وقراءة القرآن** » أو كما قال رسول الله ﷺ، فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فَشَنَّه عليه(أي فصبه عليه).

* وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

بعث رسول الله ﷺ خيلاً قِبَل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة، يقال له ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال: « **ماذا عندك يا ثمامة؟!** » فقال: عندي يا محمد خير إن تقتل تقتل ذا دم[1]، وأن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان بعد الغد، فقال: « **ما عندك يا ثمامة!** »؟ قال: ما قلت لك إن تُنْعِمْ تُنْعَمْ على شاكر، وإن تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله ﷺ حتى

(١) قال الحافظ في الفتح: قال النووي : معنى رواية الأكثر إن تقتل تقتل ذا دم أي صاحب دم لدمه موقع يشتفي قاتله بقتله، ويدرك ثأره ورياسته وعظمته ، ويحتمل أن يكون المعنى أنه عليه دم وهو مطلوب به ، فلا لوم عليك في قتله (الفتح ٨ / ١١٠).

كان من الغد، فقال: « **ماذا عندك يا ثمامة ؟!** » فقال عندى: ما قلت لك. إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم . وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فقال رسول الله ﷺ: «**أطلقوا ثمامة**» فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلىّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلى، والله ما كان من دين أبغض إلىّ من دينك فأصبح دينك أحب الدين كله إلى، والله ما كان من بلد أبغض إلىّ من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلىّ، وإن خيلك أخذتنى، وأنا أريد العمرة فماذا ترى ؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل: أَصَبَوْت ؟ فقال: لا ولكنى أسلمت مع رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبةُ حِنْطَة حتى يأذن فيها النبى ﷺ [١].

وأخرج الطبرى[٢] والحاكم وأبى الشيخ فى أخلاق النبى ﷺ وابن سعد وغيرهم جاء زيد بن سعنة إلى رسول الله ﷺ يطلبه دينا له

(١) رواه البخارى رقم (٤٣٧٢) فى المغازى ، باب وفد بنى حنيفة ،وحديث ثمامة بن أثال ،ومسلم رقم (١٧٦٥) فى الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه.

(٢) ذكر ابن حجر هذه القصة فى الإصابة وعزاها إلى الطبرانى والحاكم وأبى الشيخ ،وابن سعد وغيرهم ، ثم قال : ورجال إسناده موثوقون ،وذكره ابن كثير فى البداية والنهاية وعزاه إلى أبى نعيم فى الدلائل، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٨/ ٢٤٠) : رواه الطبرانى ورجاله ثقات.

عليه، فأخذ بمجامع قميصه وردائه وجذبه، وأغلظ له القول، ونظر إلى النبى ﷺ بوجه غليظ، وقال: يا محمد ألا تقضينى حقى، إنكم يا بنى عبد المطلب قوم مُطْلٌ وشدد له فى القول، فنظر إليه عمر وعيناه تدوران فى رأسه كالفلك المستدير. ثم قال: يا عدو الله أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع، وتفعل ما أرى، فوالذى بعثه بالحق لولا ما أحاذر لومه لضربت بسيفى رأسك، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر فى سكون وتُؤدة وتبسمٌ، ثم قال:

«أنا وهو يا عمر كنا أحوج إلى غير هذا منك، أن تأمرنى بحسن الأداء وتأمره بحسن التقاضى، اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعاً من تمر» .

فقال زيد بن سعنة: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

وكان زيد قبل هذه القصة يقول: لم يبق شىء من علامات النبوة إلا قد عرفتها فى وجه محمد ﷺ إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً.

* وفى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال:

قدم طفيل بن عمر الدوسى وأصحابه على النبى ﷺ فقالوا: يا رسول الله إن دوساً عَصَتْ وأبت فادع الله عليها، فقيل: هلكت دوس.

قال: « **اللهم اهد دوساً وائت بهم**»[١].

* وفى مسند الإمام أحمد عن أبى أمامة رضى الله عنه قال:

إن فتى شاباً أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لى فى الزنا ، فأقبل القوم عليه فزجروه ، وقالوا : مه مه، فقال: ادنه فدنا منه قريباً قال : فجلس قال : « **أتحبه لأمك؟** » قال : لا والله جعلنى الله فداءك ، قال: « **ولا الناس يحبونه لأمهاتهم** » قال: « **أفتحبه لابنتك؟** » قال لا والله يا رسول الله جعلنى الله فداءك، قال: « **ولا الناس يحبونه لبناتهم** » قال: « **أفتحبه لأختك** » ؟ قال: لا والله جعلنى الله فداءك، قال : « **ولا الناس يحبونه لأخواتهم** »، قال « **أفتحبه لعمتك** » ؟ قال: لا والله جعلنى الله فداءك، قال : « **ولا الناس يحبونه لعماتهم** » قال: « **أفتحبه لخالتك؟** » قال : لا والله جعلنى الله فداءك ، قال: « **ولا الناس يحبونه لخالاتهم** » قال : فوضع يده عليه وقال: « **اللهم اغفر ذنبه وطَهِّر قلبه، وحَصِّن فَرْجَه** » فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شىء» [٢].

---

(١) رواه البخارى رقم (٢٩٣٧) فى الجهاد ، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم ، ومسلم رقم (٢٥٢٤) فى فضائل الصحابة ، باب فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع وتميم ودوس وطىء، وأخرجه أيضاً الإمام أحمد (٢/ ٢٤٣، ٤٤٨).

(٢) رواه أحمد فى المسند (٥/ ٢٥٦ ، ٢٥٧) رقم (٢٢١١٢) ، وقال الألبانى فى الصحيحة رقم (٣٧١) : وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح.

الفصل الرابع

بعض فضائل الصحابة الكرام

لقد زكى الله تبارك وتعالى الصحابة الكرام فى غير موضع من كتاب الله، ومن ثم زكاهم النبى المصطفى ﷺ .

وفضائلهم رضوان الله عليهم كثيرة لا تحصى قد امتلأت بها كتب السير والتاريخ .

وما أجمل ما قاله ابن مسعود رضى الله عنه :

« إن الله نظر فى قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر فى قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيئ»[1].

وما أجمل مقالته رضى الله عنه :

من كان مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحى لا تؤمن عليه الفتنة، فأولئك أصحاب محمد ﷺ أبرُّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً قد اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ ، وإقامة دينه فاعرفوا لهم

(١) رواه أحمد فى المسند (١/ ٣٧٩) رقم (٣٦٠٠) ، وقال الشيخ شاكر: إسناده صحيح .

حقهم وتمسكوا بهديهم فإنهم على الهدى المستقيم»[1] .

قلت : ولم لا وهم من زكاهم الله جل وعلا وعدَّلهم فى غير موضع فى كتابه العزيز، وإليك بعض هذه الآيات التى زكى فيها رب العزة تبارك وتعالى صحابة النبى ﷺ :

قال الخطيب البغدادى فى كتابه « الكفاية فى علم الرواية »:

إن عدالة الصحابة ثابتة معلومه بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم فى نصّ القرآن، قال الرحمن الرحيم :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]

والمخاطب ابتداءً بالخطاب الربانى هم أصحاب الحبيب النبى ﷺ، وهم المخاطبون ابتداءً بقوله تعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣]

وهم المخاطبون بقوله جل وعلا :

﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ

---

(١) أخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٧) والهروى ورقمه (٨٦) ،وفيه من طريق قتادة عنه فهو منقطع (قاله الألبانى فى تخريج المشكاة ص ١٩٣).

ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران : ١٧٢ ـ ١٧٤]

وقال الله عز وجل فى حقهم مخاطباً النبى ﷺ :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ٦٤]

وهم الذين قال الله عـز وجل فى حقهم : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ١١٥]

وهم الذين قال الله فى حقهم :

﴿ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

[التوبة : ٨٨ ـ ٨٩]

وقال الله تعالى: ﴿ لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٧]

وقد أمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يصبر نفسه معهم .

قال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ [الكهف: ٢٨]

وهم الذين قال الله فى حقهم :

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي

قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨] .

وهم الذين قال الله فى حقهم :

﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠]

وهم الذين زكاهم الله عز وجل بقوله :

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر :٨ ـ ٩]

وهم الذين قال الله عز وجل فى حقهم :

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾

[الفتح:٢٩]

نعم أيات كثيرة عظيمة فى الكتاب العزيز زكى الله بها أصحاب النبى ﷺ و لكنا نكتفى بهذا القدر منها وندعوك لنحلق سوياً فى سماء تلك الأوسمة ، أوسمة سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ

* ففى الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه :

قال رسول الله ﷺ :

« **خير الناس قرنى، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم، ثم يجئ أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه،ويمينه شهادته** »(١)

وقال إبراهيم :« وكانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ».

قال النووى فى شرح مسلم :

اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه ﷺ ،والمراد أصحابه ،وقد قدمنا أن الصحيح الذى عليه الجمهور أن كل مسلم رأى النبى ﷺ ولو ساعة فهو من أصحابه . قال:ورواية:« **خير الناس** » على عمومها،والمراد منه جملة القرن،ولا يلزم منه تفضيل الصحابى على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم،ولا أفراد النساء على مريم وآسية وغيرهما،بل المراد جملة القرن بالنسبة إلى كل قرن بجملته .

قال القاضى:واختلفوا فى المراد بالقرن هنا،فقال المغيرة:قرنه

---

(١) رواه البخارى رقم (٢٦٥٢) فى الشهادات ، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد،ومسلم رقم (٢٥٣٣) فى فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة الذين يلونهم ،والترمذى رقم (٣٨٥٨) فى المناقب .

أصحابه والذين يلونهم أبناؤهم، والثالث: أبناء أبنائهم، وقال شهر: قرنه ما بقيت عين رأته، والثانى ما بقيت عين رأت من رآه، ثم كذلك، وقال غير واحد: القرن: كل طبقة مقترنين فى وقت ،وقيل : هو لأهل مدة بعث فيها نبى طالت مدته أم قصرت.

ثم قال رحمه الله: الصحيح أن قرنه ﷺ الصحابة. والثانى: التابعون، والثالث : تابعوهم . أ هـ .

* وفى الصحيحين من حديث أنس رضىَ الله عنه قال :

مُرَّ بجنازة فأثنى عليها خيراً. فقال النبى ﷺ : « **وجَبتْ ،وجَبَتْ وَجَبَتْ**»، ومُرَّ بجنازة فأثنى عليها شراً. فقال نبى الله ﷺ:« **وجبت ،وجبت،وجبت**» . قال عمر: فدى لك أبى وأمى، مُر بجنازة فأُثنى عليها خيّرا فقلت : وجبت وجبت وجبت، ومُرَّ بجنازة فأثنى عليها شراً فقلت: وجبت وجبت وجبت ؟

فقال رسول الله ﷺ: « **من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة،ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار،أنتم شهداء الله فى الأرض،أنتم شهداء الله فى الأرض ،أنتم شهداء الله فى الأرض**». [1]

* وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: « **لا تَسُبُّوا أصحابى** » وفى رواية: «**لا تسبوا أحداً من أصحابى**

(١) رواه البخارى رقم (١٣٦٧) فى الجنائز ،باب ثناء الناس على الميت، ومسلم رقم (٩٤٩) فى الجنائز، باب فيمن يثنى عليه خيرا وشرا من الموتى، واللفظ له .

فلو أن أحداً أنفق مثل أُحدٍ ذهباً ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه». [١]

قال النووي في شرح مسلم:

قال أهل اللغة: النصيف: النصف، ومعناه: لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً فبلغ ثوابه في ذلك ثواب نفقة أحد أصحابي مدًا ولا نصف مد، قال القاضي: ويؤيد هذا ما قدمناه في أول باب فضائل الصحابة عند الجمهور من تفضيل الصحابة كلهم على جميع من بعدهم، وسبب تفضيل نفقتهم أنها كانت في وقت الضرورة وضيق الحال، بخلاف غيرهم، ولأن إنفاقهم كان في نصرته ﷺ وحمايته، وذلك معدوم بعده وكذا جهادهم وسائر طاعتهم، وقد قال الله تعالى: ﴿ **لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة** .. ﴾ الآية

[الحديد: ١٠]

هذا كله مع ما كان في أنفسهم من الشفقة والتودد والخشوع والتواضع والإيثار والجهاد في الله حق جهادة، وفضيلة الصحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل، ولا تنال درجتها بشيء، والفضائل لا تؤخذ بقياس، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، قال القاضي: ومن أصحاب

---

(١) رواه البخاري (٣٦٧٣) في فضائل أصحاب النبي ﷺ، ومسلم رقم (٢٥٤) في فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، وأبو داود رقم (٤٦٥٨) في السنة، باب النهي عن سب أصحاب النبي ﷺ، والترمذي رقم (٣٨٦٠) في المناقب باب فيمن سب أصحاب النبي ﷺ.

الحديث من يقول: هذه الفضيلة مختصة بمن طالت صحبته وقاتل معه، وأنفق وهاجر ونصر، إلا لمن رآه مرة كوفود الأعراب أو صحبه آخراً بعد الفتح بعد إعزاز الدين ممن لم يجد له هجرة ولا أثر فى الدين ومنفعة المسلمين، قال: والصحيح هو الأول وعليه الأكثرون والله أعلم . أ. هـ .

* وفى صحيح مسلم عن عائذ بن عمرو: أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال فى نفر فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها قال أبو بكر : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبى ﷺ فأخبره فقال: «**يا أبا بكر لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك** ».

فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه ! أغضبتكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخى!»[1]

* وفى صحيح البخارى من حديث أبى سعيد الخدرى أن الحبيب النبى ﷺ قال: « **يُدعى نوح يوم القيامة ، فيقول : لبيك وسعديك يا رب فيقول: هل بلَّغت ؟ فيقول :نعم،فيقال لأمتِه: هل بلَّغكم ؟ فيقولون:ما أتانا من نذير،:فيقول: من يشهد لك ؟ فيقول: محمد وأمته**

(١) رواه مسلم رقم (٢٥٠٤) فى كتاب فضائل الصحابة، باب من فضل سليمان ، وصهيب وبلال رضى الله عنهم.

،فيشهدون أنه قد بلغ،ويكون الرسولُ عليكم شهيداً،فذلك قوله جل ذكره: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة : ١٤٣] (١)

قال الحافظ فى الفتح (٨/ ٢١٨) :

أخرج ابن أبى حاتم بسند جيد عن أبى العالية عن أبى بن كعب فى هذه الآية قال: ﴿ لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ ﴾ وكانوا شهداء على الناس يوم القيامة،كانوا شهداء على قوم نوح وقوم هود،وقوم صالح وقوم شعيب وغيرهم أن رسلهم بلغتهم وأنهم كذبوا رسلهم،قال أبو العالية: وهى قراءة أبى: « لتكونوا شهداء على الناس يوم القيامة ». ومن حديث جابر عن النبى ﷺ: « **ما من رجل من الأمم إلا ود أنه منا أيتها الأمة ، ما من نبى كذبه قومه إلا ونحن شهداؤه يوم القيامة ، أن قد بلغ رسالة الله ونصح لهم** » أ هـ .

* وفى صحيح مسلم من حديث أبى بردة عن أبيه قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ .ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلى معه العشاء قال: فجلسنا. فخرج علينا، فقال: «**ما زلتم ههنا؟**» قلنا: يا رسول الله : صلينا معك المغرب .ثم قلنا : نجلس حتى نصلى معك العشاء

قال: «**أحسنتم أو أصبتم**» قال: فرفع رأسه إلى السماء ،وكان كثيرا ما

(١) رواه البخارى رقم (٤٤٨٧) فى التفسير ،باب « **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً** . . . الآية »

يرفع رأسه إلى السماء، فقال: « **النجوم أمنة للسماء ،فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد ،وأنا أمنة لأصحابى،فإذا ذَهَبْتُ أتى أصحابى ما يوعدون،وأصحابى أمنة لأمتى،فإذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما يوعدون**»[1]

قال ابن الأثير فى جامع الأصول (٨/ ٥٥٥):

أمنة للسماء : الأمنة : جمع أمين ،وهو الحافظ أى أن الملائكة حفظة السماء .

أتى السماء ما توعد : إشارة إلى انشقاقها وذهابها .

أتى أصحابى ما يوعدون : إشارة إلى وقوع الفتن ،ومجىء الشر عند ذهاب أهل الخير، فإنه لما كان ﷺ بين أظهرهم كان يبين لهم ما يختلفون فيه، فلما فُقد جالت الآراء واختلفت، فكان الصحابة يُسندون الأمر إلى رسول الله ﷺ فى قول أو فعل أو دلالة حال، فلما فُقد الصحابة قلّ النور وقويت الظلمة . أ هـ .

* وفى البخارى ومسلم من حديث أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ :

« **يأتى على الناس زمان فيغزو فِئامٌ من الناس ، فيقولون : فيكم من**

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٥٣١) فى فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبى ﷺ أمان لأصحابه وكذا رواه ابن حبان

صاحب رسول الله ﷺ ، فيقولون لهم : نعم، فيفتح لهم .

ثم يأتى على الناس زمان فيغزوا فئام من الناس فيقال : فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون: نعم فيفتح لهم .

ثم يأتى على الناس زمان فيغزو فئام من الناس ، فيقال : هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون : نعم فيفتح لهم » (١)

* وفى الحديث الذى رواه أحمد والترمذى وابن حبان ،والبيهقى وأبو نعيم وغيره ،وللأمانة العلمية نقول : إن به مجهولاً لكن متن الحديث ثابت صحيح من حديث عبد الله بن مغفل أن النبى ﷺ قال : « **الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضاً بعدى، فمن أحبهم فبحبى لهم أحبهم،ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ،ومن آذاهم فقد آذانى ،ومن آذانى فقد آذى الله ،ومن آذى الله أوشك أن يأخذه** » (٢) .

يقول ابن تيمية رحمه الله :

هذا وقد اتفق أهل السنة على أن الصحابة كلهم عدول بتعديل الله تعالى لهم،واتفقوا أيضاً على تفضيل الصحابة عن من بعدهم،لكنهم

---

(١) رواه البخارى رقم (٣٦٤٩) فى فضائل أصحاب النبى ﷺ ، باب فضائل أصحاب النبى ﷺ ومن صحب النبى أو من رآه من المسلمين فهو من أصحابه ،ومسلم رقم (٢٥٣٢) فى الفضائل ، باب فضل الصحابة ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » .

(٢) رواه أحمد فى المسند (٤/ ٨٧، ٥/ ٥٤، ٥٧) ،وقال محققه إسناده حسن ،ورواه أيضاً الترمذى رقم (٣٨٦٢) وغيره .

تنازعوا هل هذه الأفضلية بالنسبة إلى المجموع أو الأفراد ؟

والأول : قول ابن عبد البر ومقتضى كلامه رحمه الله :

« أنه يأتى بعد الصحابة من يكون أفضل من بعض الصحابة باستثناء أهل بدر والحديبية ،واحتج بأحاديث يطول سردها وشرحها .

والثانى: نحا إليه الجمهور : أى تفضيل كل واحد من الصحابة،وهو مأثور عن ابن المبارك ،وأحمد بن حنبل وغيرهما .

والظاهر أن السابقين للهجرة ـ كما قدمنا ـ ومن أنفق من قبل الفتح وقاتل لا يعدله فى الفضل أحد ممن يأتى بعده بصريح قوله تعالى :

﴿ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد : ١٠]

والنزاع منحصر فيمن له مشاهدة ،والظاهر أيضاً أن من راح بفضيلة المشاهدة فاز بفضيلة لا يعدله فيها أحد ،ولا يرجح بها عمل .

ولذلك قال ابن تيمية :

« العلماء متفقون على أن جملة الصحابة أفضل من جملة التابعين، لكن هل يُفضل كل واحد من الصحابة على كل واحد ممن بعدهم،ويفضل معاوية على عمر بن عبد العزيز ؟

ذكر القاضى عياض وغيره فى ذلك قولين ، وأن الأكثرين يفضلون

كل واحد من الصحابة، ومن حجتهم أن أعمال التابعين وإن كانت أكثر وأظهر لكن الفضائل عند الله بحقائق الإيمان الذى فى القلوب.

وقد أخبر النبى ﷺ: أن جبل ذهب من الذين أسلموا بعد الحديبية لا يساوى نصف مُدّ من السابقين.

فلو قدر أن الذى أعطاه عمر بن عبد العزيز للناس ملكه كله ،وقد تصدق به عليهم لم يعدل ذلك مما أنفقه السابقون إلا شيئاً يسيراً .

وأين مثل جبل أحد ذهباً حتى ينفقه الإنسان، وهو لا يصير مثل نصف مد ؟!!

ومن ثم قال بعض السلف :

غبار دخل فى أنف معاوية مع رسول الله ﷺ أفضل من عمل عمر ابن عبد العزيز . أ هـ [1].

يقول الحافظ فى الفتح :

« نعم ، والذى ذهب إليه الجمهور أن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله ﷺ . . . »

قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى :

ومن الحجة الواضحة البينة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم أجمعين، والكف عن ذكر مساويهم ، والخلاف الذى شجر

(١) منهاج السنة لابن تيمية (٤/ ٢٢٦) بتصرف .

بينهم ، فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو واحداً منهم أو تنقص أو طعن عليهم، أو عرَّض بعيبهم أو عاب أحداً منهم فهو مبتدع رافضى خبيث، مخالف لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، بل حبهم سنة والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة ، وأصحاب رسول الله ﷺ هم خير الناس، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا نقص [1]

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوى فى عقيدة أهل السنة والجماعة : ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط فى حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم ، ونبغض من يبغضهم ، وبغير الخير يذكرهم ، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان، وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

---

(١) السنة للإمام أحمد ص ٧٨.

الفصل الخامس

عقيدة أهل السنة فيما شجر بين الصحابة

يقول ابن تيمية رحمه الله فى الواسطين :

وأهل السنة والجماعة يمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون : إن هذه الآثار المروية فى مساويهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص .

والصحيح منه هم فيه معذورون، إما مجتهدون مصيبون ، وإما مجتهدون مخطئون، وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل يجوز عليهم الذنوب فى الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر حتى إنهم يغفر لهم من السيئات، مالا يغفر لمن بعدهم لأن لهم من الحسنات التى تُمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم .

وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ: إنهم خير القرون وإن المدَّ من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهباً ممن بعدهم، ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه أو غفر له بفضل سابقة، أو بشفاعة محمد ﷺ الذى هم أحق الناس بشفاعته أو ابتلى ببلاء فى الدنيا كفر به عنه ، فإذا كان هذا فى

الذنوب المحققة فكيف الأمور التى كانوا فيها مجتهدين ، إن أصابوا فلهم أجران ،وإن أخطأوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور .

ثم إن القدر الذى ينكر عليهم من فعل بعضهم قليل نزر مغفور فى جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد فى سبيله ،والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح . ومن نظر فى سيرة القوم بعلم وبصيرة ،وما منَّ الله عليهم به من الفضائل علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التى هى خير الأمم وأكرمها على الله ، أ هـ[1].

وقال النووى رحمه الله تعالى فى شرح مسلم:

واعلم أن الدماء التى جرت بين الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ ليست بداخلة فى هذا الوعيد (يقصد قول النبى ﷺ إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار) ومذهب أهل السنة والحق : إحسان الظن بهم ،والإمساك عما شجر بينهم وتأويل قتالهم ،وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا ، بل اعتقد كل فريق أنه المحق ،ومخالفة باغ،فوجب عليه قتاله،ليرجع إلى أمر الله،وكان بعضهم مصيباً،وبعضهم مخطئاً معذوراً فى الخطأ لأنهم مجتهدون،والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه ،وكان ـ علىّ رضى الله عنه

(١) العقيدة الواسطية لابن تيمية ص ١٨٠، ١٨١ .ط مكتبة العلم .

ـ هو المحق المصيب فى تلك الحروب، هذا مذهب أهل السنة، وكانت القضايا مشتبهة حتى أن جماعة من الصحابة تحيروا فيها، فاعتزلوا الطائفتين، ولم يقاتلوا ولم يتيقنوا الصواب، ثم تأخروا عن مساعدة أى منهم . أ هـ .

وقال الذهبى رحمه الله تعالى : إن كثيراً مما حدث بين الصحابة من شجار وخلاف ينبغى طيه واخفاؤه بل إعدامه، وإن كتمان ذلك متعين على العامة بل آحاد العلماء، لأنه لا مصلحة شرعية ولا علمية من وراء هذا النشر، وبالأسلوب أو الهدف الذى ذكرنا، أما فى ظل الموازين العلمية المستقيمة المهتدية بالنصوص الشرعية فإن البحث فى هذا الموضوع لا يمتنع إذا قصد به بيان الأحكام الشرعية .

وما كان ذكر العلماء المعتبرين للحروب والخلافات التى وقعت بين الصحابة رضى الله عنهم إلا على هذا السبيل أو لبيان المواقف الصحيحة ، وتصحيح الأغاليط التاريخية التى أثيرت حول مواقفهم فى تلك الحروب ، ومع ذلك انتقد بعض العلماء طريقة ابن عبد البر فى كتابه « الاستيعاب فى معرفة الأصحاب» لذكره ما شجر بين الصحابة رضى الله عنهم من خلاف . أ.هـ.

وأخيراً فإن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم كلهم أجمعون فى الجنة، لأنهم المخاطبون بقول الله تعالى: ﴿ **لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن**

قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد : ١٠]

ولا يلج أحدهم النار أبداً بصريح قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠١]

نضر الله وجوه الصحابة الكرام، ومن سار على طريقتهم، وانتهج نهجهم إلى يوم الدين، جعلنا الله معهم بفضله وكرمه، إنه أكرم الأكرمين .

❊ ❊ ❊

صديق الأمة الأكبر

أبو بكر الصديق

رضى الله عنه

« إن أمنَّ الناس علىَّ فى صحبته وماله أبو بكر ،ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربى لاتخذت أبا بكر »



أبو بكر الصديق

* هو صديق الأمة الأكبر .

إنه صاحب المصطفى ﷺ فى الحضر والأسفار . . . ورفيقه المخلص فى جميع الأطوار . . . والممدوح فى الذكر الحكيم بقوله سبحانه :

﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾ [التوبة : ٤٠]

هو الرجل الذى لم يتلعثم ،ولم يتردد لحظة فى الإيمان بالله ورسوله ﷺ ،وكان شعاره إذا تأزّمت الأمور وتشككت الصدور :

« إن كان محمدٌ قد قال ذلك فقد صدق »

* إنه الرجل الذى عاين طائر الفاقة يحوم حول حَبِّ الإيثار فألقى له حَبَّ الحُب على روض الرضا ،واستلقى على فراش الفقر آمناً مطمئناً ، فرفع الطائر الحب إلى حوصلة المضاعفة ،وتركه هنالك ، ثم علا على أفنان شجرة الصدق يغرد له بأغلى وأعلى فنون المدح ،وهو يتلو فى حقه قول ربه : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ [الليل :١٧ ـ ٢١]

إنه قرين النبى ﷺ فى شبابه . . الذى سبق إلى الإيمان من أصحابه إنه أول من صلى معه . . وآخر من صلى به . . الذى ضاجعه بعد

الموت في ترابه ﷺ.

إنه السـابق إلى التصـديق .. الملقب بالعتيق ... المؤيد من الله بالمدد والتوفيق.

إنه أبو بكر الصديق .

اسمه ولقبه

هو عبد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى القرشى التيمى أبو بكر الصديق بن أبى قحافة[1].

أمه :أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر ابنة عم أبيه .

ولد بمنى .

أسلم أبوه وأمه وزوجه وأولاده رضى الله عنه .

تزوج فى الجاهلية امرأتين:

إحداهما : قتيلة بنت عبد العزى ، فولدت له عبد الله وأسماء ذات النطاقين.

والثانية : أم رومان بنت عامر ،ولدت له عبد الرحمن وعائشة .

وتزوج فى الإسلام امرأتين:

إحداهما :أسماء بنت عميس، فولدت له محمداً،وكانت عند جعفر ابن أبى طالب رضى الله عنه قبله،فولدت له محمداً ،وتزوجها بعد

(١) طبقات ابن سعد (٣ / ١٢٥ ـ ١٢٦) ، تهذيب الكمال (٣٤١٨) ، تهذيب التهذيب (٥ / ٣١٥ ـ ٣١٧) ، تاريخ خليفة (٣٥ ،٥٥) ، فضائل الصحابة للإمام أحمد (١ / ٦٥ ـ ٣٣٥) ، الجرح والتعديل (٥ / ٥٠٨) ، تاريخ الطبري (٢ / ١٨٤ ، ١٨٥) ، حلية الأولياء (١ / ٢٨ ـ ٣٨) الاستيعاب (٣ / ٩٦٣) ، أسد الغابة (٣/ ٢٠٥) ، الكامل (١/ ٤٧٩) ، الإصابة لابن حجر (٢ / ٤٨١٧).

أبى بكر على بن أبى طالب، فذكر أنها ولدت له ولداً اسمه محمد، فكان يقال لها أم المحمدين.

والثانية: حبيبة بنت خارجة بن زيد، فولدت له أم كلثوم بعد وفاته، وكان أبو بكر لما هاجر إلى المدينة نزل على أبيها خارجة بن زيد فتزوجها اهـ [(١)].

* لقبه رسول الله ﷺ « عتيقاً»

عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : إنى لفى بيت رسول الله ﷺ وأصحابه فى الفناء، وبينى وبينهم السِّتْرُ إذ أقبل أبو بكر فقال رسول الله ﷺ: « **من سره أن ينظر إلى عتيق من النار، فلينظر إلى هذا**» وإن اسمه الذى سماه به أهله لعبد الله بن عثمان بن عامر، ولكن غلب عليه عتيق [(٢)].

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : دخل أبو بكر الصديق على رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ :« **أبشر ، فأنت عتيق الله من النار**» قلت : فمن يومئذ سُمى عتيقاً [(٣)] .

---

(١) قاله ابن سعد فى « الطبقات الكبرى» (١٢٥ ـ ١٢٦ /٣)، و« المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك » لابن الجوزى (٥٦/٤) ط دار الكتب العلمية،

(٢) رواه الترمذى رقم (٣٦٧٩)، والطبرانى فى الكبير (٩)، والحاكم فى المستدرك (٢/ ٤١٥)، وذكره الهيثمى فى المجمع (٩/ ٤٠) ، وقال رجالهما ثقات ، وحكى السيوطى فى الجامع الكبير (٤٣٨): أن ابن كثير نسبه لأبى نعيم ، وقال : قال ابن كثير: إسناده جيد .

(٣) رواه الترمذى رقم (٣٦٧٩) فى المناقب، باب مناقب أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وصححه شيخنا الألبانى فى الصحيحة.

قال المزى فى تهذيب الكمال :

وقال مصعب بن عبد الله الزُّبيريُّ وغيره: إنما سُمِّى عتيقاً ،لأنه لم يكن فى نسبه شىء يعاب .

وروى عن أبى تحيا حكيم بن سعد قال: سمعت على بن أبى طالب، يقول: إن الله هو الذى سمى أبا بكر عتيقاً على لسان رسول اللهﷺ.

وقيل: سُمى عتيقاً لحُسن وجهه . اهـ[١]

وقال الحافظ فى الفتح :

قال إبراهيم النخعى : كان يُسمى الأواه لمراقبته .

(١) تهذيب الكمال (١٠/ ٣٢٦،٣٢٧)ط. دار الفكر بيروت.

صفته رضي الله عنه

قالت عائشة رضى الله عنها :

كان أبيض نحيفاً ،خفيف العارضين، أجنأ(منحنياً) لا يستمسك إزاره يسترخى عن حقويه (كشحيه) - والكشح عند الخاصرة - معروق الوجه، غائر العينين، ناتىء الجبهة ،عارى الأشاجع[1].

وقال ابن الجوزي فى « التبصرة » :

أبو بكر رضى الله عنه معروف الفضل فى الجاهلية والإسلام، وكانت إليه فى الجاهلية (الأسباق) ،وهى الديات ،والمغرم ،وكان إذا احتمل شيئاً فسأل فيه قريشاً صدقوه ،وأمضوا حمالة من نهض معه، وإن احتملها غيره خذلوه . اهـ[2]

يقول ابن هشام فى (السيرة النبوية):

كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه أنسب قريش لقريش ،وأعلم قريش بها، وبما كان فيها من خير وشر، وكان رجلاً ذا خُلق ومعروف، وكان رجال قريش يأتونه ويألفونه، لغير واحد من الأمر: لعلمه وتجارته، وحسن مجالسته ،وكان تاجراً يرتحل إلى البلاد، ودخل بُصرى

(١) الخبر فى «الطبقات» لابن سعد(٣/١٤٠) من طريق محمد بن عمر الواقدي.
(٢) « التبصرة » لابن الجوزى (١/٤٧٤).

الشام، وكان معه أبى طالب فى قافلتـه إلى الشام، وكان رأسماله جيداً، كريماً، فـكان ينفق من ماله فى قـومه، وعلى أصـدقائه، إذ كانـت قريش تحبه، ويستشيره رجالها .

حـرَّم على نفـسـه الخـمـر فى الجـاهليـة فـلم يشـربهـا قط لا فى الجاهلية، ولا فى الإسلام ، وذلك أنه مر وهو فى الجاهلية برجل سكران يضع يده فى العذرة يـدنيها من فـيه ، فإذا وجـد ريحها صـدف عنها، فحرمها أبو بكر على نفسه.

ولم يسجد رضى الله عنه لصنم قط.

قال أبو بكر رضى الله عنه فى مجمع من أصحاب رسول الله ﷺ : ما سـجدت لصنم قط ، وذلك أنى لما ناهزت الحلم أخـذنى أبو قحـافة بيدى فانطلق بى إلى مُـخدع فيه الأصنام، فقـال لى : هذه آلهتك الشمّ العـوالى، وخـلانـى وذهب، فـدنوت من الصنم، وقـلت: إنى جـائع فأطعمنى فلم يجبنى، فقلت: إنى عار فـاكسنى، فلم يجبنى، فألقيت عليه صخرة فخرَّ لوجهه[1].

قال ابن الجوزى :قال علماء السير :

لم يفته مشهـد مع رسول الله ﷺ ، حضر يوم بدر ويوم أحد، ودفع إليه رايته العظمى يوم تبوك، واشترى بلالاً فأعتقه، وأول من جمع القرآن

---

(١) « التاريخ الإسلامى» لمحمود شاكر (٣/٣١) ط. المكتب الإسلامى.

وأسلم على يديه من العشرة المبشرين بالجنة خمسة : عثمان وطلحة، والزبير ، وسعد ، وعبد الرحمن ، ولم يشرب مسكراً فى جاهلية ولا إسلام رضى الله عنه[١].

وابتنى أبو بكر بفناء داره مسجداً، يصلى فيه ويقرأ القرآن فيجتمع عليه الناس ويستمعون قراءته وصلاته، وبكائه، فكان ذلك سبباً فى إسلام كثيرين.

ففى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت :

«لم أعقل أبوىَّ إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفى النهار بكرة وعشية. ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجداً بفناء داره، فكان يصلى فيه ويقرأ القرآن، فيقف عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين»[٢].

---

(١) « المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك » (٤/٦١).

(٢) أخرجه البخارى رقم ٤٧٦) فى الصلاة ، باب المسجد يكون فى الطريق من غير ضرر بالناس.

صديق الأمة الأكبر

إن أبا بكر شهد له رسول الله ﷺ بالصدِّيقية شهادة سُطِّرت فى كتب الأثر والتاريخ والسِّيَر بحروف من نور إلي عالم البشر.

*عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ صعد أُحداً، وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف الجبل ، فقال ﷺ:

« **اثبت أحد، فإن عليك نبى وصديق وشهيدان** »[1].

* قال ابن الجوزى عنه ﷺ أنه قال ليلة أُسْرِى به لجبريل: « **إن قومى لا يصدقونى** ».

فقال له جبريل: يصدقك أبو بكر، وهو الصديق[2] .

* وكان علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه يحلف أن الله عز وجل أنزل اسم أبى بكر من السماء (الصديق)[3].

---

(١) أخرجه البخارى رقم (٣٦٧٥) وأبو داود رقم (٤٦٥١) ، والترمذى رقم (٣٦٩٧)وقال: هذا حديث حسن صحيح، ورواه النسائى فى « فضائل الصحابة» (٣٢)، وأحمد (٣/ ١١٢) ، وفى « فضائل الصحابة » (٢٤٦)، وصححه شيخنا الألبانى فى « صحيح سنن الترمذى ».

(٢) « التبصرة » (١/٤٧٤) وقال الهيثمى في المجمع : رواه الطبرانى في الأوسط وفي رواية عنده « أن أحد أسانيده أبو وهب عن أبي هريرة ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات. .

(٣) قال ابن حجر فى « الفتح » (١١/ ٧ ط دار الريان) رواه الطبرانى ، ورجاله ثقات .

ويتجلى صـدق أبى بكر فى أوضأ صورة ذلك لما أخبـر رسول الله ﷺ قريشاً برحلة الإسراء والمعراج .

*** قال ابن حجر رحمه الله فى « فتح البارى»:**

روى البيـهقى فى« الدلائل» عن أبى سـلمة قال: افـتتن ناس كثـير ـ يعنى عقب الإسراء ـ فجاء ناس إلى أبى بكر فذكروا له .

فقال : أشهد أنه صادق.

فقالوا: وتصدقه أنه أتى الشام فى ليلة واحدة، ثم رجع إلى مكة ؟!!

قال: نعم إنى أصدقه بأبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء.

اللّه أكبـر . . . يا خالق أبا بكر سـبحانـك . . إنه الصدق . . وإنه الصديق رضى الله عنه .

* وهذا موقف آخر تتلألأ فيه أنوار الصدِّيقية ،وتتجلى فيه الصدِّيقية فى أجل وأعمق صورهـا ،إنه يوم الحديبية عندما قـبل رسول الله ﷺ بعض شروط قـريش الجائرة ، قال عمـر بن الخطاب : فأتيت نبى الله ﷺ فقلت: ألست نبى الله حقاً؟!

قال: « بلى».

قلت : ألسنا على حق وعدونا على الباطل؟!

قال: « بلى».

قلت : فَلِم نعطى الدنية فى ديننا إذاً ؟!

قال: « **إنى رسول الله ،ولست أعصيه وهو ناصرى** »

قلت: أولست كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به؟

قال: « **بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام ؟** »

قلت :لا.

قال :« **فإنك آتيه ومطوف به** ».

قال عمر :فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبى الله حقاً؟

قال: بلى.

قال: ألسنا على الحق ،وعدونا على الباطل؟

قال: بلى.

قلت : فَلِمَ نعطى الدنية فى ديننا إذاً ؟

قال: أيها الرجل، إنه رسول الله ﷺ ليس يعصى ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه (أى: اتبع قوله ،وفعله ،ولا تخالفه) فوالله إنه لعلى الحق.

قلت : أليس كان يحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ؟

قال: بلى . أفأخبرك أنك آتيه العام ؟

قلت: لا. قال: فإنك آتيه، ومطوف به[١] .

---

(١) رواه البخارى رقم (٢٧٣١) فى كتاب الشروط ،باب الشروط فى الحرب .

الله أكبر.. هذا هو الصديق ... أى رجل كان ؟!

إن كلماته هى نفس الكلمات التى قالها رسول الله ﷺ لعمر.!! هذا إن دل على شىء، فإنما يدل على أنه كان أكمل الصحابة، وأعرفهم بأحوال رسول الله ﷺ ، وأعلمهم بأمور الدين ، وأشدهم موافقةً لأمر الله تعالى وتصديقاً لرسول الله ﷺ، وكان قلبه رضى الله عنه على قلب رسول الله ﷺ .

من أجل ذلك استحق هذا الرجل بجدارة واقتدار أن يكون صدِّيق هذه الأمة الأكبر، وأن يكون أحب الرجال قاطبةً إلى قلب رسول الله ﷺ.

* عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أى الناس أحب إليك ؟ قال: «**عائشة**».

فقلت: من الرجال ؟ قال: « **أبوها**»[1].

ولم ينل أبو بكر رضى الله عنه هذه الدرجة الرفيعة والقمة السامقة ، والمكانة العالية إلا لأنه بذل نفسه ، وماله لله ورسوله ﷺ حتى قال النبى ﷺ : « **ما لأحد عندنا يدٌ إلا وقد كافأناه بها إلا الصديق ، فإن له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة، وما نفعنى مالُ أحد قط ما نفعنى**

(١) رواه مسلم رقم (٢٣٨٤)، والترمذى رقم (٣٨٨٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه أحمد فى « الفضائل» (٢١٤) ، وابن أبى عاصم فى « السنة» رقم (١٢٣٥)، والنسائى فى « الفضائل» رقم (٥).

مـالُ أبى بكر،ولو كـنت مـتـخـذاً من الناس خليـلاً لأتخـذت أبا بكر خليلاً،ألا وإن صاحبكم خليل الله » [١].

نعم . . ياله من وسام رفيع وضعه أفضل الخلق وحبيب الحق محمد ﷺ على صدر هذا الرجل العظيم، وما أكثر تلك الأوسمة التى وضعها محمد ﷺ على صدر أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

* * *

(١) أخرجـه الترمذى رقم (٣٦٦٢) فى المناقب ، باب مناقب أبى بـكر الصديق رضى الله عنه،وقال الترمذى: هذا حديث حسن غريب،قال الأرناؤوط فى تخريج «جامع الأصول»: وهو كما قال فـإنه حسن بشواهده،وقد ذكره الحافظ فى « الفتح»وسكت عليـه ،وصححه شيخنا الألبانى فى « صحيح سنن الترمذى» رقم (٢٨٩٤).

شيء من مناقبه رضي الله عنه

* عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ :

« **إن أهل الدرجات العلى ليرون من فوقهم كما ترون الكوكب الدّرىّ فى أفق السماء،وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما** »[١].

أى أن أبا بكر وعمر من أهل الدرجات العليا في الجنة و « أنعما » أى زادا وفضلا.

* وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ قال لأبى بكر : « **أنت صاحبى على الحوض،وصاحبى فى الغار** » [٢].

قال في « تحفة الأحوذى »:

أنت صاحبى على الحوض: أى الكوثر «وصاحبى فى الغار» أى الكهف الذى بجبل ثور الذى أويا إليه عند خروجهما مهاجرين .

قال فى اللمعات : يعنى صاحبى فى الدنيا والآخرة ، وكونه صاحباً

---

(١) رواه أحمد فى«الفضائل» (١٦٦)،والترمذى رقم (٣٦٥٨)،وأبو داود رقم (٣٩٨٧)،وابن ماجة(٩٦). وصححه الترمذى فى صحيح الترمذى (٢٨٩٢) .

(٢) رواه الترمذى مرسلاً رقم (٣٦٦٨) فى المناقب ، باب مناقب أبى بكر الصديق رضى الله عنه. وقال الترمذى :حسن صحيح.

له فى الغار فضيلة تفرد بها أبو بكر لم يشاركه فيها أحد اهـ.

وقال القارى : أجمع المفسرون على أن المراد بـصاحبه فى الآية يعنى قوله تعالى ﴿ **ثانى اثنين إذ هما فى الغار** ﴾ هو أبو بكر وقد قالوا من أنكر صحبة أبي بكر كفر لأنه أنكر النص الجلى بخلاف صحبة غيره من عمر وعثمان أو علىّ رضوان الله عليهم أجمعين أ. هـ [1].

* وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال:

قال رسول الله ﷺ: « **ما أحد أعـظم عندى يداً من أبى بكر : واسانى بنفسه وماله،وأنكحنى ابنته**»[2].

* وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

« **إن أمنَّ الناس علىّ فى صحبته وماله أبو بكر،ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلاً،ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يبقين فى المسجد بابٌ إلا سُدَّ إلا باب أبى بكر**»[3].

وسام عظيم استحـقه رجلٌ عظيم فالنبى ﷺ يقول: « **إن أمَنَّ الـناس علىّ**» : أى أسمحُ بمـاله وأبذلُ له ، ولم يرد به معنى الامـتنان لأن المنة

(١) تحفة الأحوذى (١٠/ ١٠٦) . ط العلمية .

(٢) قال الحافظ فى « الفتح» :أخرجه الطبرانى وسكت عليه .

(٣) رواه البخارى رقم (٣٦٥٤) فى فضائل الصحابة،باب قول النبى ﷺ :« سدوا الأبواب إلا باب أبى بكر» ،ومسـلم رقم (٢٣٨٢) فى فضائل الصـحابة ، باب فـضائل أبى بكر رضي الله عنه ، التـرمذى رقم(٣٦٦١) فى المناقب، باب مناقب أبى بكر الـصديق رضى الله عنه .

تُفسد الصنيعة ،ولا منة لأحد مع رسول الله ﷺ ، بل له المنة على الأمة قاطبة.

وأمر النبى ﷺ بسد الأبواب كلها التى كانت تفتح على مسجده ﷺ واستثنى من ذلك باب أبى بكر،وفيه منقبة عظيمة ،واختصاص ظاهر لأبى بكر .

* عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **يَطلعُ عليكم رجلٌ من أهل الجنة** » فاطّلع أبو بكر، ثم قال :«**يطلع عليكم رجل من أهل الجنة** » فاطّلع عمر [١] .

* وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول :« **أبو بكر فى الجنة،وعمر فى الجنة،وعثمان فى الجنة وعليٌّ فى الجنة،وطلحة فى الجنة ،والزبير فى الجنة،وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة ،وسعد بن أبى وقاص فى الجنة،وسعيد بن زيد فى الجنة ،وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة**»[٢].

* وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أخبر أنه توضأ فى بيته ،

---

(١) رواه الترمذى رقم (٣٦٩٥) فى المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب ،ورواه الحاكم ،وصححه ووافقه الذهبى وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٧٦٢) ،المشكاة (٦٠٥٨).

(٢) رواه الترمذى رقم (٣٧٤٨) فى المناقب،باب مناقب عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المبشرين بالجنة وصححه الألباني في المشكاة (٦١١٠،٦١١١) وفي تخريج الطحاوية ٧٢٨..

ثم خرج، فقال: لألزمن رسول الله ﷺ، ولأكونن معه يومى هذا، قال: فجاء المسجد، فسأل عن النبى ﷺ فقالوا: خرج ووجَّه ها هنا، فخرجت على إثره أسأل عنه حتى دخل بئر أريس، فجلست عند الباب - وبابها من جريد - حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته، فتوضأ، فقمت إليه ، فإذا هو جالس على بئر أريس، وتوسط قُفَّهـا، وكشف عن ساقيه ودلاهما فى البئر، فسلمت عليه ثُمَّ انصرَفتُ فجلست عند الباب، فقلت : لأكوننَّ بوَّاب رسول الله ﷺ اليوم، فجاء أبو بكر فدفع الباب، فقلت: من هذا ؟ فقال: أبو بكر، فقلت: على رسلك، ثم ذهبت فقلت : يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن، فقال: « **ائذن له وبشره بالجنة** »، فأقبلت حتى قلت لأبى بكر: ادخل، ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة، فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه فى القُفِّ ، ودلىَّ رجليه فى البئر كما صنع النبى ﷺ ، وكشف عن ساقيه ، ثم رجعت ، فجلست ، وقد تركت أخى يتوضأ ويلحقنى، فقلت: إن يرد الله بفلان خيراً - يريد أخاه - يأت به ، فإذا إنسان يحرك الباب ، فقلت من هذا ؟ فقال: عمر بن الخطاب، فقلت: على رسلك، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ، فسلمت عليه، فقلت: هذا عمر بن الخطاب يستأذن ، فقال: « **ائذن له وبشره بالجنة** »، فجئت فقلت: ادخل ، وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة. فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ فى القُفِّ عن يساره ودلَّ رجليه فى البئر، ثم رجعت فجلست. فقلت: إن يرد الله بفلانٍ خيراً يأت به، فجاء إنسان يحرك

الباب، فـقلت: من هذا ؟ فقال: عثـمان بن عفـان، فقلت: على رسلك فجئت رسـول الله ﷺ فأخبرته، فقـال: ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيـبه، فجـئتـه فقلت له: ادخل ،وبشرك رسـول الله ﷺ بالجنة على بلوى تصيبك، فدخل فوجد القف قد ملىء ، فجلس وجاهه من الشق الآخر [١].

* وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :

« أرحم أمتى بأمـتى أبو بكر (أي أكثـرهم رحمة) وأشـدهم فى أمر الله عـمر،وأشدهـم حياءً عـثمـان ،وأقضـاهم علىّ،وأعلمهم بـالحلال والحرام معاذ بن جبل،وأفرضهم (أي أكثرهم علما بالفرائض) زيد بن ثابت ،وأقـرؤهم أبى بن كـعب،ولـكل قـوم أمين ،وأمين هذه الأمـة أبو عبيدة بن الجـراح، وما أظلت الخضراء ،ولا أقلت الغبـراء أصدق لهجة من أبى ذر، أشبه عيسى بن مريم فـى ورعه، قال عمر : أفنعرف له ذلك يا رسول الله ؟ قال : « نعم ، فاعرفوا له» [٢].

* عن أبى بكر رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم: « من **رأى الليـلة رؤيا »**؟ فقـال رجل: أنا، رأيت كأن ميزاناً نزل من السـماء

---

(١) رواه البخـارى رقم (٣٦٧٤) فى فضـائل أصحـاب النبى ﷺ، باب « لو كنت متـخذاً خليلاً »، ومـسلم رقم (٢٤٠٣) فى فضائل الصـحابة، باب من فضـائل عثمان بن عـفان رضى الله عنه ،والترمذى رقم (٣٧١١) فى المناقب .

(٢) رواه الترمذى رقم (٣٧٩٣، ٣٧٩٤) فى المناقب، باب مناقب أهل بيت النبى ﷺ، وقال: حسن صحيح وقال الحافظ في الفتح : رجاله ثقات. وصححه الألبانى .

فوُزِنْتَ أنت وأبو بكر، فَرُجِـحْتَ أنت بأبى بكر، ووزنَ عمر وأبو بكر ، فرجح أبو بكر بعمر، ووزن عمر بعثمان ، فرجح عمر بعثمان، ثم رفع الميزان ، قال: فرأينا الكراهة فى وجه النبى ﷺ» [1].

وهنا يظهر فـضيلة أبى بكر على عـمر فمن دونه ،وقـوله :« فرأينا الكراهة فى وجه رسول الله ﷺ» قال فى تحفة الأحوذى :

وذاك لما علم ﷺ من أن تـأويل رفع الميـزان انحطاط رتـبـة الأمـور ،وظهور الفتن بعد خلافة عمر ومعنى رجحان كل من الآخر أن الراجح أفضل من المرجوح.

وقال المنذرى: قـيل يحتمل أن يكون النبى ﷺ كـره وقوف التخيـير وحصـر درجات الفضـائل فى ثلاثة، ورجا أن يكون فى أكـثر من ذلك فأعلمه الله أن التفضيل انتهى إلى المذكور فيه فساءه ذلك انتهى.

قال التوربشـتى: إنما ساءه والله أعلم من الرؤيا التى ذكرها مـا عرفه من تأويل رفع الميزان، فـإنه فيه احـتمال لانحطاط رتبة الأمـر فى زمان القائم به بعد عـمر رضى الله عنه عما كان علـيه من تأويل من النفاذ والاستعلاء والتمكن بالتـأييد، ويحتمل أن يكون المراد من الوزن موازنة أيامهم، لما كان نظر فيهـا من رفق الإسلام وبهجته، ثم إن الموازنة تراعى فى الأشيـاء المتقاربة مع مناسبـة ما، فيظهـر الرجحان فإذا تبـاعدت كل

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٦٣٤) فى السنة، باب فى الخلفـاء، والترمـذى رقم (٢٢٨٨) فى الرؤيا. وصححه شيخنا الألبانى فى صحيح سنن أبى داود (٣٨٧٥) .

التباعد لم يوجد للموازنة معنى فلهذا رفع الميزان ا هـ (تحفة الأحوذى : ٦/ ٤٦٧).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **بينما رجل يركب بقرة يسوق له ، قد حمل عليها ، التفتت إليه البقرة فقالت : إنى لم أخلق لهذا ولكنى إنما خلقت للحرث**».

فقال الناس: سبحان الله ! تعجباً وفزعاً. أبقرة تكلم ؟ فقال رسول الله ﷺ: «**فإنى أومن به وأبو بكر وعمر** ».

وقال أبو هريرة رضى الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**بينما راعٍ فى غنمه، عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة، فطلبه الراعى حتى استنقذها منه، فالتفت إليه الذئب فقال له: من لها يوم السَّبُعِ، يوم ليس لها راع غيْرِى**» ؟ فقال الناس: سُبْحَانَ الله ! فقال رسول الله ﷺ: «**فإنى أومن بذلك أنا وأبو بكر وعمر** »[1].

قال النووى (٨/ ١٧٠) :

قال العلماء : إنما قال ذلك ثقة بهما، لعلمه بصدق إيمانهما وقوة يقينهما، وكمال معرفتهما لعظيم سلطان الله وكمال قدرته، ففيه فضيلة ظاهرة لأبى بكر، وعمر رضى الله عنهما.

---

(١) رواه البخارى رقم (٣٦٦٣) فى فضائل أصحاب النبى ﷺ ، باب قول النبى ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً، ومسلم رقم (٢٣٨٨) فى فضائل الصحابة، باب من فضائل أبى بكر الصديق ، والترمذى رقم (٣٦٨١ ، ٣٦٩٦).

وعن عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه :

أن رسول الله ﷺ نظر إلى أبى بكر وعمر فقال: **«هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين لا تخبرهما يا على»**[1]

قال المباركفورى: الكهول بضمتين جمع كهل، وهو على ما فى القاموس من جاوز الثلاثين أو أربعاً وثلاثين إلى إحدى وخمسين فاعتبر ما كانوا عليه فى الدنيا حال هذا الحديث، وإلا لم يكن فى الجنة كهل، وقيل سيدا من مات كهلاً من المسلمين فدخل الجنة، لأنه ليس فيها كهل، بل من يدخلها ابن ثلاث وثلاثين، وإذا كانا سيدا كهول أهل الجنة فمن أولى أن يكونا سيدى شباب أهلها. قلت: وقع فى رواية أحمد: هذان سيدا كهول أهل الجنة وشبابها بعد النبيين والمرسلين «من الأولين والآخرين» أى الناس أجمعين. أ.هـ (تحفة الأحوذى : ١٠/ ١٠٣) .

* وعن جابر بن عبد الله قال رسول الله ﷺ: **« أبو بكر وعمر من هذا الدين كمنزلة السمع والبصر من الرأس»**[2]

---

(١) رواه الترمذى رقم (٣٦٦٦) فى المناقب ، باب مناقب أبى بكر الصديق رضى الله عنه، وقال الألبانى فى الصحيحة (٨٢٤) : إن الحديث بمجموع طرقه صحيح بلا ريب.

(٢) قال الألبانى فى الصحيحة (٨١٥): هذا إسناد حسن رجاله كلهم ثقات.

بركة آل أبو بكر

عن عائشة رضى الله عنها قالت :

خرجنا مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء - أو بذات الجيش - انقطع عقدٌ لى، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فأتى الناس أبا بكر فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة ؟ أقامت برسول الله ﷺ وبالناس معه، وليسوا على ماء - وليس معهم ماء - فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذى قد نام، فقال: حبست رسول الله ﷺ والناس، وليسوا على ماء ، وليس معهم ماء. قالت: فعاتبنى، وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعننى بيده فى خاصرتى، فلا يمنعنى من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذى، فنام رسول الله ﷺ حتى أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم: ﴿ فَتَيَمَّمُوا ﴾ [النساء: ٤٣] فقال أسيد بن الحضير : ما هى بأول بركتكم يا آل أبى بكر، وفى رواية قال أُسيد : لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبى بكر، ما أنتم إلا بركة لهم فقالت عائشة: فبعثنا البعير الذى كنت عليه فوجدنا العقد تحته[1].

---

(١) رواه البخارى رقم (٣٦٧٢) فى فضائل أصحاب النبى ﷺ، باب قول النبى ﷺ :« لو كنت متخذاً من أمتى خليلاً» .

قال الحافظ فى الفتح :

قـوله :« ما هــى بأول بركتم ، أى بـل هى مسـبـوقة بغـيـرها من البركات، والمراد بآل أبى بكر نفسه وأهله وأتبـاعه، وفيه دليل على فضل عائشة وأبيها وتكرار البركة منهما . أ. هـ [١]

(١) فتح البارى (١/ ٥٧٢).

ثاني اثنين

كان أبو بكر رضى الله عنه هو صاحب النبى فى هجرته، وقد اختاره رسول الله ﷺ لصحبته ذلك لمكانته فى الإسلام ومنزلته فى قلب النبى عليه الصلاة والسلام. ولو لم يكن لأبى بكر منقبة غير هذه لكفته، فتعالوا بنا نتعرف على هذه الرحلة التى زكّى فيها الله عز وجل أبا بكر بقوله: ﴿ **إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** ﴾ [التوبة: ٤٠]

روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت:

لم أعقل أبَوىَّ [١] قط إلا وهما يدينان الدين[٢]، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفى النهار: بكرة وعشية، فلما ابتُلى المسلمون[٣]، خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى بلغ بَرْكَ الغِماد[٤] لقيه ابن الدَّغنة ـ وهو سيد القارة[٥] ـ فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجنى قومى فأريد أن أسيح فى الأرض، وأعبد

---

(١) تعنى أبا بكر وأم رومان.

(٢) يدينان بدين الإسلام.

(٣) أى : بأذى المشركين لما حصروا بنى هاشم والمطلب فى الشعب، وأذن النبى ﷺ لأصحابه فى الهجرة إلى الحبشة.

(٤) موضع على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمن.

(٥) قبيلة مشهورة من بنى الهون ، وكانوا يضرب بهم المثل فى قوة الرمى.

ربى .

قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يُخرج، إنك تكسبُ المعدوم، وتصل الرحم، وتحملُ الكَلّ، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق[١]. فأنا لك جار ارجع، واعبد ربك ببلدك، فرجع، وارتحل معه ابن الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشية فى أشراف قريش فقال لهم: إن أبا بكر لا يَخرج مثله، ولا يُخرج، أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقرى الضيف، ويعين على نوائب الحق، فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة[٢]

وقالوا لابن الدغنة: مرْ أبا بكر فليعبد ربه فى داره، فليُصلِّ فيها، وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك، ولا يستعلن به، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا .

فقال ذلك ابن الدغنة لأبى بكر، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه فى داره، ولا يستعلن بصلاته، ولا يقرأ فى غير داره، ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجداً بفناء داره، وكان يُصلى فيه، ويقرأ القرآن، فيتقذف[٣] عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم معجبون منه وينظرون إليه.

---

(١) فى موافقة وصف ابن الدغنة لأبى بكر بمثل ما وصفت به خديجة النبى ﷺ ما يدل على عظيم فضل أبى بكر واتصافه للصفات البالغة فى أنواع الكمال رضى الله عنه.

(٢) أى: لم ترد عليه قوله فى أمان أبى بكر، وكل من كذبك فقد رد قولك، فأطلق التكذيب وأراد لازمه. كذا فى « الفتح» (٧ / ٢٧٤) ط ، دار الريان.

(٣) أى: يزدحمون عليه حتى يسقط بعضهم على بعض.

وكان أبو بكر رجلاً بكّاءً [١] لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدم عليهم.

فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن[٢] نساءنا وأبناءنا، فانهه، فإن أحبَّ أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل، وإن أبى إلا أن يُعلِن بذلك فسله أن يُردَّ إليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نُخفِرك[٣]، ولسنا بمقرين لأبى بكر الاستعلان.

قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة إلى أبى بكر فقال: قد علمت الذى عاقدت لك عليه فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن تُرجع إلىّ ذمتى، فإنى لا أحب أن تسمع العرب أنى أخفرت فى رجل عقدت له.

فقال أبو بكر: فإنى أردُّ إليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل[٤] والنبى يومئذ بمكة.

فقال النبى ﷺ للمسلمين: « **إنى رأيت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين** » [٥] وهما الحرتان، فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من

---

(١) أى: كثير البكاء.
(٢) يعجبون به، فيفعلون مثله.
(٣) أى: نغدر بك.
(٤) أى: أمانه وحمايته - وفيه جواز الأخذ بالأشد فى الدين، وقوة يقين أبى بكر.
(٥) المراد المدينة المنورة، وأخرج البخارى « رأيت فى المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وهلى إلى أنها اليمامة، أو هجر، فإذا هى المدينة يثرب».

كان هاجر بأرض الحبشة بالمدينة، وتجهَّز أبو بكر قبل المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: « **على رسلك**[١] **فإنى أرجو أن يؤذن لى** »

فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبى أنت؟ قال: « **نعم** » فحبس[٢] أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السَّمُر - وهو الخبط[٣] أربعة أشهر.

قالت عائشة: فبينما نحن يوماً جلوسٌ فى بيت أبى بكر فى نحر الظهيرة[٤]، قال قائل لأبى بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعاً [٥] - فى ساعة لم يكن يأتينا فيها - فقال أبو بكر: فداء له أبى وأمى، والله ما جاء به هذه الساعة إلا أمر، قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن، فأذن له، فدخل فقال النبى ﷺ لأبى بكر: « **أخرج من عندك** »

فقال أبو بكر: إنما هم أهلك[٦] بأبى أنت يا رسول الله.

قال: « **فإنى قد أُذن لى فى الخروج** ».

فقال أبو بكر: الصحابة بأبى أنت يا رسول الله، وفى رواية هشام فقال

---

(١) على مهلك، والرسل السير الرفيق، كذا فى « الفتح » (٧/ ٢٧٦).

(٢) أى منع نفسه من الهجرة لأجل أن يصحب رسول الله ﷺ.

(٣) وهو من « تفسير الزهرى » ويقال: السمر شجرة أم غيلان، وقيل: كل ماله ظل ثمين، وقيل: السمر ورق الطلح، والخبط بفتح المعجمة والموحدة ما يخبط بالعصا فيسقط من ورق الشجر، قاله ابن فارس. كذا فى « الفتح ».

(٤) أى أول الزوال، وهو أشد ما يكون فى حرارة النهار.

(٥) أى مغطياً رأسه.

(٦) أشار بذلك إلى عائشة وأسماء كما صرحت بذلك رواية موسى بن عقبة عن ابن شهاب

: الصحبة يا رسول الله ؟ قال رسول الله ﷺ : « **نعم** » .

زاد ابن إسحاق فى رواية : « قالت عائشة : فرأيت أبا بكر يبكى، وما كنت أحسب أحداً يبكى من الفرح » .

قال أبو بكر : فخذ بأبى أنت يا رسول الله إحدى راحلتى هاتين .

قال رسول الله ﷺ : « **بالثمن** » .

قالت : فجهزناهما أحثَّ الجهاز وصنعنا لهما سُفرةً فى جراب ، فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب[1]، فبذلك سُميت ذات النطاق .

قالت : ثم لحق رسول الله ﷺ، وأبو بكر بغار فى جبل ثور فكمنا[2] فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبى بكر وهو غلام شابٌ ثقفٌ[3] لَقِنٌ[4]، فيدلج[5] من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت[6]، فلا يسمع أمراً يكتادان[7] به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك

(١) أى زاداً فى جراب، لأن أصل السفرة فى اللغة الزاد الذى يصنع للمسافر، ثم استعمل فى وعاء الزاد، وأفاد الواقدى أنه كان فى السفرة شاة مطبوخة ، كذا فى « الفتح » (٧/ ٢٧٧ - ٢٧٨) .

(٢) بفتح الميم ، ويجوز كسرها ، أى: اختفيا .

(٣) حاذق، تقول : ثقفت الشيء إذا أقمت عوجه .

(٤) السريع الفهم .

(٥) بتشديد الدال بعد الجيم، أى يخرج بسحر إلى مكة .

(٦) أى: مثل البائت يظنه من لا يعرف حقيقة أمره لشدة رجوعه بغلس

(٧) أى : يطلب لهما فيه المكروه ، وهو الكيد

حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبى بكر منحةً من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان فى رسل - وهى لبن منحتهما ورضيفهما - حتى ينعق بها عامر بن فهيرة(١) بغلس، يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث .

قال ابن حجر فى « الفتح»:

ذكر الواقدى أنهما خرجا من خوخة فى ظهر بيت أبى بكر، وقال الحاكم: تواترت الأخبار أن خروجه من مكة كان يوم الخميس، وخروجه من الغار كان ليلة الإثنين، لأنه أقام فيه ثلاث ليال، فهى ليلة الجمعة وليلة السبت، وليلة الأحد، وخرج فى أثناء ليلة الإثنين .

قالت عائشة: واستأجر رسول الله ﷺ، وأبو بكر رجلاً من بنى الدِّيل، وهو من بنى عبد بن عدى هادياً خِرِّيتاً - والخريت الماهر بالهداية - قد غمس حلفاً فى آل العاص بن وائل السهمى، وهو على دين كفار قريش، فأمناه، فدفعا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صُبح ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة ، والدليل، فأخذ بهم طريق السواحل(٢).

---

(١) أحد السابقين إلى الإسلام ، وقد عذب فى سبيل الله فاشتراه أبو بكر من الطفيل بن سخبرة ، وأعتقه وشهد بدراً ، وأحداً ، وقتل يوم بئر معونة .

(٢) أخرجه البخارى رقم (٣٩٠٥) فى مناقب الأنصار، باب هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة .

* وأخرج البيهقي عن ابن سيرين قال: قال عمر بن الخطاب:

والله لليلةٌ من أبي بكر خيرٌ من آل عمر، وليومٌ من أبي بكر خيرٌ من آل عمر.

لقد خرج رسول الله ﷺ ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر، فجعل يمشي ساعة بين يديه، وساعة خلفه، حتى فطن رسول الله ﷺ فقال: « **يا أبا بكر، مالك تمشي ساعة خلفي، وساعة بين يدي؟** »

فقال: يا رسول الله أذكر الطلب[١]، فأمشي خلفك، ثم أذكر الرصد[٢]، فأمشي بين يديك.

فقال: « **يا أبا بكر لو كان شيء لأحببت أن يكون بك دوني؟** »

قال: نعم، والذي بعثك بالحق.

فلما انتهيا إلى الغار، قال أبو بكر: مكانك - يا رسول الله - حتى أستبرئ الغار، فدخل فاستبرأه، حتى إذا كان ذكر أنه لم يستبرئ الحجرةَ [٣]، فقال: مكانك - يا رسول الله - حتى أستبرئ، فدخل فاستبرأ، ثم قال: انزل يا رسول الله، فنزل[٤].

---

(١) أي: أذكر من يسعى في طلبك من خلفك.

(٢) الرصد: هو من ينتظرك في طريقك ويرقبك.

(٣) هي ما تحفره السباع والهوام لأنفسها فيقال: حجر ضب، وحجر حية، ونحو ذلك.

(٤) قال ابن كثير: هذا مرسل حسن، كما في « كنز العمال » (٨/ ٣٣٥)، وأخرجه أيضاً الحاكم والبغوي.

* وعن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال:

اشترى أبو بكر من عازب رحلاً بثلاثة عشر درهماً قال: فقال أبو بكر لعازب: مُر البراء فليحمله إلى منزلى.

فقال: لا حتى تحدثنا كيف صنعت حين خرج رسول الله ﷺ وأنت معه؟

قال: فقال أبو بكر: خرجنا فأدلجنا فأحثثنا (أسرعنا) يومنا وليلتنا حتى أظهرنا، وقام قائم الظهيرة، فضربت ببصرى هل أرى ظلاً نأوى إليه، فإذا أنا بصخرة فأهويت إليها، فإذا بقية ظلها، فسويته لرسول الله، وفرشت له فروة، وقلت: اضطجع يا رسول الله، فاضطجع، ثم خرجت أنظر هل أرى أحداً من الطلب ؟ فإذا أنا براعىٍ غنم، فقلت: لمن أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من قريش - فسماه فعرفته، فقلت: هل فى غنمك من لبن؟ قال: نعم.

قال: قلت: هل أنت حالب لى ؟ قال: نعم.

فأمرته فاعتقل شاة منها، ثم أمرته فنفض ضرعها من الغبار، ثم أمرته فنفض كفيه من الغبار، ومعى إداوة[1] على فمها خرقة، فحلب لى كُثْبة من اللبن[2]، فصببت يعنى الماء على القدح حتى برد أسفله، ثم أتيت رسول الله ﷺ، فوافيته، وقد استيقظ فقلت: اشرب يا رسول الله ،

(١) إناء من جلد.
(٢) قليل منه .

فشرب حتى رضيت .

ثم قلت : هل أتى الرحيل؟ قال: فارتحلنا، والقوم يطلبوننا ، فلم يدركنا أحد منهم إلا سُراقة بن مالك بن جعشم على فرسٍ له .

فقلت: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا.

فقال: « **لا تحزن إن الله معنا** ».

حتى إذا دنا منا، فكان بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين أو ثلاثة.

قال: قلت: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا وبكيت .

قال: « **لم تبكى؟** »

قلت: أما والله ما على نفسى أبكى، ولكن أبكى عليك .

قال: فدعا عليه رسول الله ﷺ فقال: « **اللهم اكفناه بما شئت** »، فساخت[1] قوائم فرسه إلى بطنها فى أرض صلد[2]، ووثب عنها، وقال: يا محمد قد علمت أن هذا عملك، فادع الله أن ينجينى مما أنا فيه، فوالله لأعمينَّ على مَنْ ورائى من الطلب، وهذه كنانتى[3]، فخذ منها سهماً، فإنك ستمر بإبلى وغنمى فى موضع كذا وكذا، فخذ منها حاجتك.

فقال رسول الله ﷺ : « **لا حاجة لى فيها** »

---

(١) غاصت .

(٢) الصلد: اليابس الأملس.

(٣) الكنانة: كيس من جلد أو جعبة من خشب توضع فيها السهام.

قال: ودعا له رسول الله ﷺ فأطلق فرجع إلى أصحابه، ومضى رسول الله ﷺ وأنا معه حتى قدمنا المدينة [1].

*** وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال :**

أقبل نبى الله ﷺ إلى المدينة ، وهو مردف أبا بكر، وأبو بكر شيخٌ يُعْرف ونبى الله ﷺ شابٌ لا يُعرف، قال: فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكر من هذا الرجل الذى بين يديك؟

فيقول: هذا الرجل يهدينى السبيل، قال: فيحسبُ الحاسب أنه إنما يعنى الطريق، وإنما يعنى سبيل الخير[2].

*** أخرج ابن الأثير فى أسد الغابة بسنده عن ابن عيينة:**

عاتب الله سبحانه المسلمين كلهم فى رسول الله ﷺ إلا أبا بكر، فإنه خرج من المعاتبة: **﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾** [التوبة : ٤٠]

***وإليك هذا المشهد الذى يتألق روعةً وجلالاً :**

عن أسماء بنت أبى بكر ـ رضى الله عنها ـ قالت:

لما خرج رسول الله ﷺ وخرج معه أبو بكر احتمل أبو بكر ماله كله

---

(١) رواه البخارى رقم (٣٦٥٢) فى الفضائل، باب مناقب المهاجرين وفضلهم، ورقم (٣٩٠٥) فى مناقب الأنصار ، باب هجرة النبى ﷺ ، ومسلم رقم (٢٠٠٩) فى الأشربة، باب جواز شرب اللبن ، ورواه أيضاً أحمد فى المسند (١/ ٢) رقم (٣).

(٢) رواه البخارى رقم (٣٩١١) فى مناقب الأنصار ، باب هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة.

خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم، قالت: وانطلق بها معه، قالت: فدخل علينا جدى أبو قحافة، وقد ذهب بصره، فقال: والله إنى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه. قالت: قلت: كلا يا أبت، إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً، قالت: فأخذت أحجاراً فجعلتها فى كوة (ثقب فى الحائط) فى البيت - كان أبى يجعل فيها ماله - ثم وضعت عليها ثوباً ، ثم أخذت بيده، فقلت: يا أبت ضع يدك على هذا المال.

قالت: فوضع يده عليه فقال: لا بأس، إن كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن، وفى هذا لكم بلاغ، قالت: لا والله ما ترك لنا شيئاً، ولكنى أردت أن أسكِّن الشيخ بذلك !! (1)

* * *

(1) أخرجه أحمد (٦/ ٣٥٠) ،وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٦/ ٥٩): ورجال أحمد رجال الصحيح عن ابن اسحاق ،وقد صرح بالسماع وعزاه للطبرانى أيضاً ،وانظر البداية والنهاية (٣/ ١٧٩) وتاريخ الخلفاء للإمام السيوطى ص ٣٩.

علو منزلته عند رسول الله ﷺ

إن من علو منزلة الصديق عند رسول الله ﷺ أن يتمعر وجه المصطفى ﷺ لأجله .

* **ففى « صحيح البخارى» عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال:**

كنت جالساً عند النبى ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبْدى عن ركبته فقال النبى ﷺ: « **أما صاحبكم فقد غامر**»، فسلم وقال: يا رسول الله، إنى كان بينى وبين ابن الخطاب شىء فأسرعتُ إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لى فأبى عَلَىَّ، فأقبلت إليك فقال: «**يغفر الله لك يا أبا بكر**» (ثلاثا) ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبى بكر فسأل : أثم أبو بكر؟ فقالوا: لا . فأتى إلى النبى ﷺ فجعل وجه النبى ﷺ يتمعَّر(*)، حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله أنا

(*) قال الحافظ فى الفتح : يتمعر بالعين المهملة المشددة أى تذهب نضارته من الغضب، وفى بعض النسخ (يتمغر) بالغين المعجمة أى يحمر من الغضب ، فصار كالذى صبغ بالمغرة، وللمؤلف فى التفسير « وغضب رسول الله ﷺ » ، وفى حديث أبى أمامة عند أبى يعلى فى نحو هذه القصة « فجلس عمر فأعرض عنه - أى النبى ﷺ - ثم تحول فجلس إلى الجانب الآخر وأعرض عنه ، ثم قام فجلس بين يديه فأعرض عنه ، قال: يا رسول الله ما أرى إعراضك إلا لشئ بلغك عنى ، فما خير فى حياتى وأنت معرض عنى ؟ فقال : أنت الذى اعتذر إليك أبو بكر فلم تقبل منه، ووقع فى حديث ابن عمر عند الطبرانى فى نحو هذه القصة « يسألك أخوك أن تستغفر له فلا تفعل » فقال : والذى بعثك بالحق ما من مرة يسألنى إلا وأنا أستغفر له ، ما خلق الله من أحد أحب إلىَّ منه بعدك ، فقال أبو بكر : وأنا والذى بعثك بالحق كذلك اهـ (فتح البارى : ٧/ ٣٠).

كنت أظلم (مرتين). فقال النبى ﷺ: « **إن الله بعثنى إليكم،فقلتم:كذبت،وقال أبو بكر: صدق،وواسانى بنفسه وماله،فهل أنتم تاركو لى صاحبى ؟**».

مرتين فما أوذىَ بعدها [(١)]

قال الحافظ فى الفتح: وفى الحديث من الفوائد فضل أبى بكر على جميع الصحابة .

* بل انظر إلى هذا المشهد الذى يبين بجلاء تكريم الرسول ﷺ لأبى بكر ومنزلته فى قلبه . . . يوم فتح مكة جاء أبو بكر بأبيه أبى قحافة إلى رسول الله ﷺ يحمله حتى وضعه بين يدى رسول الله .

فقال رسول الله ﷺ لأبى بكر: « **لو أقررت الشيخ فى بيته لأتيناه مكرمةً لأبى بكر** »[(٢)] .

* ومن الأدلة على علو منزلة الصديق وتكريم النبى ﷺ له: ماجاء فى « الصحيحين» من حديث سهل بن سعد الساعدى قال: أن رسول الله ﷺ ذهب إلى بنى عمرو بن عوف ليصلح بينهم، فبلغ النبى ﷺ فأتاهم بعد الظهر ليصلح بينهم، فلما حضر العصر أقام بلال الصلاة، ثم

---

(١) رواه البخارى رقم (٣٦٦١) فى الفضائل، باب قول النبى ﷺ: « لو كنت متخذاً خليلاً».

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى المسند (٣/ ١٦٠) ، وصححه ابن حبان رقم (١٤٧٦) ، وكذا الحاكم فى « المستدرك» (٢٤٤ / ٣) ووافقه الذهبى، والحديث صحيح، صححه الألبانى فى الصحيحة رقم (٤٩٦).

أمر أبا بكر فـتقدم بهم، وجـاء رسول الله ﷺ بعـدما دخل أبو بكر فى الصلاة، فلما رأوه صـفَّحوا، وجاء رسول الله ﷺ يـشق الناس حتى قام خلف أبى بكر.

قال: وكان أبو بكر إذا دخل فى الصلاة لا يلتفت، فلما رأى التصفيح لا يمسك عنه التفت، فـرأى النبى ﷺ خلفه، فأومأ إليـه رسول الله ﷺ بيده أن امـضه، فقام أبو بكر كـهيئتـه فحمـد الله على ذلك، ثم مشى القهقرى فتقدم رسول الله ﷺ فصلى بالناس .

فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال:

« **يا أبا بكر ما منعك إذ أومأت إليك أن لا تكون مضيت** » قال:

فقال أبو بكر: لم يك لابن أبى قحافة أن يؤم رسول الله ﷺ [1].

ففى هذا الخبر أمر رسول الله ﷺ أبا بكر بالاستمرار فى الإمامة من باب الإكـرام له ، والتنويه بقـدره ، ولكن أبا بكر رضـى الله عنه سلك طريق الأدب والتواضع ، فقال: ماكان لابن أبى قحافة أن يؤم رسول الله ﷺ . . . يا خالق أبا بكر سبحانك !!

(١) رواه البـخارى رقم (٦٨٤) فى الأذان باب من دخـل ليؤم الناس ، فـجاء الإمـام الأول فتأخر الأول أو لم يتأخر جازت صلاته.

سابق بالخيرات

إذا تذكرت شجواً من أخى ثقة   فـاذكر أخـاك أبا بكر بما فعـلا
خيـر البرية أتـقاها وأعـدلهـا   إلا النبى وأوفـاهـا بما حـمـلا
الثانى المـثالى المحمـود مشـهده   وأول الناس منهم صدق الرسلا

إن أبا بكر لم يدع سبـيلاً من سبل الخيـر إلا وسلكه حتى أن النبى ﷺ بشره بأنه سينادى عليه يوم القيامة من كل أبواب الجنة.

كما فـى الحديث الذى رواه البخارى ومـسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« من أنفق زوجين مـن شىء من الأشـيـاء فى سبـيـل الله دُعى من أبواب الجنة : يا عـبد الله هذا خيـر،فمن كان من أهـل الصلاة دُعى من باب الصلاة،ومن كـان من أهل الجهـاد دُعى من باب الجهـاد،ومن كان من أهل الصدقة دُعى من باب الصدقـة ،ومن كان من أهل الصيام دُعى من باب الصـيام،وباب الريان» فـقال أبو بكر : مـا على هذا الذى يدعى من تلك الأبواب من ضرورة ،وقال:وهل يدعى منها كلها أحدٌ يا رسول الله ؟ قال : نعم وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر» [1].

(١) رواه البخارى و مـسلم رقم (٣٦٦٦) فى فضائل أصحـاب النبى ﷺ ، باب قول النبى ﷺ :« لو كنت متخذاً خليلاً » .

وفى رواية ابن حبان من حديث ابن عباس :

قال ﷺ : « **أجل وأنت هو يا أبا بكر** » .

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: عن أبواب الجنة فى « نونيته» :

ولسوف يدعى المـرء من أبوابها	جمـعاً إذا وفى حُلَى الإيمان
منهم أبو بـكر هو الصـديق ذا	ك خليـفة المبـعوث بالقـرآن

وفى الحديث الذى رواه مـسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال ﷺ:

قال رسول الله ﷺ: « **من أصبح منكم اليـوم صائماً؟** » . قال أبو بكر : أنا .

قال: «**من تبع منكم اليوم جنازة ؟**» قال أبو بكر رضى الله عنه : أنا.

قال: « **فمـن أطعم منكم اليوم مـسكيناً ؟** » قـال أبو بكر رضى الله عنه: أنا.

قال : « **من عاد منكم اليوم مريضاً ؟** » قال أبو بكر رضى الله عنه : أنا.

فقال رسول الله ﷺ: « **ما اجتمعن فى امرىء إلا دخل الجنة** »[1]

---

(١) رواه مسلـم رقم (١٠٢٨) فى فضائل الـصحابة ، باب من فـضائل أبى بكر الـصديق رضى الله عنه .

رجل أعلن إيمانه

إن عظمة هذا الرجل ماثلة فى إيمانه العجيب، ويقينه المذهل فى دنيا البشر : « **ما سبقكم أبو بكر بكثير صلاة وصيام، ولكنه شىء وقر فى القلب** » .

ومن ثم استحق أبو بكر بجداره واقتدار أن يكون : ﴿ **ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** ﴾ [التوبة : ٤٠]

﴿ **ثَانِيَ اثْنَيْنِ** ﴾ قال الزجاج: المعنى فقد نصره الله أحد اثنين ، أى: نصره منفرداً إلا من أبى بكر .

وهذا معنى قول الشعبى:

عاتب الله أهل الأرض جميعاً فى هذه الآية غير أبى بكر[١].

وفى « الصحيحين» عن أنس رضى الله عنه أن أبا بكر حدثه فقال: قلت للنبى ﷺ ونحن فى الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه، فقال: « **يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما** »[٢]

.. **الله أكبر!!**

---

(١) « التبصرة » (١ / ٤٧١).

(٢) رواه البخارى رقم (٣٦٥٣) فى فضائل أصحاب النبى ﷺ ، باب مناقب المهاجرين وفضلهم، ومسلم رقم (٢٣٨١) فى فضائل الصحابة، باب من فضائل أبى بكر الصديق، والترمذى رقم (٣٠٩٥) فى التفسير ، باب ومن سورة التوبة .

عندئذ سكن أبو بكر وهو يرى المشركين يطوفون بالغار فى خبال، ثم يرتدون عنه حيارى وعمياناً لم ينالوا شيئاً فتم له يومئذ إيمانه رضى الله عنه . . واستوى على عرش اليقين يقينه الذى ملأ الزمان والمكان روعة فى ساعة العسرة،ووقت الأزمات إنه الصديق الأكبر رضى الله عنه.

وما من باب من أبواب الخير إلا وتجد الصديق فى المقدمة،ومناقبه فى الإسلام عظيمة الأثر . . كان رضى الله عنه أول من جاهر بالدفاع عن النبى ﷺ فوالله لساعة من أبى بكر خير من ألف ساعة من مثل مؤمن آل فرعون ذاك رجل يكتم إيمانه،وهذا رجل أعلن إيمانه !!

* عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال:

بينما رسول الله بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط،فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ فلف ثوبه فى عنقه فخنقه خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه،ودفعه عن النبى ﷺ،ثم قال: ﴿ **أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ** ﴾ [غافر :٢٨][(١)]

قال الحافظ فى « الفتح» :

أخرج البزار من رواية محمد بن على عن أبيه أنه خطب فقال:

من أشجع الناس ؟ فقالوا:أنت،قال:أما إنى ما بارزنى أحد إلا

(١) رواه البخارى فى مناقب الأنصار رقم (٣٨٥٦) باب ما لقى النبى ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة.

أنصفت منه ، ولكنه أبو بكر ، لقد رأيت رسول الله ﷺ أخذته قريش فهذا يجؤه ، وهذا يتلقاه ويقولون له : أنت تجعل الآلهة إلهاً واحداً ، فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ، ويدفع هذا ، ويقول : ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله ، ثم بكى على ثم قال : أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون أفضل أم أبو بكر ؟ فسكت القوم ، فقال على : والله لساعة من أبى بكر خير منه ، ذاك رجل يكتم إيمانه ، وهذا يعلن إيمانه . أهـ(١)

وهذا مشهد آخر وموقف من مواقف الصديق الذى يقف أمامه الرائى متعجباً من حب هذا الرجل لرسول الله ﷺ ، وفدائه بنفسه من أجل دين الله ، وإعلاء كلمة التوحيد .

تقول عائشة رضى الله عنها :

لما اجتمع أصحاب النبى ﷺ ، وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ، ألح أبو بكر على رسول الله ﷺ فى الظهور ، فقال : « **يا أبا بكر إنا قليل** » .

فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله ﷺ ، وتفرق المسلمون فى نواحى المسجد ، كل رجل فى عشيرته ، وقام أبو بكر فى الناس خطيباً ، ورسول الله ﷺ جالس ، فكان أول خطيب دعا إلى الله ، وإلى رسول الله ﷺ ، وثار المشركون على أبى بكر وعلى المسلمين ، فضربوا

---

(١) « فتح البارى » (٧/٢٠٧) ط . دار الريان .

فى نواحى المسجد ضرباً شديداً، ووطىء أبو بكر، وضرب ضرباً شديداً، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة، فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين، ويحرفها لوجهه، ونز (أى وثب) على بطن أبى بكر، حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وجاء بنو تيم يتعادون، فأجلت قريشاً عن أبى بكر، وحملت بنو تيم أبا بكر فى ثوب حتى أدخلوه منزله، ولا يشكون فى موته، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا : والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة ، فرجعوا إلى أبى بكر فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب، فتكلم آخر النهار، فقال: ما فعل رسول الله ؟فمسُّوا منه بألسنتهم وعذلوه، ثم قاموا، وقالوا لأمه أم الخير: انظرى أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه.

فلما خلت به ألحت عليه، وجعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ ؟

فقالت : والله ما لى علم بصاحبك، فقال: اذهبى إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه، فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت : إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله .

فقالت : ما أعرف أبا بكر ، ولا محمد بن عبد الله، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك قالت : نعم، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دنفاً، فدنت أم جميل وأعلنت الصياح، وقالت: والله إن قوماً نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإنى لأرجو أن ينتقم الله لك

منهم.

قال: فما فعل رسول الله ﷺ قالت: هذه أمك تسمع، قال: فلا شيء عليك منها، قال: سالم صالح. قال: أين هو ؟ قالت: فى دار ابن الأرقم.

قال: فإن لله علىّ ألا أذوق طعاماً، ولا أشرب شراباً، أو آتى رسول الله ﷺ. فأمهلتاه حتى إذا هدأت الرحل، وسكن الناس خرَجَتَا به يتكىء عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ، فأكب عليه رسول الله ﷺ فقبله، وأكب عليه المسلمون، ورق له رسول الله ﷺ رقة شديدة، فقال أبو بكر: بأبى وأمى يا رسول الله، ليس بى بأس ! إلا مانال الفاسق من وجهى، وهذه أمى برة بولدها، وأنت مبارك فادعها إلى الله، وادع لها عسى أن يستنقذها بك من النار، قال: فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الله فأسلمت [1]

* وشهد أبو بكر رضى الله عنه المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ:

فهذا يوم بدر استشار رسول الله ﷺ أصحابه، فتكلم أبو بكر رضى الله عنه فأجاد، وكانت المعركة.. يقول على رضى الله عنه: أشجع الناس أبو بكر إنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً، فقلنا: من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يقوى إليه أحد من المشركين

---

(١) البداية والنهاية (٣/ ٢٩ ـ ٣٠) بسند رجاله ثقات، وقال الهيثمى فى المجمع (٤٦ ـ ٤٧ / ٩) : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير إسماعيل بن أبى الحرث، وهو ثقة، انظر حلية الأولياء (١/ ٣٢) وتاريخ الخلفاء للحافظ جلال الدين السيوطى ص ٣٧

فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر شـاهراً بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوى إليه أحد إلا هوى إليه، فذكر الحديث. كذا فى « المجمع» (٩/ ٤٦).

* وثبت أبو بكر رضى الله عنه ثبـوت الجبال يوم أحد حـول رسول الله ﷺ يدافع.

وبعث رسول الله ﷺ سرية إلى بنى فزارة سنة سبع للهجرة بقيادة أبى بكر رضى الله عنه فوردت الماء ،وغنمت ،وسبت،وعادت سالمة .

وفى غـزوة تبوك سـاعـة العسـرة كـانت راية المسلمين بيـد أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

ويوم حنين أعجب المسلمون بكثرتهم فلم تغنهم شيئاً،وولوا مدبرين بعد أن كمن لهم أعداء الله فى شعاب الوادى،وكان أول من ثبت حول رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضى الله عنه وأرضاه [١].

(١) زاد المعاد (٣/ ٤٦٩) ط مؤسسة الرسالة بيروت .

إنفاقه رضي الله عنه في سبيل الله

وأبو بكر رضى الله عنه له اليد الطولى فى الإنفاق فى سبيل الله ، حتى قال المصطفى ﷺ فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد وابن ماجة من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال:

«**ما نفعنى مالٌ قط ما نفعنى مال أبى بكر**»(١) ل الله ﷺ وأراد أنالله أنا ومالى إلا لك يا رسول الله ؟.

وقد كان ماله يوم أسلم رضى الله عنه أربعين ألف دينار أنفقها كلها على رسول الله ﷺ، ولم يبق منها يوم الهجرة إلا خمسة آلاف.

عن عائشة رضى الله عنها قالت: « أنفق أبو بكر رضى الله عنه على رسول الله ﷺ أربعين ألفاً »(٢)

فقد كان رضى الله عنه كريماً سخياً، وقد أنفق جل ماله فى سبيل الله ورسوله ﷺ وقد نزلت فى حقه: ﴿ **وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ** ﴾ [الليل: ١٧، ١٨]

قال ابن كثير رحمه الله تعالى :

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٢٥٣) رقم (٧٤٣٩)، وابن ماجة (٩٤)، وابن أبى عاصم فى « السنة» (١٢٢٩)، وصححه شيخنا الألبانى .

(٢) رواه ابن حبان (٢١٦٧) ، وقال الألبانى وسنده صحيح ، انظر السلسلة الصحيحة (٦/ ٤٨٧) .

وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه حتى أن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك، ولاشك أنه داخل فيها، وأولى الأمة بعمومها، فإن لفظها لفظ العموم، وهو قوله تعالى: ﴿ **وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ** ﴾ [الليل : ١٧ ـ ١٩]

ولكنه مقدم الأمة وسابقهم فى جميع هذه الأوصاف، وسائر الأوصاف الحميدة فإنه كان صديقاً، تقياً، كريماً، جواداً، باذلاً لأمواله فى طاعة مولاه، ونصرة رسول الله ﷺ .

فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم، ولم يكن لأحد من الناس عنده منّة يحتاج إلى أن يكافئه بها، ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل .

ولهذا قال له عروة بن مسعود، وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية : أما والله لولا يدٌ لك عندى لم أجزك بها لأجبتك، وكان الصديق قد أغلظ له فى المقالة.

فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب، ورؤساء القبائل، فكيف بمن عداهم؟ ولهذا قال تعالى: ﴿ **وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ** ﴾ أ. هـ[١].

---

(١) « تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٤/ ٥٢١) ط. التراث الإسلامى حلب.

* وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، فوافق ذلك منى مالاً، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر - إن سبقته يوماً - فجئت بنصف مالى، فقال رسول الله ﷺ: « **ما أبقيت لأهلك ؟** » قلت : مثله.

قال: وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: « **ما أبقيت لأهلك؟** »

قال: أبقيت لهم الله ورسوله قلت: لا أسبقك إلى شىء أبداً [١] .

*** ومن إنفاقه رضى الله عنه فى سبيل الله :**

شراء العبيد وعتقهم، فكان رضى الله عنه إذا مرَّ على أحد من العبيد يعذب اشتراه من سيده، وأعتقه ابتغاء وجه ربه الأعلى .

*** أخرج ابن الأثير بسنده [٢]:**

عن هشام بن عروة عن أبيه قال:

أسلم أبو بكر وله أربعون ألفاً، فأنفقها فى سبيل الله، وأعتق سبعة كلهم يعذب فى الله، أعتق بلالاً، وعامر بن فهيرة، وزنيرة، والنَّهْدية وابنتها، وجارية بنى مُؤَمَّل، وأم عُبَيْس.

(١) رواه أبو داود رقم (١٦٧٨) فى الزكاة، باب فى الرخصة فى الرجل يخرج من ماله، والترمذى رقم (٣٦٧٥) فى المناقب، باب مناقب أبى بكر الصديق رضى الله عنه، وإسناده حسن، وقال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح، وحسنة الشيخ الألبانى.

(٢) أسد الغابة (٣/ ٣٢٥). وقال الهيثمى فى المجمع: رواه الطبرانى ورجاله إلى عروة رجال الصحيح.

* وعن عائشة رضى الله عنها قالت:

أعتق أبو بكر رضى الله عنه سبعة ممن كان يعذب فى الله عز وجل منهم بلال ، وعامر بن فهيرة(١) .

اشترى أبو بكر رضى الله عنه بلالاً كما قال عمر : أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا يعنى بلالاً (٢).

وكان بلال من قبل مولى لأمية بن خلف الجمحى الذى أذاقه العذاب المر، وقد اشترى أبو بكر بلالاً بخمس أواق من الذهب ، وبعد أن اشتراه :

قال أمية بن خلف لأبى بكر: لو أبيت إلا أوقية لبعناك، فقال أبو بكر: لو أبيتم إلا مائة أقية لأخذته.

* واشترى أبو بكر رضى الله عنه عامر بن فهيرة من سيده الطفيل بن عبد الله بن الحارث، وأعتقه، وكان عامر أحد السابقين للإسلام، وقد عُذِّب فى سبيل الله، وشهد بدراً وأُحداً، وقتل يوم بئر معونة.

* واشترى أبو بكر رضى الله عنه زنيرة، وكانت أمة عمر بن الخطاب قبل أن يسلم ، وكان يعذبها ويضربها ـ وكانت قد أسلمت ـ وذهب

---

(١) أخرجه الحاكم فى « المستدرك» (٣/ ٢٨٤)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى. وهو كما قال .

(٢) رواه البخارى رقم(٣٧٥٤) فى فضائل أصحاب النبى ﷺ ، باب مناقب بلال بن رباح مولى أبى بكر رضى الله عنه ، ورواه ابن أبى شيبة فى « المصنف» رقم (١٢٠١٤) .

بصرها من شدة الضرب، فقالت قريش : ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى ، فقالت ،وهى لا تبصر : والله ما هو كذلك،وما يدرى اللات والعزى من يعبدهما ،وربى قادر على أن يرد علىَّ بصرى ، فردَّ الله عليها بصرها تلك الليلة، فقالت قريش : هذا من سحر محمد.

فاشتراها أبو بكر فأعتقها،وكانت قريش تقول :لو كان خيراً ما سبقتنا إليه زنيرة فأنزل الله عز وجل :﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا ﴾ [الأحقاف :١١]

* واشترى جارية كانت أمة فى بنى عدى،قوم عمر بن الخطاب،وقد أسلمت فكان عمر بن الخطاب قبل إسلامه يعذبها،ويضربها لتترك الإسلام،فاشتراها أبو بكر رضى الله عنه،وأعتقها .

* واشترى رضى الله عنه أمة فى بنى عبد شمس،وكانت تدعى أم عبيس وأعتقها أ.هـ[1].

* * *

(١) «التاريخ الإسلامى» لمحمود شاكر (٣/ ٣٨). ط المكتب الإسلامى .

تواضعه رضي الله عنه

و تواضع الصديق منقبة عظيمة من مناقبه ـ رضى الله عنه ـ بل كان رضى الله عنه على أعلى مثل من التواضع، وها هى تزكية النبى ﷺ بنفى الخيلاء عن الصديق رضى الله عنه

* ففى الحديث الذى رواه البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ :

«**من جر ثوبه خُيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**». فقال أبو بكر: وإن أحد شقَّى ثوبى يسترخى، إلا أن أتعاهد ذلك منه.

فقال رسول الله ﷺ : «**إنك لست تصنع ذلك خُيلاء**»(١).

*** وفى مسند الإمام أحمد :**

عن ابن أبى مليكة قال: كان ربما سقط الخطام من يد أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال: فيضرب بذراع ناقته فينيخها، فيأخذه، قال: فقالوا له: أفلا أمرتنا نناولكه ؟ قال: إن حبيبى رسول الله ﷺ أمرنى أن لا أسأل الناس شيئاً (٢).

---

(١) رواه البخارى رقم (٣٦٦٥) فى الفضائل، باب قول النبى ﷺ : « لو كنت متخذاً خليلاً »، وأخرجه أبو داود رقم (٤٠٨٥)، والنسائى (٨/ ٢٠٨).

(٢) رواه أحمد فى المسند (١/ ١١) رقم (٦٥)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده ضعيف.

وروى ابن سعد في «الطبقات الكبرى» بسندحسن كما قال ابن كثير:

وكـان ـ رضى الله عنه ـ منـزله بالسُّنُح[١] عند زوجته حبـيبة بنت خارجة بن زيد، وكـان قد حَجَّر[٢] عليه حُـجْرةً من شَعْر فـما زاد على ذلك حتى تحـول إلى منزله بالمدينة، فأقـام هناك بالسُّنُح، بعـدما بويع له ستة أشهر يغـدو على رجليه إلى المدينة، وربما ركب على فرس له وعليه إزار ورداء مُمشَّقٌ [٣]، فيوافى المدينة، فيصلى الصلوات بالناس، فإذا صلى العـشاء رجع إلى أهله بالسنـح، فكان إذا حضـر صلى بالناس، وإذا لم يحضر صلى عمر بن الخطاب.

وكـان رجـلاً تاجـراً، فـكان يغـدو كل يوم إلى السـوق، فيبيع، ويبتاع، وكانت له قطعة غنم يروح عليها[٤]، وربما خرج هو بنفسه فيها، وربما كُفِيها فرُعيتْ له .

وكان يحلب للحى أغنامهم، فلما بويع له بـالخلافة، قالت جارية من الحى: الآن لا تحْلُب لنا منَائِحُ (أغنام) دارنا، فـسمعـها أبو بكر فـقال: بلى لعمرى لأحْلُبَنَّها لكم، وإنى لأرجو أن لا يغـيرنى ما دخلت فيه عن

(١) بالسنح : بضم السين والنون ،وقـيل بسكونهـا ، موضع بعـوالى المدينة فيـه منازل بنى الحارث بن الخزرج .

(٢) حجر : يقال : حجر القاضى عليه : منعه عن التصرف فى ماله .

(٣) ممشق : المشق بالكسر : المغرة وثوب ممشق : مصبوغ به (النهاية ٤ / ٣٣٤).

(٤) يروح عليها : الرواح ضد الصباح ،وهو اسم للوقت من زوال الشمس إلى الليل ،وهو أيضاً مصدر راح يروح ضد غدا يغدو .

خُلُقٍ كنت عليه، فكان يحلب لهم، فربما قال للجارية من الحى: يا جارية أتحبين أن أُرْغى لك أو أُصَرّح ؟ فربما قالت : أرغ ، وربما قالت : صَرّحْ، فأى ذلك قالت فعل.

ثم اعتمر أبو بكر في رجب سنة اثنتى عشرة، فدخل مكة ضحوة فأتى منزله ، وأبو قحافة جالس على باب داره معه فتيان أحداث يحدثهم إلى أن قيل له: هذا ابنك ، فنهض قائماً، وعجل أبو بكر أن ينيخ راحلته، فنزل عنها وهى قائمة، فجعل يقول: يا أبت لا تقم، ثم لاقاه فالتزمه، وقبل بين عينى أبى قحافة، وجعل الشيخ يبكى فرحاً بقدومه.

وجاء إلى مكة عتاب بن أسيد، وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبى جهل، والحارث بن هشام فسلموا عليه : سلام عليك يا خليفة رسول الله ﷺ ، ثم سلموا على أبى قحافة.

فقال أبو قحافة : يا عتيق هؤلاء الملأ فأحسن صحبتهم.

فقال أبو بكر: يا أبت لا حول ولا قوة إلا بالله !

طوقت عظيماً من الأمر لا قوة لى به، ولا يدان إلا بالله، ثم دخل فاغتسل ، وخرج ، وتبعه أصحابه فنحاهم، ثم قال: امشوا على رسلكم، ولقيه الناس يتمشون فى وجهه، ويعزونه بنبى الله ﷺ، وهو يبكى حتى انتهى إلى البيت فاضبع بردائه، ثم استلم الركن ثم طاف

سبعاً، وركع ركعتين، ثم انصرف إلى منزله.

فلما كـان الظهر خرج فطاف أيضـاً بالبيت، ثم جلس قـريباً من دار الندوة، فقال: هل من أحد يتشكى من ظُلاَمَـةٍ، أو يطلب حقاً ؟ فما أتاه أحدٌ، وأثنى الناس علـى واليهم خيـراً، ثم صلى العصر وجلس فـودعه الناس، ثم خرج راجعاً إلى المدينة[1] .

*** وأورد ابن الأثير بسنده فى أسد الغابة :**

عن أبى صالح الغفارى: أن عمر بن الخطاب كان يتعاهد عجوزاً كبيرة عـمـياء فى بـعض حواشى المـدينة من الليل، فـيـسـتـقى لهـا، ويقـوم بأمرها، فكان إذا جـاء وجد غيـره قد سبقـه إليها فـأصلح ما أرادت ، فجاءها غير مرة كلاً يسبق إليها، فرصده عمر فإذا هو بأبى بكر الصديق الذى يأتيها ، وهو يومئذ خليفة.

فقال عمر: أنت هو لعمرى !!

ولا عجب فى ذلك، فقد كان الصـديق رضى الله عنه رؤوفاً رحيماً برعيته .

فقد أخرج ابن الأثير بسنده فى أسد الغابة : عن قبيصة بن جابر : والله ما رأيت أحداً أرأف برعيته، ولا خيراً من أبى بكر.

---

(١) أسد الغـابة (٣/ ٣٢٥، ٣٢٦) بسند حسن، والخبـر فى الطبقات لابن سـعد(٣/ ١٣٨) ، ولكن من طريق الواقـدى ، وقال ابن كثـير : هذا سيـاق حسن ، وله شـواهد من وجوه أخر، ومثل هذا تقبله النفوس وتتلقاه بالقبول (كذا فى الكنز : ١٤٠٧٧) .

وعن سعيد بن المسيب:

أن أبا بكر رضى الله عنه، لما بعث الجنود نحو الشام أمَّر يزيد بن أبى سفيان، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة، ولما ركبوا مشى أبو بكر مع أمراء جنوده يودّعهم حتى بلغ ثَنِيَّة الوداع، فقالوا: يا خليفة رسول الله، تمشى ونحن ركبان ؟! فقال: إنى أحتسب خطاى هذه فى سبيل الله [1].

*** وعن أبى برزة الأسلمى قال:**

أغْلظ رجل لأبى بكر الصديق قال: فقال أبو بَرْزة ألا أضربُ عنقه ؟ قال: فانتهره، وقال: ما هى لأحد بعد رسول الله ﷺ [2] .

*** وأخرج ابن الأثير فى أسد الغابة : عن الأصمعى قال:**

كان أبو بكر إذا مُدِحَ قال: اللهم أنت أعلم بى من نفسى، وأنا أعلم بنفسى منهم، اللهم اجعلنى خيراً مما يظنون، واغفر لى ما لا يعلمون، ولا تؤاخذنى بما يقولون .

* * *

(١) أخرجه البيهقى (٩/ ٨٥) وكذا ابن عساكر. بسند صحيح.
(٢) رواه أحمد فى المسند رقم (٩٢) ، وقال الشيخ شاكر : وإسناده صحيح .

خوفه وورعه رضي الله عنه

إن القلم ليتوارى خجلاً وحياءً من أن يعبر عن ورع هذا الطود الشامخ، والنجم الساطع فى سماء الإسلام .

ذالكم الرجل الذى كان ورعه وخوفه من الله ليس له فى العالمين نظير .

* أخرج الإمام أحمد فى « الزهد» عن محمد بن سيرين قال:

لم أعلم أحداً استقاء من طعام أكله غير أبى بكر رضى الله عنه[١] :

* وأخرج البخارى من حديث عائشة رضى الله عنها قالت :

كان لأبى بكر غلامٌ يخرجُ له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يوماً بشىء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام :

أتدرى ما هذا ؟ فقال أبو بكر: ما هو ؟ قال: كنت تكهنت لإنسان فى الجاهلية، وما أُحْسِن الكهانة، إلا أنى خدعته فأعطانى بذلك ، فهذا الذى أكلت منه؟ فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شىء فى بطنه[٢] .

قال ابن حجر فى « الفتح»:

ووقع لأبى بكر مع النعيمان بن عمرو أحد الأحرار من الصحابة

---

(١) قال الحافظ فى « الفتح» : رواه أحمد فى « الورع» ورجاله ثقات لكنه مرسل.
(٢) رواه البخارى رقم (٣٨٤٢) فى مناقب الأنصار ، باب أيام الجاهلية.

، قصة ذكرها عبد الرزاق بإسناد صحيح :

أنهم نزلوا بماء، فجعل النعيمان يقول لهم: يكون كذا فيأتون بالطعام، فيرسله إلى أصحابه. فبلغ أبا بكر فقال: أرانى آكل كهانة النعيمان منذ اليوم، ثم أدخل يده فى حلقه فاستقاء . أهـ[1]

قال الحافظ فى « الفتح »: قال ابن التين:

إنما استقاء أبو بكر تنزهاً لأن أمر الجاهلية وضع ، ولو كان فى الإسلام لغرم مثل ما أكل أو قيمته، ولم يكفه القىء، كذا قال: والذى يظهر أن أبا بكر إنما قاء لما ثبت عنده من النهى عن حلوان الكاهن، والكاهن من يخبر بما سيكون من غير دليل شرعى، وكان ذلك قد كثر فى الجاهلية خصوصاً قبل ظهور الإسلام . أهـ[2].

* وأخرج أبو نعيم فى «الحلية» عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال: كان لأبى بكر الصديق رضى الله عنه مملوك يغلُّ عليه، فأتاه ليلة بطعام، فتناول منه لقمة، فقال له المملوك: مالك كنت تسألنى كل ليلة، ولم تسألنى الليلة ؟

قال : حملنى على ذلك الجوع، من أين جئت بهذا ؟

قال: مررت بقوم فى الجاهلية فرقيت لهم، فوعدونى فلما كان اليوم،

---

(١) « فتح البارى» (٧/ ١٨٩ ـ ١٩٠) ط. دار الريان .
(٢) المصدر السابق.

مررت بهم فإذا عُرس لهم فأعطونى.

قال: إنك كدت أن تهلكنى ، فأدخل يده فى حلقه فجعل يتقيأ، وجعلت لاتخرج.

فقيل له: إن هذه لا تخرج إلا بالماء، فدعا بطست من ماء ، فجعل يشرب ، ويتقيأ حتى رمى بها.

فقيل له: يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة.

قال : لو لم تخرج إلا مع نفسى لأخرجتها (١).

الله أكبر يا ابن أبى قحافة.. يا صديق الأمة الأكبر .. هذا هو الورع .. هذه هى التقوى.. وهذا هو الإيمان.. ولم لا ؟! وإيمانه رضى الله عنه لو وزن بإيمان الأمة لرجح رضى الله عنه وأرضاه.

وفى تاريخ الطبرى(٢) :

قال رضى الله عنه فى مرضه الذى توفى فيه: إنى لا آسى على شىء من الدنيا إلا على ثلاث فعلتهن، وددت أنى تركتهن ذكر منها وددت أنى يوم سقيفة بنى ساعدة كنت قذفت الأمر (أمر الخلافة) فى عنق أحد الرجلين - يريد عمر وأبا عبيدة - فكان أحدهما أميراً، وكنت وزيراً.

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى « الحلية» (١/ ٣١) بسند رجاله ثقات ، والخبر فى المنتظم لابن الجوزى (٤/ ٦٢) .

(٢) (٢/ ٣٥٣) وإسناده صحيح .

* وهذا موقف آخر يظهر فيه بجلاء ورع أبى بكر ووقوفه عند كتاب الله عز وجل.

ففى البخارى من حديث عائشة رضى الله عنها فى حادثة الإفك، وفيه قالت: فلما أنزل الله فى براءتى، قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه ـ وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره ـ: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذى قال لعائشة ما قال، فأنزل الله :

﴿ وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢]

قال أبو بكر: بلى، والله إنى أحبُّ أن يغفر الله لى، فرجع إلى النفقة التى كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً [١] .

انظر ـ رحمنى الله وإياك ـ كيف كان رضى الله عنه وقافاً عند كتاب الله ؟!

بل انظر إلى خوفه وورعه أن يقول فى كتاب الله بما لا يعلم . .

يقول رضى الله عنه وأرضاه :

أى أرض تقلنى، وأى سماء تظلنى، إن قلت فى آية من كتاب الله

---

(١) أخرجه البخارى رقم (٤٧٥٠) فى التفسير، باب: « لولا إذ سمعتموه . . الآية ».

برأيي أو بما لا أعلم[١] .

*** وعن ابن سيرين قال:**

لم يكن أحدٌ أهيب بما لم يعلم من أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وإن أبا بكر نزلت به قضية، فلم يجد في كتاب الله منها أصلاً، ولا في السنة أثراً فاجتهد برأيه، ثم قال: هذا رأيي فإن يكن صواباً فمن الله ، وإن يكن خطأ فمني، وأستغفر الله[٢] .

* وعن ابن أبي مليكة قال:

سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن آية في كتاب الله عز وجل، قال: أي أرض تُقلني، وأي سماء تظلني وأين أذهب وكيف أصنع إذا أنا قلت في آية من كتاب الله بغير ما أراد الله؟[٣]

بل انظر - رحمني الله وإياك - كيف خوفه وخشيته على إيمانه من أن يترك شيئاً من أمره ﷺ: فيقول:

لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، إني

(١) « إعلام الموقعين» (١/ ٥٤) ط. دار الجيل، والخبر في مسند عبد بن حميد وإسناده صحيح .

(٢) المرجع السابق ،والخبر صحيح رجاله ثقات.

(٣) « سنن سعيد بن منصور» رقم (٣٩) ذكره الحافظ في « الفتح» (١٣/ ٢٧١)، وقال الأثر حسن.

أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ(١) .

بل انظر - رحمنى الله وإياك - إلى الصديق الأكبر الذى لا يملك عينيه من البكاء إذا قرأ القرآن.

* ففى « صحيح البخارى» من حديث عائشة رضى الله عنها فى حديث الهجرة الطويل، وفيه: ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجداً بفناء داره، وكان يُصلى فيه ويقرأ القرآن فيتقذَّف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، وهم يعجبون منه، وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكّاءً لا يملكُ عينيه إذا قرأ القرآن(٢).

وأخرج ابن جرير عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿ **إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا** ﴾ [الزلزلة: ١]

وأبو بكر الصديق - رضى الله عنه - قاعد فبكى حين أنزلت :

فقال له رسول الله ﷺ : « **ما يبكيك يا أبا بكر؟** » .

قال: يبكينى هذه السورة .

فقال رسول الله ﷺ : « **لولا أنكم تخطئون وتذنبون فيغفر الله لكم لخلق الله أمة يخطئون، ويذنبون فيغفر لهم** »(٣) .

---

(١) « الاعتصام» للشاطبى (١/ ١٨٠) دار إحياء التراث.
(٢) رواه البخارى رقم (٣٩٠٥) فى مناقب الأنصار ، باب هجرة النبى ﷺ ، وأصحابه إلى المدينة.
(٣) « تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٤/ ٥٣٨) ، والخبر رجاله ثقات .

بل انظر - رحمنى الله وإياك - إلى هذا الأثر، ثم تعجب ، وإن شئت تأسفت، أو بكيت على حالك وحالى .

يدخل الفاروق عمر على أبى بكر ، وهو يجبذ لسانه .

فقال عمر : مه ؟ غفر الله لك .

فماذا قال الصديق رضى الله عنه ؟ قال وهو يجبذ لسانه :

« إن هذا أوردنى الموارد »[١].

بل انظر - رحمنى الله وإياك - إلى خوفه .

يقول ابن الجوزى: قال أبو بكر رضى الله عنه - فيما رواه الإمام أحمد :- لوددت أنى شعرة فى جنب عبد مؤمن[٢] .

وقال أيضاً: وعن الحسن قال: قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : يا ليتنى شجرة تُعضد، ثم تؤكل [٣].

* * *

---

(١) « الموطأ» (٢/ ٩٨٨) فى الكلام ، باب ما جاء فيما يخاف من اللسان، وقال الأرناؤوط فى تخريج« جامع الأصول» : إسناده صحيح، وأخرجه أيضاً النسائى (٥/ ٢٨٤) فى المواعظ من سننه الكبرى ، ورواه أبو يعلى فى مسنده ، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٠/ ٣٠٢): ورجاله رجال الصحيح، وأخرجه أيضاً الدارقطنى .

(٢) « صفة الصفوة» (١/ ١٣١) . ط الكتب العلمية .

(٣) المصدر السابق

اتباعه للنبي ﷺ في كل شيء

سوف نرى بعد قليل عند الكلام عن بعث جيش أسامة بعد وفاة النبي ﷺ ماذا قال الصديق عندما كلمه عمر وصحابة النبي ﷺ أن يؤخِّر بعث الجيش ؟

ماذا فعل، وماذا كان جوابه عندما كَلَّمَه عمر عن رغبة الأنصار أن يُؤَمِّر أحداً غير أسامة . . لتعلم أنه الصديق . . الذى قال فى أول خطبته :

إنما أنا تابع ولست بمبتدع . . هكذا يكون الاتباع . .

* وموقفه من طلب عمر بن الخطاب لعزل خالد ، وقوله :« إن فى سيف خالد رهقاً » وأنه لم يعزله اتباعاً لرسول الله ﷺ لأنه لم يعزل خالد عندما تأول فى مثل هذا الموقف، وقال النبى ﷺ :« **اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد**» .

ففى البخارى : عن عبد الله بن عمر قال:

بعث النبى ﷺ خالد بن الوليد إلى بنى جذيمة ، فدعاهم إلى الإسلام ، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا ، فجعلوا يقولون : صبأنا صبأنا. فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، ودفع إلى كل رجل منا أسيره، حتى إذا كان يومٌ أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره، فقلت: والله لا

أقتل أسيرى ،ولا يقتل رجل من أصحابى أسيره،حتى قدمنا على النبى ﷺ فذكرناه،فرفع النبى ﷺ يديه فقال: « **اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد**»مرتين [١].

* وموقفه رضى الله عنه عندما طلبت سيدة نساء أهل الجنة،فاطمة بنت محمد ميراث أبيها،وهى ابنة حبيبه وصاحبه،ورسوله،وقائده ومعلمه،وأحب أهل الأرض قاطبة إلى قلبه ﷺ،لكنه مع هذا قال لها: سمعت النبى ﷺ يقول:

« **نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة**».

ففى البخارى عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها :

أن فاطمة عليها السلام بنت النبى ﷺ أرسلت إلى أبى بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ،مما أفاء الله عليه بالمدينة،وفَدَك وما بقى من خمس خيبر،فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: « **لا نورث ما تركناه صدقة،إنما يأكل آل محمد من هذا المال**» وإنى والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التى كانت عليها على عهد رسول الله ﷺ،ولأعملن فيها بما عمل رسول الله ﷺ [٢].

---

(١) رواه البخارى رقم (٤٣٣٩) في المغازى ، باب بعث النبى ﷺ خالد بن الوليد إلى بنى جذيمة،والنسائى (٨/ ٢٣٧) فى آداب القضاة، باب الرد على الحاكم إذا قضى بغير الحق.

(٢) رواه البخارى رقم (٣٧١١، ٣٧١٢) فى فضائل أصحاب النبى ﷺ، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ .

وفى رواية: قال أبو بكر: لست تاركـاً شيئاً كان رسـول الله ﷺ يعمل به، إلا عملت به، فإنى أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ.

* وموقـفه مـن الصحـابة الذين بعثـهم رسول الله ﷺ إلى اليـمن وأرادوا أن يرجعـوا فقال: من أنفذ منكم أمـر رسول الله ﷺ وأراد أن يرجع فليرجع.

وهذا موقف آخـر يبين اتباعه رضى الله عنه، واقتـفائه أثر النبى ﷺ حتى فى زيارة من كان يزورهم رسول الله ﷺ.

* ففى صحيح مسلم عن أنس قال: قال أبو بكر رضى الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها، فلما انتهينا إليهـا بكت، فقالا لها: ما يبكيك ؟ ما عند الله خيرٌ لرسول الله ﷺ، فقالت: ما أبكى أن أكون أعلم أن ما عند الله خيـر لرسول الله ﷺ، ولكن أبكى أن الـوحى قد انقطع من السـماء . فَهيَّجَتْهُمُا على البكاء، فجعلا يبكيان معها [1]

لم أكن لأفشى سر رسول الله ﷺ

جاء فى البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما :

أن عمـر بن الخطاب حين تأيمت حـفصـة بنت عمـر من خنيس بن

---

(1) رواه مسلم رقم (٢٤٥٤) فى فضائل الصحابة، باب فضل أم أيمن، وأبو يعلى فى مسنده (١/ ٧١) عن أبى خيثمة.

حذافة السهميّ ـ وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فتُوفى بالمدينة ـ فقال عمر بن الخطاب: أتيت عثمان بن عفان، فعرضت عليه حفصة فقال: سأنظر فى أمرى، فلبث ليالى، ثم لقينى فقال: قد بدا لى أن لا أتزوج يومى هذا.

قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر، فلم يرجع إلى شيئاً، وكنت أَوْجَد عليه[1] منى على عثمان، فلبثت ليالى، ثم خطبها رسول الله ﷺ، فانكحتها إياه، فلقينى أبو بكر فقال: لعلك وجدت علىَّ حين عرضت علىَّ حفصة، فلم أرجع إليك شيئاً. قال عمر: قلت نعم. قال أبو بكر: فإنه لم يمنعنى أن أرجع إليك فيما عرضت علىَّ إلا أنى كنت قد علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشى سرَّ رسول الله، ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها»[2].

---

(١) قال الحافظ فى الفتح (٢٢١ / ٩):
أى أشد موجدة أى غضباً على أبى بكر من غضبى على عثمان، وذلك لأمرين: أحدهما ما كان بينهما من أكيد المودة، ولأن النبى ﷺ كان أخى بينهما، والثانى لكون عثمان أجابه أولا ثم اعتذر له ثانياً، ولكون أبى بكر لم يعد عليه جواباً.
ووقع فى رواية ابن سعد « فغضب على أبى بكر ، وقال فيها: كنت أشد غضباً حين سكت منى على عثمان . أهـ.

(٢) رواه البخارى رقم (٥١٢٢) فى النكاح ، باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخبر ، وروواه الإمام أحمد فى المسند (١ / ١٢).

حبه لآل بيت النبي ﷺ

إن حب الصديق للنبي ﷺ، جعل حبه لآل بيته عظيماً، وتقديمه لقرابة النبي ﷺ واضحاً بيناً.

* ففي البخاري(١) : قال أبو بكر:

والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليّ أن أصل من قرابتي .

وسبق قريباً أن فاطمة بنت النبي ﷺ لما وجدت عليه عندما طالبته بميراثها من النبي ﷺ، وقال أبو بكر سمعت النبي ﷺ يقول:

«لا نورث ما تركناه صدقة» .

فإنه رضي الله عنه ذهب إليها وترضاها رضي الله عنها حتى رضيت(٢).

* وفي البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه :

قال أبوبكر الصديق: ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته(٣).

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٢٤٠، ٤٢٤١) في المغازي ، باب غزوة خيبر، ومسلم رقم (١٧٥٩) في الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ لا نورث، وأبو داود رقم (٢٩٦٨).

(٢) فتح الباري (٦/ ٢٤٨، ٢٤٩).

(٣) رواه البخاري رقم (٣٧١٣) في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ.

قال الحافظ فى الفتح :

قوله : « ارقبوا محمداً فى أهل بيته » يخاطب بذلك الناس ويوصيهم به، والمراقبة للشئ المحافظة عليه ، يقول احفظوه فيهم فلا تؤذوهم ولا تسيئوا إليهم . أ .هـ [١]

وفى البخارى [٢] أيضاً عن عقبة بن الحرث قال:

خرجت مع أبى بكر الصديق من صلاة العصر، بعد وفاة النبى ﷺ بليال، وعلىّ يمشى إلى جنبه، فمر بحسن بن علىّ، يلعب مع غلمانه، فاحتمله على رقبته وهو يقول :

وأمامى شبهُ النبى ليس شبيهاً بعلى

قال: وعلىّ يضحك.

---

(١) فتح البارى (٧/ ٩٩) ط. العلمية .

(٢) رواه البخارى رقم (٣٥٤٢) فى المناقب، باب صفة النبى ﷺ، ورواه أحمد فى المسند رقم (٤٠)، والنسائى (٥/ ٢٩٩) فى المناقب، وأبو يعلى فى مسنده (١/ ٤١ ـ ٤٢).

إشارات النبي ﷺ إلى أن أبا بكر الخليفة من بعده

مات رسول الله ﷺ ولم يستخلف أحداً بنص صريح، وهذا مذهب أهل السنة، والجماعة. . بل أجمعت الصحابة على عقد الخلافة لأبي بكر وتقديمه لفضيلته، ولو كان هناك نص عليه أو على غيره لم تقع المنازعة من الأنصار وغيرهم أولاً، ولَذكَرَ حافِظُ النَّصِّ ما معه، ولرجعوا إليه، لكن تنازعوا أولاً، ولم يكن هناك نص، ثم اتفقوا على أبي بكر، واستقر الأمر، أهـ[١].

ومن الأدلة على أن النبي ﷺ لم يستخلف أحداً بنص صريح ما رواه البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال:

قيل لعمر: ألا تستخلف ؟ قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني أبو بكر، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله ﷺ، فأثنوا عليه فقال: راغب وراهب، وددت أني نجوت منها كفافاً لا لي ولا عليّ، لا أتحملها حياً وميتاً [٢].

---

(١) « صحيح مسلم بشرح النووي» (١٥/ ١٢٢٠) ط . مؤسسة قرطبة.

(٢) رواه البخاري رقم (٧٢١٨) في الأحكام باب الاستخلاف . قال ابن حجر في « الفتح» : فكأن عمر قال: إن أستخلف فقد عزم ﷺ على الاستخلاف، فدل على جوازه حديث عائشة « ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً فإني أخاف أن يتمنى متمنٍ ، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر» وإن أترك فقد ترك ، فقد دل على جوازه، وفهم أبو بكر من عزمه الجواز فاستعمله، واتفق الناس على قبوله « الفتح» (١٣ / ٢١٩).

وفى صحيح مسلم ،عن ابن أبى مليكة سمعت عائشة ،وسئلت : من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلفه؟

قالت: أبو بكر،فقيل لها: ثم من بعد أبى بكر؟ قالت : عمر[١].

فالنبى ﷺ لم يستخلف أحداً بنص صريح ،ولكن هناك إشارات من رسول الله ﷺ لاستخلاف أبى بكر رضى الله عنه.

* ففى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت:

قال لى رسول الله ﷺ فى مرضه: « **ادعى لى أبا بكر،وأخاك حتى أكتب كتاباً، فإنى أخاف أن يتمنى متمنٍّ،ويقول قائل : أنا أولى ،ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر** »[٢].

وعن جبير بن مطعم عن أبيه قال:

أتت امرأة للنبى ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك - كأنها تقول الموت - قال ﷺ: « **إن لم تجدينى فأتى أبا بكر** »[٣].

---

(١) رواه مسلم (٢٣٨٥) فى فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

(٢) رواه البخارى رقم (٧٢١٧) فى الأحكام باب الاستخلاف،ورواه مسلم رقم (٢٣٨٧) فى فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبى بكر الصديق رضى الله عنه ،واللفظ له.

(٣) رواه البخارى رقم (٣٦٥٩) فى فضائل الصحابة، باب قول النبى ﷺ: « لو كنت متخذاً خليلاً »ومسلم رقم (٢٣٨٦) فى فضائل الصحابة، باب من فضائل أبى بكر الصديق رضى الله عنه،والترمذى رقم (٣٦٧٦) فى المناقب،وابن سعد فى « الطبقات».

قال ابن حجر فى « الفتح» : والاستدلال بأن هذا الحديث يدل على أن أبا بكر هو الخليفة بعد النبى ﷺ صحيح لكن بطريق الإشارة لا التصريح، ولا يعارض جزم عمر بأن النبى ﷺ لم يستخلف ، لأن مراده نفى النص على ذلك صريحاً، والله أعلم، قال الكرمانى: يستدل بهذا الحديث على خلافة أبى بكر أ. هـ(١).

وقال الحافظ ابن كثير:

ومن تأمل ما ذكرناه ظهر له إجماع الصحابةالمهاجرين منهم والأنصار على تقديم أبى بكر، وظهر برهان قوله عليه السلام: « **يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**» وظهر له أن رسول الله ﷺ لم ينص على الخلافة عيناً لأحد من الناس، لا لأبى بكر كما زعمه طائفة من أهل السنة، ولا لعلى كما يقوله طائفة من الرافضة، ولكن أشار إشارة قوية يفهمها كل ذى لُبٍّ وعقل إلى الصديق(٢) .

* **وعن عبد الله بن زمعة رضى الله عنه قال:** لما استعز(٣) بالنبى ﷺ ـ وأنا عنده فى نفر من المسلمين ـ دعاه بلال إلى الصلاة، فقال رسول الله ﷺ: «**مروا من يُصلى للناس**» قال: فخرج عبد الله بن زمعة فإذا

---

(١) « فتح البارى» (١٣ / ٣٤٥).
(٢) « البداية والنهاية» (٥/ ٢٧٠).
(٣) « استعز» بالمريض : إذا غلب على نفسه من شدة المرض ، وأصله العِزَّة ، وهى الغلبة والاستيلاء على الشىء.

عمر فى الناس، وكان أبو بكر غائباً، فقلت: يا عمر: قم فصل بالناس، فتقدم فكبر، فلما سمع النبى ﷺ صوته ـ وكان عمر رجلاً مجهراً ـ قال: « **فأين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون ، يأبى الله ذلك والمسلمون** » فبعث إلى أبى بكر، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة فصلى بالناس[١].

قال ابن الأثير معلقاً على هذا الحديث فى « جامع الأصول»:

« **يأبى الله ذلك والمسلمون** » فيه نوع دلالة على خلافة أبى بكر رضى الله عنه، لأن هذا القول يُعلم منه: أن المراد به ليس نفى جواز الصلاة خلف عمر، كيف وهى جائزة خلف غيره من آحاد المسلمين ممن هو دون عمر؟ وإنما أراد به الإمامة التى هى الخلافة، والنيابة عن النبى ﷺ، ولذلك قال فيه: « **يأبى الله ذلك والمسلمون**» وعلى أنه يجوز أن يكون المراد بهذا القول: أن الله يأبى والمسلمون أن يتقدم فى الصلاة أحد على جماعة فيهم أبو بكر، حيث هو أكبرهم قدراً ومنزلة وعلماً، فإن التقدم عليه فى مثل الصلاة التى هى أكبر أعمال الإسلام، وأشرفها مما يأباه الله والمسلمون، وهذا صريح فى الدلالة.

والأول مفهوم من اللفظ أ.هـ [٢]

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٦٦٠، ٤٦٦١) فى السنة، باب استخلاف أبى بكر رضى الله عنه، وحسنه الأرناؤوط. وصححه الألبانى فى صحيح سنن أبى داود رقم (٣٨٩٥) .

(٢) « جامع الأصول» لابن الأثير بتحقيق شعيب الأرناؤوط (٦٤١٦ / ٥٩٤ ـ ٥٩٥ / ٨).

* **وعن أبي موسى الأشعرى رضى الله عنه قال:**

مرض النبى ﷺ فاشتد مرضه، فقال: « **مُرُوا أبا بكر فليصل بالناس** » فقالت عائشة: إنه رجل رقيق، إذا قام مقامك لم يستطع أن يُصلى بالناس؟

فقال: « **مُروا أبا بكر فليصل بالناس** » فعادت فقال: « **مُرى أبا بكر فليصلِّ بالناس، فإنكن صواحب يوسف** » فأتاه الرسول، فصلى بالناس فى حياة رسول الله ﷺ »[1] .

وفى رواية قالت عائشة عندما قال ﷺ: « **مروا أبا بكر يُصلى بالناس** » قالت عائشة: قلت: إن أبا بكر إذا قام فى مقامك لم يُسمع الناس من البكاء فَمُرْ عمر فليُصلِّ بالناس، فقالت عائشة: فقلت لحفصة، قولى له: إن أبا بكر إذا قام من مقامك لم يسمع الناس من البكاء ، فمر عمر فليصل بالناس، ففعلت حفصة، فقال رسول الله ﷺ : « **مَهْ ، لأنتن صواحب يوسف ، مروا أبا بكر فليصل بالناس** »[2]

---

(١) رواه البخارى رقم (٦٧٨) فى الإمامة، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، ورواه مسلم رقم (٤٢٠)، فى الصلاة ، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض ، وسفر وغيرهما ، ورواه أيضاً أحمد فى المسند رقم (٢٥١٣٤).

(٢) رواه البخارى رقم (٦٧٩) فى الأذان، باب من صلى بالناس لا يريد إلا أن يعلمهم صلاة النبى ﷺ وسنته، ومسلم . رقم (٤١٨) فى الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض ، وسفر وغيرهما ، والموطأ (١/ ١٧٠، ١٧١) فى قصر الصلاة ، باب جامع الصلاة، والترمذى رقم (٣٦٧٣) فى المناقب، والنسائى (٢/ ٩٨ - ١٠٠) فى الإمامة.

قال الحافظ ابن كثير فى « البداية والنهاية»:

والمقصود أن رسول الله ﷺ قدَّم أبا بكر إماماً للصحابة كلهم فى الصلاة التى هى أكبر أركان الإسلام العملية. قال أبو الحسن الأشعرى: وتقديمه له أمر معلوم بالضرورة من الدين، قال: وتقديمه له دليل على أنه أعلم الصحابة وأقرؤهم.

* ومن إشارات النبى ﷺ إلى أن أبا بكر هو الخليفة من بعده ما أخرجه ابن سعد فى « الطبقات» عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: استعمل النبى ﷺ أبا بكر على الحج فى أول حجة كانت فى الإسلام.

ففى البخارى(باب حجِّ أبى بكر بالناس فى سنة تسع) عن أبى هريرة رضى الله عنه :

أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه، بعثه فى الحجة التى أمَّره النبى ﷺ عليها قبل حجة الوداع يوم النحر فى رهط يؤذن فى الناس: لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان[1].

* ومن الإشارات أيضاً ما رواه البخارى :

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ

---

(١) رواه البخارى رقم (٤٣٦٣) فى المغازى ، باب حج أبى بكر بالناس فى سنة تسع، والترمذى فى تفسير القرآن ، وأحمد فى المسند.

الناس وقال: « **إن الله خير عبداً بين الدنيا، وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله** » قال: فبكى أبو بكر فعجبنا لبكائه أن يُخبر رسول الله عن عبد خُيِّر، فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا. فقال رسول الله ﷺ : « **إن أمن الناس عليّ في صحبته، وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد بابٌ إلا سُد إلا باب أبي بكر** ».[(١)]

قال ابن حجر في « الفتح »:

هو استثناء مفرغ، والمعنى: لا تُبْقُوا باباً غير مسدود إلا باب أبي بكر فاتركوه بغير سدٍّ، قال الخطابي وابن بطال وغيرهما: في هذا الحديث اختصاص ظاهر لأبي بكر، وفيه إشارة قوية إلى استحقاقه الخلافة، ولا سيما وقد ثبت أن ذلك كان في آخر حياة النبي ﷺ في الوقت الذي أمرهم فيه أن لا يؤمهم إلا أبو بكر . أ. هـ[(٢)].

وفي الحديث أيضاً منقبة عظيمة لأبي بكر، وذلك أنه كان أعلم الصحابة بالنبي ﷺ حين فهم مراد النبي ﷺ حين قال: « **إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله** » .

ومن الإشارات أيضاً :

(١) رواه البخاري رقم (٣٦٥٤) في فضائل الصحابة ، باب قول النبي ﷺ : « سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر ».
(٢) « فتح الباري» (٧/ ١٨).

أن رسول الله ﷺ صلى خلف أبا بكر فى مرضه الذى مات فيه.

عن عائشة رضى الله عنها قالت:

«صلى رسول الله ﷺ خلف أبى بكر قاعداً فى مرضه الذى مات فيه»[١]

وعن أنس رضى الله عنه:

آخر صلاة صلاها رسول الله ﷺ مع القوم فى ثوب واحد ملتحفاً به خلف أبى بكر[٢].

* ومن هذه الإشارات أيضاً ما جاء فى سنن الترمذى من حديث حذيفة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

« إنى لا أدرى ما بقائى فيكم ! فاقتدوا باللَّذين من بعدى : أبى بكر وعمر »[٣].

---

(١) رواه الإمام أحمد رقم (٦/ ١٥٩)، وقال محققه اسناده صحيح، وقال الحافظ ابن كثير فى « البداية والنهاية» : وقد رواه الترمذى والنسائى من حديث شعبة ، وقال الترمذى : حسن صحيح، ورواه أيضاً البيهقى فى « الدلائل» (ج٧ / ١٩٢).

(٢) رواه أحمد فى المسند (٣/ ٢٣٣) رقم (١٣٣٧٨)، وقال محققه إسناده صحيح، وأخرجه البيهقى ، وقال الحافظ ابن كثير : وهذا إسناد جيد على شرط الصحيح، ولم يخرجوه ، وهذا التقيد جيد بأنها آخر صلاة صلاها مع الناس صلوات الله وسلامه عليه.

وقال رحمه الله : وصلاة الرسول ﷺ خلفه فى بعض الصلوات فى هذه الروايات الصحيحة، لا ينافى ما روى فى « الصحيح» أن أبا بكر ائتم به عليه السلام لأن ذلك فى صلاة أخرى كما نص على ذلك الشافعى ، وغيره من الأئمة رحمهم الله عز وجل .

« البداية والنهاية» (٥/ ٢٥٦) ط. دار إحياء التراث العربى.

(٣) رواه الترمذى رقم (٣٦٦٣، ٣٦٦٤) فى المناقب، باب مناقب أبى بكر الصديق، وقال الترمذى: هذا حديث حسن ، وهو فى السلسلة الصحيحة رقم (١٢٣٣).

موقف الصديق عند وفاة النبي ﷺ

لما كان يوم الإثنين الذى توفى فيه رسول الله ﷺ :

« بينما المسلمون فى صلاة الفجر، وأبو بكر يصلى بهم لم يفجأهم إلا رسول الله ﷺ قد كشف الستر من حجرة عائشة، فنظر إليهم، وهم فى صفوف الصلاة، ثم تبسم يضحك، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، وظن أن رسول الله يريدُ أن يخرج إلى الصلاة، وهمَّ المسلمون أن يفتتنوا فى صلاتهم فرحاً برسول الله ﷺ، فأشار إليهم بيده رسول الله ﷺ أن أتِمُّوا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر»[1].

وعاد وقد اقترب الأجل، وبدأت اللحظات الأخيرة من عمره الشريف تتلاشى وتنتهى.

تقول عائشة: « **مات رسول الله ﷺ بين سحرى ونحرى وأنا مسندته إلى صدرى، فرأيته رفع يده أو أصبعه ثم قال: بل الرفيق الأعلى، بل الرفيق الأعلى، بل الرفيق الأعلى** » فعلمت أنه لا يختارنا[2].

وعن أنس رضى الله عنه قال: لما ثقل النبى ﷺ جعل يتغشاه، فقالت فاطمة عليها السلام: واكرب أبتاه ! فقال لها: « **ليس على أبيك كرب بعد اليوم** » . فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب رباً دعاه، يا أبتاه من جنة

---

(١) رواه البخارى رقم (٤٤٤٨) فى المغازى باب مرض النبى ﷺ ووفاته .

(٢) رواه البخارى رقم (٤٤٦٣) فى المغازى باب آخر ما تكلم به النبى ﷺ.

الفردوس مأواه.. يا أبتاه إلى جبريل ننعاه، فلما دفن قالت فاطمة : يا أنس أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب[١] .

مات رسول الله ﷺ .. مات المصطفى محمد ﷺ .. مات خير خلق الله .. مات إمام الأنبياء .. مات إمام الأصفياء .. مات إمام الأتقياء ﷺ .

وقام عمر يصرخ ويقول: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد مات، وإن رسول الله ﷺ والله ما مات، ولكنه ذهب إلى لقاء ربه كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم، ليرجعن رسول الله ﷺ ليقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا أنه قد مات[٢].. وعقر علىّ فقعد فى الأرض لا يستطيع القيام.. وخرس لسان عثمان، يذهب به ويأتى به من يده لا يتكلم، وجاء الصديق وعمر يكلّم الناس، فلم يلتفت إلى شىء حتى دخل على الجسمان الطاهر الشريف، وهو مسجىّ فى بيت عائشة، فكشف الثوب عن وجهه، وأقبل عليه يقبله، وبكى وهو يقول: بأبى أنت وأمى يا رسول الله .. وانبياه .. واصفياه .. واخليلاه.. طبت حيًا وميتًا، والذى نفسى بيده لا يذيقك الله الموتتين

(١) رواه البخارى رقم (٤٤٦٢) فى المغازى ، باب مرض النبى ﷺ ووفاته.
(٢) قالت عائشة: فما كان من خطبتهما (أى : أبو بكر وعمر) من خطبة إلا نفع الله بها، لقد خوف عمر الناس ، وإن منهم لنفاقاً فردهم الله بذلك، البخارى رقم (٣٦٦٩).

أبداً، ثم خرج وعـمر يكلم الناس، فقـال: اجلس يا عمر فأبى عـمر أن يجلس، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر.

فأقبل الناس على أبى بكر، فحمد الله وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبد مـحمداً ﷺ فإن محـمداً قد مات، ومن كان يعـبد الله، فإن الله حى لا يموت، وقال: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠]، وقال: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤] قال: فنشج[1] الناس يبكون[2].

قال ابن عبـاس: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهـم، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها.

وأن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلنى رجلاى، وحتى أهويت إلى الأرض حين سـمعته تلاها، علمت أن النبى ﷺ قد مات[3].

تلك كانت حال عمر فكيف كانت حال سواه؟

---

(١) فنشج الناس: أى بكوا بغير انتحاب، والنشج ما يعرض فى حلق الباكى من الغصة، وقيل: هو صوت معه توجع، كما يردد الصبى بكاءه فى صدره.

(٢) رواه البخارى رقم (٣٦٦٧، ٣٦٦٨) فى فضـائل الصحابة، باب قول النبى ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً».

(٣) رواه البخارى رقم (٤٤٥٤) فى المغازى، باب مرض النبى ﷺ ووفاته.

وكان ثبـات أبو بكر رضى الله عنه . . أفى مـثل هذه اللحظات المذهلة المزلزلة يكون مثل هذا الثبات ،وتكون مثل هذه الكلمات ؟!!

« من كان يعبـد محمداً فإن مـحمداً قد مات. . ومن كـان يعبد الله فإن الله حى لا يموت »

إذن يا خيل الله اركبى. . ويا راية الله رفرفى خفاقة عالية. . وياحملة هذه الراية قـوموا ،وانهضـوا وواصلوا رحلة الشمس المشـرقة ،وسـيرة النبى المضيـئة. . فالدعـوة أبقى من الداعيـة ،ولن يموت الإسلام بموت النبى ﷺ .

وكان مـوقف الصديق يوم وفـاة المصطفى ﷺ بمثابة البـوصلة التى حددت اتجاه التـاريخ نحو الرجل العملاق الذى سيـملأ الفراغ الرهيب الكبير الذى تركه الرسول الكريم ﷺ برحيله.

فالرجل الذى لم يفقد شيئـاً من ثباته أمام هول المفاجأة التى أذهلت العقـول وعصفت بالقلوب. . هذا الرجل هو الجـدير بأن يتقدم ليـقود السفينة وسط هذه الأمواج المتلاطمة،والرياح الهوجاء إلى بر الأمان.

* * *

سقيفة بني ساعدة

لما تأكد للناس موت النبى ﷺ بعد خطبة الصديق، اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة.

يقول عمر رضى الله عنه[١]: فبينما نحن فى منزل رسول الله ﷺ إذا رجل ينادى من وراء الجدار أن اخرج إلى يا ابن الخطاب، فقلت: إليك عنى فإنا عنك مشاغيل - يعنى بأمر رسول الله ﷺ - فقال له: إنه قد حدث أمر فإن الأنصار اجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة فأدركوهم قبل أن يحدثوا أمراً يكون فيه حرب.

فقلت لأبى بكر: انطلق قال: فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا رجلان صالحان فذكرا لنا ما تمالأ عليه القوم فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ قلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار قالا: لا عليكم ألا تقربوا، واقضوا أمركم. قال: فقلت: والله لنأتينهم.

فانطلقنا فإذا ظهرانيهم رجل مزمل، فقلت: من هذا ؟ قالوا: سعد بن عبادة، فقلت: ماله ؟ قالوا: وَجِعٌ، فلما جلسنا تشهد خطيبهم فأثنى على الله بما هو له أهله، ثم قال: أما بعد فنحن أنصار الله، وكتيبة الإسلام وأنتم يا معشر المهاجرين رهطٌ منا، وقد دفَّت دافَّةٌ [٢] من قومكم قال:

---

(١) رواه البخارى رقم (٦٨٣٠) فى كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت.
(٢) الدافة: الجماعة تأتى من البادية إلى الحاضرة، وهى أيضاً الجماعة تسير برفق .

وإذا هم يريدون أن يحتازونا من أصلنا، ويغتصبون الأمر.

فلمـا سكـت أردت أن أتكلم، وقـد زورت[1] فى نفـسى مقالـة قد أعجـبتنى، أريد أن أقـدمهـا بين يدى أبى بكر، وكنت أوارى منه بعض الحـد - أى الحـدة - فـقال أبو بـكر: على رسلك يا عـمـر، فكرهت أن أغضـبه، فـتكلم وهو كـان أعلم منى وأوقر، فـوالله ما ترك من كلـمة أعجـبتنى من تزويرى إلا قـالها فى بديهـته، أو مـثلها أو أفـضل حتى سكت، قال: أمـا ما ذكرتم فـيكم من خير، فـأنتم له أهل، ولن تعرف العـرب هذا الأمر إلا لهـذا الحى من قـريش: هم أوسط العـرب نسبـاً وداراً، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم[2].

وأخذ بيـدى وبيد أبى عبـيدة بن الجراح وهو جـالس بيننا، ولم أكره شيئاً مما قـال غيرها، وكان والله أن أقدَّم فتـضرب عنقى لا يُقَرِّبنى ذلك إلى إثم أحبَّ إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر.

قلت: بل نبايعك أنت، فـأنت سيدنا وخيرنا وأحـبنا إلى رسول الله ﷺ[3].

وفى آخر «المغازى» لموسى بن عقبـة: عن ابن شهاب أن أبا بكر قال

---

(١) زورت مقالة: أى أعددتها وحسنتها فى نفسى.

(٢) قال الحافظ فى «الفتح»، وقد استشكل قـول أبى بكر هذا مع معرفته بأنه الأحق بالخلافة بقرينة تقـديمه فى الصلاة وغير ذلك، والجـواب أنه استحيى أن يزكى نفـسه فيقـول مثلاً: رضيت لكم نفسى، وانضم إلى ذلك أنه علم أن كلاً منهما لا يقبل ذلك (٧/ ٣٨ - ٣٩).

(٣) «فتح البارى» (٧/ ٣٧)، و«السيرة» لابن هشام.

فى خطبته : وكنا معشر المهاجرين أول الناس إسلاماً ونحن عشيرته وأقاربه، وذوو رحمه، ولن تصلح العرب إلا برجل من قريش، فالناس لقريش تبع، وأنتم إخواننا فى كتاب الله وشركاؤنا فى دين الله، وأحب الناس إلينا، وأنتم أحق الناس بالرضا بقضاء الله، والتسليم لفضيلة إخوانكم، وأن لا تحسدوهم على خير[1].

وفى مسند الإمام أحمد :

فقام حباب بن المنذر، وكان بدريًا فقال: منا أمير ومنكم أمير[2]، فإنا والله ما ننفس عليكم هذا الأمر، ولكنا نخاف أن يليه أقوام قتلنا أباءهم وإخوانهم.

قال: فأتاهم عمر فقال: يا معشر الأنصار ألستم تعلمون أن رسول الله أمر أبا بكر أن يصلى بالناس ؟ قالوا : بلى .

قال: فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر .

قالوا : نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر[3].

---

(١) «الفتح» لابن حجر (٧/ ٣٨).

(٢) قال ابن حجر فى «الفتح» : قال ابن التين: وإنما قالت الأنصار« منا أمير ، ومنكم أمير » ما عرفوه من عادة العرب أن لا يتأمر على القبيلة إلا من يكون منها ، فلما سمعوا حديث « الأئمة من قريش» رجعوا عن ذلك وأذعنوا .

(٣) رواه أحمد فى المسند رقم (١٣٣)، وقال الشيخ أحمد شاكر :إسناده صحيح، والنسائى (٢/ ٧٤، ٧٥)فى الإمامة، باب ذكر الإمامة والجماعة، ورواه الحاكم (٣/ ٦٧) ، وصححه ووافقه الذهبى .

فقـام خطيب الأنصار فقال: إن رسـول الله ﷺ كان إذا استعـمل رجلاً منكم قرنه برجل منـا، فتبايعـوا على ذلك، فقام زيد بن ثابت فـقال: إن رسول الـله ﷺ كان من المهـاجرين، وإنما الإمـام من المهاجـرين، فنحن أنصار الله، كما كنا أنصار رسول الله، فقال أبو بكر: جزاكم الله خيراً .

وعند الإمام أحمد:

فتكلم أبو بـكر فقال: والله لقـد علمت يا سعـد أن رسول الله ﷺ قال، وأنت قاعد: « قريش ولاة هذا الأمر»

فقال له سعد: صدقت[1].

قال ابن حجر: وفى رواية ابن عباس عن عمر:

قال: فـكثر اللغط وارتفـعت الأصوات حـتى خشـينا الاختـلاف، فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبـايعته وبايعه المهاجرون، ثم الأنصار.

وفى « مغازى موسى بن عقبة» عن ابن شهاب قال:

فقام أسيد ابن الحضير، وبشير بن سـعد وغيرهما من الأنصار فبايعوا أبا بكر، ثم وثب أهل السقيفة يبتدرون البيعة.

ووقع فى حديث سالم بن عبيد عند البزار وغيره فى قصة الوفاة:

فقالت الأنصار : منا أمير ،ومنكم أميـر، فقال عمر: وأخذ بيد أبى

(١) « فتح البارى» (٧/ ٣٨).

بكر ـ أسيفان فى غمد واحـد؟ لا يصطلحان، وأخذ بيد أبى بكر، فقال: من له هذه الثلاثة؟: ﴿ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾ من هما ؟ ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ ﴾ من صاحبه ؟ ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ مع من ؟ ثم بسط يده فبـايعه، ثم قال : بايعوه، فبايعه الناس [١].

* * *

(١) «فتح البارى» (٧/ ٣٩).

خليفة الرسول ﷺ

عن أنس بن مالك قال:

لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد. جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت، وما وجدتها في كتاب الله، ولا كانت عهداً عهده إليَّ رسول الله ﷺ، ولكني قد كنت أُرى أن رسول الله ﷺ سَيَدْبُرُ أمرنا - يقول: يكون آخرنا - وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى الله رسوله ﷺ فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ ثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه.

فبايع الناس أبا بكر بيعته العامة بعد بيعة السقيفة.

ثم تكلم أبو بكر، فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله، ثم قال:

أما بعد: أيها الناس، فإني قد وليت عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أُريح[1] عليه حقه إن شاء الله،

(١) أريح: أراحه: أرجعه حقه.

والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله. لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة فى قوم قط إلا عَمَّهم الله البلاء، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله[1] .

وقد وردت بعض الأخبار التى لا تصح ـ وامتلأت بها كتب السير روج لها بعض العابثين والحاقدين ـ تقول: أن علياً رضى الله عنه امتنع عن بيعة الصديق ودفعاً لهذا الإتهام الباطل نقول:

قد تقدم كما فى البخارى (٤٢٤٠، ٤٢٤١): أن فاطمة عليها السلام بنت النبى ﷺ أرسلت إلى أبى بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينة ، وفَدَك ما بقى من خمس خيبر، فقال لها أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: « **لا نورث ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد ﷺ من هذا المال**» وإنى والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التى كانت عليها فى عهد رسول الله ﷺ ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله ﷺ، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبى بكر فى ذلك، فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت ، وعاشت بعد النبى ستة أشهر.

(١) « السيرة النبوية » لابن هشام والخبر صحيح. قال ابن كثير فى البداية والنهاية: إسنادة صحيح .

قال الحافظ فى الفتح: قال بعض الأئمة:

إنما كانت هجرتها انقباضاً عن لقائه والاجتماع به، وليس ذلك من الهجران المحرم، لأن شرطه أن يلتقيا فيعرض هذا و يعرض هذا، وكأن فاطمة عليها السلام لما خرجت غضبى من عند أبى بكر تمادت فى اشتغالها بحزنها، ثم بمرضها.

وأما سبب غضبها مع احتجاج أبى بكر بالحديث المذكور فلاعتقادها تأويل الحديث على خلاف ما تمسك به أبو بكر، وكأنها اعتقدت تخصيص العموم فى قوله: « **لا نورث** » .

ورأت أن منافع ما خلفه من أرض وعقار لا يمتنع أن تورث عنه، وتمسك أبو بكر بالعموم، واختلفا فى أمر محتمل، فلما صمم على ذلك انقطعت عن الاجتماع به لذلك، وأخلق بالأمر أن يكون كذلك لما علم من وفور عقلها ودينها عليها السلام.

قال الحافظ:

روى البيهقى من طريق الشعبى: أن أبا بكر عاد فاطمة، فقال لها علىّ: هذا أبو بكر يستأذن عليك، قالت: أتحب أن آذن له؟ قال: **نعم**، فأذنت له، فدخل عليها فترضاها حتى رضيت، وبه يزول الإشكال فى جواز تمادى فاطمة عليها السلام على هجر أبى بكر، أ .هـ

(١) الفتح : ٦/ ٢٤٨، ٢٤٩.

قالت عائشة رضى الله عنها:

فلما توفيت دفنها زوجها علىّ ليلاً [١]، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلى عليها وكان لعلى من الناس وجه حياة فاطمة[٢]، فلما توفيت استنكر علىٌّ وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبى بكر ومبايعته، ولم يكن يبايع تلك الأشهر[٣]، فأرسل إلى أبى بكر أن ائتنا، ولا يأتنا أحد معك، كراهة لمحضر عمر [٤]، فقال عمر: لا والله، لا تدخل عليهم وحدك[٥]، فقال أبو بكر: وما عسيتم أن يفعلوا بى ؟ والله لآتينهم، فدخل عليهم أبو بكر ،

---

(١) قال الحافظ فى الفتح: كان ذلك بوصية منها لإرادة الزيادة فى التستر، ولعله (أى على رضى الله عنه) لم يعلم أبا بكر بموتها لأنه ظن أن ذلك لا يخفى عليه ، وليس فى الخبر ما يدل على أن أبا بكر لم يعلم بموتها ، ولا صلى عليها .

(٢) قال الحافظ فى الفتح : أى كان الناس يحترمونه إكراماً لفاطمة، فلما ماتت واستمر على عدم الحضور عند أبى بكر قصر الناس عن ذلك الاحترام لإرادة دخوله، فيما دخل فيه الناس ، ولذلك قالت عائشة فى آخر الحديث « لما جاء وبايع كان الناس قريباً إليه حين راجع الأمر بالمعروف» وكأنهم كانوا يعذرونه فى التخلف عن أبى بكر فى مدة حياة فاطمة لشغله بها وتمريضها وتسليتها عما هى فيه من الحزن على أبيها ﷺ ، ولأنها لما غضبت من رد أبى بكر عليها فيما سألته من الميراث رأى على أن يوافقها فى الانقطاع عنه .

(٣) قال الحافظ: أى فى حياة فاطمة، قال المازرى : العذر لعلى فى تخلفه مع ما اعتذر هو به أنه يكفى فى بيعة الإمام أن يقع من أهل الحل والعقد ، ولا يجب الاستيعاب ، ولا يلزم كل أحد أن يحضر عنده ، ويضع يده فى يده، بل يكفى التزام طاعته ، والانقياد له بأن لا يخالفه ، ولا يشق العصا عليه، وهذا كان حال علىّ لم يقع منه إلا التأخر عن الحضور عند أبى بكر ، وقد ذكرت سبب ذلك.

(٤) والسبب فى ذلك ما ألفوه من قوة عمر وصلابته فى القول والفعل، وكان أبو بكر رقيقاً ، ليناً، فكأنهم خشوا من حضور عمر كثرة المعاتبة التى تفضى إلى خلاف ما قصدوه من المصافاة.

(٥) أى لئلا يتركوا من تعظيمك ما يجب لك.

فتشهد عليّ فقال: إنا قد عرفنا فضلك، وما أعطاك الله، ولم ننفس عليك خيراً ساقه الله إليك، ولكنك استبددت علينا بالأمر« أى لم تشاورنا فى أمر الخلافة» وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله ﷺ نصيباً « أى فى الرأى والمشورة» حتى فاضت عينا أبى بكر، فلما تكلم أبو بكر قال: والذى نفسى بيده ، لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلىّ أن أصل قرابتى ، وأما الذى شجر بينى وبينكم « أى ما وقع من الاختلاف» من هذه الأموال فلم آل فيه عن الخير، ولم أترك أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيها إلا صنعته. فقال على لأبى بكر: موعدك العشية للبيعة فلما صلى أبو بكر الظهر رقى على المنبر ، فتشهد ،وذكر شأن على وتخلفه عن البيعة وعذره بالذى اعتذر إليه، ثم استغفر، وتشهد علىّ فعظم حق أبى بكر، وحدث أنه لم يحمله على الذى صنع نفاسةً على أبى بكر، ولا إنكاراً للذى فضّله الله به، ولكنا نرى لنا فى هذا الأمر نصيباً فاستبدَّ علينا، فوجدنا فى أنفسنا فسُرَّ بذلك المسلمون، وقالوا: أصبت، وكان المسلمون إلى علىّ قريباً حين راجع الأمر بالمعروف[1].

قال النووى (شرح مسلم ٦/ ٣٢٤):

أن سبب تأخر على بن أبى طالب فى حضوره إلى أبى بكر (فضلاً عن انشغاله بتمريض فاطمة عليها السلام وتسليتها عما هى فيه من

(١) رواه البخارى رقم (٤٢٤٠، ٤٢٤١) فى المغازى ، باب غزوة خيبر ،ومسلم (١٧٥٩) فى الجهاد والسير ، باب قول النبى ﷺ لا نورث ،وأبو داود رقم (٢٩٦٨).

الحزن على وفاة النبى ﷺ) أنه كان يعتب على أبى بكر وعمر أنه مع وجاهتـه وفضيلـته فى نفسـه فى كل شىء، وقربه من النبى ﷺ وغـير ذلك، رأى أنه لا يستبد بأمر إلا بمشـورته وحضوره، وكان عذر أبى بكر وعمـر وسائر الصـحابة واضـحاً، لأنهم رأوا المبـادرة بالبيعـة من أعظم مصالح المسلمين، وخافوا من تأخيرها، حصول خلاف ونزاع تترتب عليه مفاسد عظيـمة، ولهذا أخروا دفن النبى ﷺ حتى عقدوا البـيعة لكونها كـانت أهم الأمور، كـيـلا يقع نزاع فى مدفنـه أو كفنه، أو غـسله، أو الصلاة عليه أو غير ذلك، وليس لهم من يفصل الأمور فرأوا تقدم البيعة أهم الأشياء ، والله أعلم . أهـ

قال الحافظ فى « الفتح » (٦/ ٦٣٠):

قال القـرطبى: من تأمل ما دار بين أبى بكر وعلىّ من المعـاتبة، ومن الاعتذار، ومـا تضمن ذلك من الإنصاف عرف أن بعضهم كـان يعترف بفضل الآخر، وأن قلوبهم كـانت متفقة على الاحتـرام والمحبة، وإن كان الطبع البشرى قد يغلب أحياناً لكن الديانة ترد ذلك ، والله الموفق.

قال الحافظ: وقد تمسك الرافضة بتأخر علىّ عن بيعة أبى بكر إلى أن ماتت فاطمة ، وهذيانهم فى ذلك مشهور، وفى هذا الحديث ما يدفع فى حجتـهم ، وقد صحح ابن حبان وغـيره من حديث أبى سعـيد الخدرى وغيره أن علياً بايع أبا بكر فى أول الأمـر، وأما ما وقع فى مسلم « عن

الزهرى أن رجلاً قال له : لم يبايع على أبا بكر حتى ماتت فاطمة، قال: لا ولا أحد من بنى هاشم » فقد ضعفه البيهقى بأن الزهرى لم يسنده ،وأن الرواية الموصولة عن أبى سعيد أصح، وجمع غيره بأنه بايعه بيعة ثانية مؤكدة للأولى لإزالة ما كان وقع بسبب الميراث كما تقدم، وعلى هذا فيحمل قول الزهرى لم يبايعه على تلك الأيام على إرادة الملازمة له والحضور عنده وما أشبه ذلك، فإن فى انقطاع مثله عن مثله ما يوهم من لا يعرف باطن الأمر أنه بسبب عدم الرضا بخلافته فأطلق من أطلق ذلك، وبسبب ذلك أظهر علىّ المبايعة له بعد موت فاطمة عليها السلام لإزالة هذه الشبهة أ.هـ الفتح (٦/ ٦٣١).

وفى كنز العمال: عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أن أباه كان مع عمر، وأن محمد بن مسْلَمَة كسر سيف الزُبير، ثم خطب أبو بكر واعتذر إلى الناس، وقال:

والله ما كنتُ حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة، ولا سألتها الله فى سرٍ ولا علانية، ولكنى أشفقت من الفتنة وماله فى الإمارة من راحة، ولكنى قلّدت أمراً عظيماً ماله به طاقةٌ، ولا يدٌ إلا بتقوية الله عز وجل، ولو وددت أن أقوى الناس عليها مكانى اليوم فقبل المهاجرون مقالته .

وقال علىّ والزبير: ما غضبنا إلا لأنَّا أُخْرِنا عن المشاورة ، وإنا نرى

أبا بكر أحق الناس بهـا بعد رسـول الله ﷺ، إنه لصاحب الغـار،وإنا لنعرف شـرفه وخيـره،ولقد أمره رسول اللـه ﷺ بالصلاة بالناس وهو حى [1].

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك كتاب معـرفة الصحابة (٣/ ٦٦) ،وقال:صحيح على شرط الشيخين ،وأقره الذهبى .

بعث جيش أسامة

بدأت خلافة الصديق رضى الله عنه، والمدينة حالها كما قال أنس:

لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شىء، فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم فيها كل شىء، وما نفضنا عن النبى ﷺ الأيدى حتى أنكرنا قلوبنا [(١)].

ذلك أن موت النبى ﷺ كان من أعظم المصائب على الصحابة رضى الله عنهم لأنه بموته انقطع الوحى من السماء إلى يوم القيامة، وانقطعت النبوات.. فقد غاب عن هذه الأرض قائدهم وحبيبهم، وقدوتهم.. لقد غاب عن هذه الأرض سيد ولد آدم أعظم القادة.. وأعظم المربين.. وأعظم الدعاة.. وأعظم الحكام.. وأعظم العلماء.. وأعظم البشر.. خاتم النبيين، ورسول رب العالمين ﷺ.

وصار الصحابة رضى الله عنهم كما وصفهم عمار بن ياسر رضى الله عنه: كغنم بلا راعٍ، وصارت المدينة المنورة ـ على حسب تعبيره ـ أضيق على أهلها من الخاتم.

وفى مثل هذه الأحوال الصعبة، والظروف العسيرة بدأ الصديق خلافته

---

(١) رواه الترمذى (١٣/ ١٠٤، ١٠٥) فى المناقب، وابن ماجة (١٦٣٠) فى الجنائز، والحاكم مختصراً (٣/ ٥٧)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وأقره الذهبى، وصححه الألبانى فى «مختصر الشمائل» و«صحيح ابن ماجة».

المباركة بإنفاذ جيش أسامة بن زيد رضى الله عنهما الذى أمر به النبى ﷺ قبل موته لتأديب قبائل قضاعة لموالاتهم للروم ضد جيش المسلمين فى غزوة مؤتة، فخرجوا إلى الجرف فخيموا به، فلما ثقل رسول الله ﷺ أقاموا هنالك، فلما مات رسول الله ﷺ عظم الخطب، واشتد الحال، ونجم النفاق والمسلمون كالغنم المطيرة فى الليلة الشاتية، لفقد نبيهم، وقلتهم وكثرة عدوهم.

فلما كان من الغد من متوفى رسول الله ﷺ، نادى منادى أبا بكر: ليُتم بعث أسامة. ألا لا يبقين بالمدينة أحد من جند أسامة إلا خرج إلى عسكره بالجرف.

فقال أسامة بن زيد لعمر بن الخطاب: ارجع إلى خليفة رسول الله ﷺ فاستأذنه، يأذن لى أن أرجع بالناس، فإن معى وجوه الناس وحدَّهم، ولا آمن على خليفة رسول الله، وثقل رسول الله، وأثقال المسلمين أن يتخطفهم المشركون.

وقالت الأنصار: فإن أبى إلا أن نمضى فأبلغه عنا، واطلب إليه أن يولى أمرنا رجلاً أقدم سنًا من أسامة ـ فخرج عمر بأمر أسامة، وأتى أبا بكر فأخبره، بما قاله أسامة[1].

فقال أبو بكر: « ما كنت لأستفتح بشىء أولى من إنفاذ أمر رسول

---

(١) « تاريخ الطبري» (٣/ ٢٤٦) من طريق سيف بن عمر. ط. دار الكتب العلمية.

الله ﷺ، ولأن تخطفنى الطير أحب إلى من ذلك، وفى رواية عند الطبرى: « أنا أحبس جيشاً بعثه رسول الله ﷺ ؟ لقد اجترأت على أمر عظيم، والذى نفسى بيده لأن تميل العرب أحب إلى من أن أحبس جيشاً بعثه رسول الله ﷺ».

وفى أخرى: « والذى نفس أبى بكر بيده، لو ظننت أن السباع تخطفنى لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ، ولو لم يبق فى القرى غيرى لأنفذته».

وفى أخرى: « والله لا أحل عقدةً عقدها رسول الله ﷺ، ولو أن الطير تخطفنا، والسباع من حول المدينة، ولو كان الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهزت جيش أسامة » (١)

قال عمر: فإن الأنصار أمرونى أن أبلغك، وإنهم يطلبون إليك أن تُولى أمرهم رجلاً أقدم سنًا من أسامة، فوثب أبو بكر ـ وكان جالساً ـ فأخذ بلحية عمر فقال له: ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب! استعمله رسول الله ﷺ، وتأمرنى أن أنزعه ؟!

فخرج عمر إلى الناس، فقالوا له: ما صنعت؟

فقال: امضوا ثكلتكم أمهاتكم! ما لقيت فى سببكم من خليفة رسول الله ﷺ .

---

(١) « البداية والنهاية » (٦/ ٣٣٥) ط. دار إحياء التراث العربى .

الله أكبر . . أى ثبات هذا ؟! . . أى يقين هذا ؟! . . إن عظمة هذا الرجل لم تكن بكثرة صلاة، وكثرة صيام، ولكن عظمته فى شىء وقر فى القلب، إنه اليقين فى وعد الله، ووعد رسوله ﷺ.

إنه الإيمان الصادق بأن الخير كل الخير فى اتباع أمر رسول الله ﷺ إن الإصرار على تنفيذ أمر رسول الله ﷺ مهما كانت النتائج، دليل على قوة إيمان أبى بكر رضى الله عنه، لأنه على يقين جازم، وإيمان قوى أن النتائج لا تكون إلا خيراً.

ثم خرج أبو بكر حتى أتى الجيش فأشخصهم وشيعهم، وهو ماشٍ، وأسامة راكب، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبى بكر.

فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله، والله لتركبن أو لأنزلن.

فقال: والله لا تنزل ووالله لا أركب، وما علىّ أن أغبر قدمىّ فى سبيل الله ساعة، فإن للغازى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له، وسبعمائة درجة ترفع له، وترفع عنه سبعمائة خطيئة، حتى إذا انتهى قال: إن رأيت أن تعيننى بعمر، فافعل، فأذن له.

وقال لأسامة: اصنع ما أمرك به نبى الله ﷺ: ابدأ ببلاد قضاعة، ثم إئت آبل، ولا تقصرن فى شىء من أمر رسول الله ﷺ ولا تعجلن لما خلفت عن عهده[1].

---

(١) « تاريخ الطبرى» (٣ / ٢٤٦). من طريق سيف بن عمر .

ووقف الصديق رضى الله عنه يزود الجيش بخير الزاد، ويرسم له دستور الحرب الذى ما عرف التاريخ أعدل، ولا أطهر، ولا أشرف منه فى غير الإسلام ووقف يقول لهم:

أيها الناس، قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عنى:

لا تخونوا ، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا صغيراً، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا للمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له .

الله أكبر . . أى شرف هذا ؟! . . وأى عز ؟! . . وأى فخار ؟! . .

أين أدعياء المدنية والحضارة الذين يتغنون فى الليل والنهار بأنهم خدام الإنسانية، وهم الذين ساموا الإنسانية سوء العذاب، وما زالت أحداث المسرحية الحقيرة تمارس على المسرح العالمى على الشعوب الإسلامية الذين يذبحون ذبح الخراف . . الذين تسفك دماؤهم رخيصة مختلطة بالأشلاء . . وتنتهك أعراض نسائهم، ويتعرضون لما لا يمكن للغة البشر أن تعبر عنه ببيان. ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

وانطلق جيش أسامة فى أمان الله تنفيذاً لأمر رسول الله ﷺ ، فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا: لولا أن لهؤلاء قوة ما

خرج مثل هؤلاء من عندهم ،ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم، فإن انتصر الروم فقد كفونا القتال،وإن انتصر أسامة فقد ثبت الإسلام،وانتصر جيش أسامة بفضل الله فهزموهم وقتلوهم،ورجعوا سالمين فثبتوا على الإسلام [1].

والحمد لله رب العالمين .

* * *

(١) « البداية والنهاية » (٦/ ٣٣٦).

حرب المرتدين

ما كاد نبأ موت رسول الله ﷺ ينتشر فى البلدان إلا وأطلت فتنة خطيرة برأسها كادت أن تحرق الأخضر واليابس، لولا أن مَنَّ الله على الإسلام يومها بأبى بكر الصديق رضى الله عنه .

فما كاد نبأ موت رسول الله ﷺ ينتشر فى البلدان حتى تصور المرجفون والموتورون، والذين فى قلوبهم مرض - ممن كان إسلامهم مداهنة وتقيَّة - أن الرسول ﷺ لم يمت وحده، وإنما مات معه الإسلام فارتدوا عن الإسلام ورفضوا دفع الزكاة لخليفة رسول الله ﷺ.

وكان المرتدون فريقان:

أولهما: قد ساروا وراء المتنبئين الكاذبين الذين ادعوا النبوة كذباً.

فوقف طليحة الأسدى يعلن نبوته الكاذبة، وتبعه الكثيرون من قبائل أسد وغطفان وطىء وعبس وذبيان.

ثم شبت النار فى تميم، وقامت المرأة الخبيثة سجاح تنادى فيهم بنبوتها الضالة المهرجة.

ثم تمرد أهل اليمامة رافعين لواء أخطر مدعى النبوة جميعاً مسليمة الكذاب.

وثانيهما: رفض تأدية الزكاة فاشتعلت نيران الردة فى بنى عامر

وهوازن، ثم سرت العدوى إلى أهل البحرين وعُمان، وكادت النار أن تلتهم الأخضر واليابس، ولكنها ولله الحمد والمنة كانت ناراً مباركة . .

طهرت الأمة الجديدة، ونفت عنها خبثها بصورة شاملة كبيرة كما تخلص النار الذهب من الشوائب الرخيصة العالقة به.

نعم، فلقد سقطت جميع الأقنعة السوداء عن الوجوه المزيفة المتنكرة. . وتقايأت الصدور الموتورة كل أحقادها الدفينة .

لكن لله من خلقه رجال تتحول المحن بين أيديهم إلى منح . .

وكان الصديق من هذا الطراز المبارك.

ويظهر علم هذا الرجل المبارك وفهمه للنصوص عندما رفض الفريق الثانى من المرتدين الذين قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ونقيم الصلاة، ولكن لا نؤدى الزكاة وقد أرسل هذا الفريق الثانى، وفداً إلى المدينة لمفاوضة خليفة رسول الله ﷺ وقد وافق عدد من كبار المسلمين على قبول ما جاءت به رسل الفريق الثانى، وناقشوا فى ذلك الأمر أبا بكر، ومنهم عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، وسالم مولى أبى حذيفة، وغيرهم إلا أن أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ قد رفض ذلك منهم، وقال قولته المشهورة وأعلنها يومها مدوية فى الأنحاء والأرجاء :

« والله لو منعونى عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لجاهدتهم

عليه » .

وهنا قال عمر بن الخطاب لأبى بكر رضى الله عنهما :

كيف تقاتلهم، وقد قال رسول الله ﷺ : «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال : لا إله إلا الله ،فقد عصم منى نفسه وماله إلا بحقها ،وحسابه على الله** » ؟

فقال أبو بكر: والله لو منعونى عناقاً [١]، وفى رواية عقالاً [٢] كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنهم على منعها، إن الزكاة حق المال، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة.

قال عمر: فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق[٣].

وكان مما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: يا خليفة رسول الله ﷺ! تألف الناس وارفق بهم.

فأجابه أبو بكر: رجوت نصرتك وجئتنى بخذلانك، أجبَّار فى الجاهلية، وخوَّار فى الإسلام؟ إنه قد انقطع الوحى، وتم الدين، أوَ ينقص وأنا حى؟ أليس قد قال رسول الله ﷺ: « **إلا بحقها**»؟ ومن

(١) العناق: الأنثى من ولد المعز.

(٢) العقال: هو الحبل الذى يعقل به البعير.

(٣) رواه البخارى رقم (٧٢٨٤، ٨٢٨٥) فى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ ،ومسلم رقم (٣٢) فى الإيمان ،وأخرجه الإمام أحمد (١/ ١١، ١٩، ٣٥ ـ ٢/ ٣٧٧ ـ ٤/ ٨).

حقها إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والله لو خذلنى الناس كلهم لجاهدتهم بنفسى[١].

فكان موقفاً مباركـاً مؤيداً من الله تبارك وتعالى. . وقيض الله عز وجل لهذا الدين رجلاً مباركاً هو الصديق. .

فثـبت ثباتاً عظيمـاً فى هذه الفتنة العظيـمة، تمثلت فيـه عظمة هذا الرجل من إيمان ويقين وفهم عميق لـهذا الدين . . فأيده الله بنصرٍ من عنده. .

فما من ناحـية من جزيرة العرب إلا وحصـل فى أهلها ردة لبعض الناس فبـعث الصديق إليهم جـيوشاً وأمراء يـكونون عوناً لمن فى تلك الناحيـة من المؤمنين ، فلا يتواجـه المشركون والمـؤمنون فى موطن من تلك المواطن إلا غلب جـيش الصـديق لمن هنـاك من المرتدين . ولله الحمد والمنة وقـتلوا منهم مقتلة عظيـمة، وغنموا مغانم كـثيرة فيـتقوون بذلك على مَنْ هناك ،يبعثون بأخماس مـا يغنمون إلى الصديق فينفقه فى الناس، فيحصل لهم قوة أيضاً ويستعدون بها على قتال من يريدون قـتالهم من الأعـاجم والروم، ولم تنم لصـدِّيق الأمة عين حـتي أرسل الجيوش الإسلامية يميناً وشمالاً لتمهيد قواعد الإسلام، وقتال الطغاة من الأنام حتى رد شارد الدين بعـد ذهابه، ورجع الحق إلى نصابه، وتمهدت

---

(١) «التاريخ الإسلامى» لمحمود شاكر (٣ / ٦٨).

جزيرة العرب، وصار البعيد الأقصى كالقريب الأدنى .

وتوالت الانتصارات والفتوحات بفضل من الله رب الأرض والسموات، وتم القضاء على المرتدين، ودوخت جيوش المسلمين الفرس والروم، وأظهرت قوتهم وإمكاناتهم القتالية.

يقول الشيخ محمود شاكر فى « التاريخ الإسلامى» .

على الرغم من قصر مدة خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه. إذ لم تزد على سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام، إلا أنها كانت مليئة بالأعمال الجليلة، التى تحتاج إلى السنوات الطوال لإنجازها.

ولترسيخ معانى الإسلام فى قلوب أبنائه إلا أن تطبيقه العملى وإصراره على ما اعتقد. كل ذلك كان يدل على وعى تام بالإسلام، وعزيمة ثابتة راسخة كالجبال بالإيمان.

وهذه الأمور هى التى رسخت دعائم الإسلام ووطدت أركانه، لذا يُعَدُّ رضى الله عنه هو الذى أرسى الدعائم، وأثبت المفاهيم، وكان رضى الله عنه بعيد النظر فى الأمور كلها، واسع الأفق رضى الله عنه[1] .

---

(١) « التاريخ الإسلامى» (٣ / ٦١) .

جمع القرآن

جهز أبو بكر رضى الله عنه جيشاً بقيادة خالد بن الوليد فى جمع كثير من الصحابة لمحاربة مسيلمة الكذاب عليه من الله ما يستحقه ، فحاربوه أشد محاربة إلى أن خذله الله، وقتله وقتل فى غضون ذلك من الصحابة جماعة كثيرة من حملة القرآن، قيل سبعمائة، وقيل أكثر وذلك فى موقعة اليمامة، فبدأ التفكير فى جمع القرآن قبل أن يقتل الباقون ولنستمع القصة من كاتب وحى رسول الله ﷺ زيد بن ثابت رضى الله عنه :

يقول زيد : أرسل إلىَّ أبو بكر الصديق مقتل أهل اليمامة (أى عقب مقتل اليمامة)، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه: إن عمر أتانى فقال: إن القتل قد استَحرّ يوم اليمامة بقراء القرآن، وإنى أخشى إن استمر القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن .

قلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟!

قال عمر: هذا والله خير .

فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك، ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر .

وفى رواية :يقول زيد: فقال لى أبو بكر: « إن هذا دعانى إلى أمر، وأنت كاتب الوحى فإن تك معه اتبعتكما، وإن توافقنى لا أفعل» فاقتص قول عمر فنفرت من ذلك[١] ،فقال عمر كلمة: وما عليكما لو فعلتما ؟ قال: فنظرنا فقلنا: لا شىء والله ما علينا.

قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ،وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه.

فوالله لو كلفنى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علىّ مما أمرنى به من جمع القرآن.

قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟قال: هو والله خير .

ولم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُبِ[٢] واللُّخاف[٣]، وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة

---

(١) قال ابن بطال: إنما نفر أبو بكر أولاً ، ثم زيد بن ثابت ثانياً لأنهما لم يجدا رسول الله ﷺ فعله فكرها أن يحلا أنفسهما محل من يزيد احتياطه للدين على احتياط الرسول ﷺ ، فلما نبههما عمر على فائدة ذلك وأنه خشية أن يتغير الحال فى المستقبل إذا لم يجمع القرآن ، فيصير إلى حالة الخفاء بعد الشهرة ،رجعا إليه « فتح البارى » (٨/ ٦٣٠).

(٢) العسب : جمع عسيب ،وهو جريد النخل ، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون فى الطرف العريض.

(٣) اللخاف: قيل : هى الحجارة الرقاق، وقيل: هى صحائف الحجارة الرقاق.

مع أبى خزيمة الأنصارى، لم أجدها مع أحد غيره: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ [التوبة :١٢٨]

حتى خاتمة براءة.

فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنها [(١)].

(١) رواه البخارى رقم (٤٩٨٦) فى « فضائل القرآن» باب جمع القرآن، والترمذي فى التفسير، والنسائى (٥/ ٢٩٣) فى المناقب.

استخلافه لعمر بن الخطاب رضى الله عنه

شعر أبو بكر الصديق رضى الله عنه بشىء من الراحة النفسية بعد أن قضى على المرتدين، وانطلقت الفتوحات فى كل الجهات، وتحطم كبرياء الدولتين الكبريين اللتين كانتا تقفان فى وجه الدعوة، وتدعمان المرتدين، وتستنفران قوتهما ومن والاها من العرب المتنصرة، كل ذلك فى سبيل القضاء على الفكرة الجديدة.

وفى الوقت نفسه فقد شعر أن مهمته فى الحياة قد انتهت، فقد توطد الأمر، وثبت كيان الإسلام ، وسيتابع الأمر الخلفاء من بعده، كما زاد شعوره فى هذا الأمر أن سنه قد اقترب من سن حبيبه ورسوله ﷺ عندما فارق الحياة الدنيا، وانتقل إلى الرفيق الأعلى .

كما شعر أن استخلاف رجل من بعده، وهو على قيد الحياة يجنب المسلمين الكثير من الصعاب، وقد أشفق عليهم أن يختلفوا ، ويزهد فى هذا المنصب أهله، ويبتعد عنه من يستحقه، وقد تداعى إلى ذهنه ما حدث عند وفاة رسول الله ﷺ عندما لم يخطر على بال المسلمين وفاة نبيهم ﷺ، والأمر لابد له من خليفة يطبق منهج الله فى الأرض.

إذن لابد من استخلاف رجل يخلفه، ولابد من الاستشارة ، ولاح

فى ذهنه أولئك الصحابة الذين كان رسول الله ﷺ يستشيرهم.

وكبرت فى نفسه شخصية عمر بن الخطاب رضى الله عنه ،ومواقفه فى الإسلام، وقوتـه فى الحق، وهيبته فى النفـوس، ونظرة المسلمين إليه ،ولكنه كان لابـد من أخذ رأيهم واستـشارتهم ،ولو كـان الأمر منهم لكان أفضل[1].

أخـرج ابن سعـد فى «الطبـقات»، والطبـرى فى « تاريخـه» وابن الجوزى فى « المنتظم»:

فـما كـان من أبى بكـر الصديق رضى الـله عنه إلا أن دعـا عبـد الرحمن بن عوف فقال: أخبرنى عن عمر بن الخطاب.

فقال عبد الرحمن: هو والله أفضل من رأيك فيه.

ثم دعا عثمان بن عفان رضى الله عنه فقال : أخبرنى عن عمر .

فقال : أنت أخبرنا به، فقال علىَّ ذلك يا أبا عبد الله ؟

فقال عثمان: اللهم علمى به أن سريرته خير من علانيته، وأنه ليس فينا مثله.

فقال أبو بكر : يرحمك الله ،والله لو تركته ما عدوتك.

وشاور معهما أُسيد بن الحضير.

فقـال أسيد: اللهم أعلمـه الخِيْرَةَ بعـدك، يرضى للرضى ،ويسخط

(١) « التاريخ الإسلامى » (٣/ ١٠٠).

للسخط، الذى يُسِرُّ خيرٌ من الذى يُعلن، ولم يلِ هذا الأمر أحد أقوى عليه منه .

كما شاور رضى الله عنه سعيد بن زيد رضى الله عنه وغيرهم من المهاجرين والأنصار كلهم كانوا برأى واحد فى عمر إلا رجل خاف شدته: فدخل عليه فى بعض أصحاب النبى ﷺ فقال: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك لعمر علينا، وقد ترى غلظته؟

فقال أبو بكر: أجلسونى، أبالله تخوفونى؟

خاب من تزود من أمركم بظلم، أقول: اللهم استخلفت عليهم خير أهلك، ثم اضطجع رضى الله عنه، ودعا عثمان بن عفان فقال: اكتب .

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد أبو بكر بن أبى قحافة فى آخر عهده بالدنيا خارجاً منها، وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها حيث يؤمن الكافر، ويوقن الفاجر، ويصدق الكاذب، إنى استخلفت عليكم.

ثم غشى عليه .

فكتب عثمان: إنى استخلفت عليكم عمر بن الخطاب.

فلما أفاق أبو بكر قال: اقرأ علَىّ، فقرأ عليه، فكبر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن افتلتت نفسى فى غشيتى .

قال: نعم .

قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله .

وأقرها أبو بكر رضى الله عنه، وأمـره أن يخرج على الناس بالكتاب فبايعوه لمن فيه قد علموا أنه عمر(١) .

يقول ابن مسعود رضى الله عنه :

أفـرس الناس ثلاثة : أبو بكر حين تفـرس فى عـمـر بن الخطاب فاستخلفه وصاحبة موسى التى قالت :

« يا أبت استأجره إن خير من اسـتأجرت القوى الأمين » ، قال: وما رأيت من قوته ؟

قالت : جاء إلى البئر وعليه صخرة لا يقلها كذا وكذا فرفعها .

قال : وما رأيت من أمانته ؟ قالت : كنت أمشى أمامه ، فجعلنى خلفه والعزيز حين تفرس فى يوسف ﷺ فقال لأمرأته :

﴿ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ [يوسف : ٢١] (٢)

---

(١) « الطبقات الكبـرى » لابن سعد (٣/١٤٨، ١٤٩) بسند فيـه الواقدى ، و« تاريخ الطبرى » (٢/ ٣٥٢) من طريق الواقـدى أيضـا ، و« المنتظم » (٤/ ١٢٥، ١٢٦) وعند البـيهـقى (٨/ ١٤٩) بإسناد حسن .

(٢) أخرجـه ابن أبى شيـبة (٨/ ٥٧٥) فى مصـنفه والحاكم (٣/ ٩٠) ، وصـححـه وأقره الذهبى .

موته رضى الله عنه

قال الذهبى فى السير[1] :

عن عائشة رضى الله عنها : أول ما بُدىء مرض أبى بكر أنه اغتسل ،وكان يوماً بارداً فَحُمّ خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى صلاة ،وكان يأمر عمر بالصلاة،وكانوا يعودونه ،وكان عثمان ألزمهم له فى مرضه .

وقالت عائشة رضى الله عنها:

لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه،دخلت عليه وهو يعالج ما يعالج الميت ونفسه فى صدره فتمثلت هذا البيت:

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

فنظر إلىّ كالغضبان، ثم قال : ليس كذلك يا أم المؤمنين،ولكن قول الله أصدق :﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ [ق:١٩]

ثم قال:عائشة:إنه ليس أحدٌ من أهلى أحب إلى منك ،وقد كنت نحلتك حائطاً،وإن فى نفسى منه شيئاً فرديه إلى الميراث .

(١) أخرجه أحمد فى الزهد ص ١٣٦ ،وابن سعد فى الطبقات (٣/ ١٩٦) وإسناده حسن.

قالت : نعم فرددته.

وقال رضى الله عنه: أما إنا منذ ولينا أمر المسلمين، لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً، ولكنا قد أكلنا من جريش طعامهم فى بطوننا ،ولبسنا من خيش ثيابهم على ظهورنا، وليس عندنا من فىء المسلمين قليلٌ ولا كثير إلا هذا العبد الحبشى، وهذا البعير الناضح، وجَرْد هذه القطيفة ،فإذا مت فابعثى بهن إلى عمر، وابرئى منهن ففعلت، فلما جاء الرسول عمر بكى حتى جعلت دموعه تسيل فى الأرض، ويقول : رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده، رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده، رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده[1] .

وقال رضى الله عنه لما حضرته الوفاة: إن عمر لم يدعنى حتى أصبت من بيت المال ستة آلاف درهم، وإن حائطى الذى بمكان كذا فيها، فلما توفى ذكر ذلك لعمر فقال: يرحم الله أبا بكر، لقد أحب أن لا يدع لأحد بعده مقالاً [2] .

واستمر مرض أبى بكر مدة خمسة عشر يوماً حتى كان يوم الإثنين ليلة الثلاثاء فى الثانى والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة، قالت عائشة رضى الله عنها إن أبا بكر قال لها: فى أى يوم مات رسول الله ﷺ ؟ قالت: فى يوم الإثنين، قال: ما شاء إنى لأرجو

(١) رواه ابن سعد فى« الطبقات » (٣/ ١٤٦، ١٤٧). ورجاله ثقات
(٢) « المنتظم» (٤/ ١٢٧) عن ابن سعد ورجاله ثقات.

فيما بينى وبين الليل، قال: ففيم كفنتموه ؟

قالت: فى ثلاثة أثواب بيض سحولية يمانيـة ليس فيها قميص ،ولا عمامة.

فقال أبو بكر: انظرى ثوبى هـذا فيه رَدْعُ زعفران أو مِشْقٍ فـاغسليه واجعلى معه ثوبين آخرين.

فقالت عائشـة : يا أبت هذا خَلَقٌ . فقال : إن الحى أحق بالجديد ،وإنما هو للمُهْلة[1].

قال الذهبى فى « سيرة الخلفاء »: توفى أبو بكر ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة، وكانت خلافته سنتين ومائة يوم .

وفى مسند الإمام أحمد: عن عائشة رضى الله عنها قالت:

إن أبا بكر لما حـضـرته الوفـاة، قـال: أى يوم هذا؟ قـالوا : يوم الإثنين، قال: فـإن مت من ليلتى فلا تنتظروا بى الغـد، فإن أحبَّ الأيام والليالى إلىّ أقربُها من رسول الله ﷺ [2] .

وتوفى رحمه الله وهو ابن ثلاث وسـتين سنة، مُجْمَعٌ على ذلك فى الروايات كلهـا، استوفى سن رسـول الله ﷺ، وكان أبو بكـر ولد بعد الفيل بثلاث سنين رضى الله عنه، وغسلته زوجه أسماء بنت عميس

---

(١) رواه ابن سعد فى« الطبقات » (٣/ ١٥٠). ورجاله ثقات .

(٢) رواه الإمام أحمد في « المسند » رقم (٤٥) ، وقال الشيخ شاكر : إسناده صحيح.

وكــان قــد أوصى بذلك [١]، ودفن جـانب رسـول الله ﷺ حـسب وصيته، وصلى عليه خليفته عمر بن الخطاب، ونزل قبره عـمر، وعثمان ،وطلحـة ،وابنه عبـدالرحـمن، وجعل رأسـه عند كـتفى رسـول الله ﷺ، وألصق اللحد بقبر رسول الله ﷺ .

يقول القاسم بن محمد رحمه الله :

دخلت على عائشة رضى الله عنها فقلت: يا أمه أكشفى لى عن قبر النبى ﷺ وصاحـبيه، فكشف لى عن ثلاثة قـبور، لا مشرفـة ولا لاطئة مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء.

قال : فرأيت النبى ﷺ مقدماً، وقبر أبى بكر عند رأسه ورأس عمر عند رجل النبى ﷺ [٢].

عن سعيد بن المسيب قال :

لما تُوُفِّىَ أبو بكر الصـديق رحمـه الله أقامت عليـه عائشـة النَّوْح، فأقبل عمر بن الخطاب حتى قام ببابها، فنهاهن عن البكاء على أبى بكر ، فأبين أن ينتهين، فقال عمر لهشام بن الوليد:

ادخل فأخـرج إلىّ ابنة أبى قُحـافة أخت أبى بكر، فـقالت عـائشة لهشام حين سمعت ذلك من عمر: إنـى أحرج عليك بيتى، فقال عمر

---

(١) رواه ابن سعد فى الطبقات (٣/ ٢٠٣، ٢٠٤) وإسناده صحيح .
(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات (٣/ ٢٠٩) بسند صحيح .

لهشام : ادخل فقد أذنت لك، فـدخل هشام فأخرج أم فَرْوة أخت أبى بكر إلى عمـر، فعلاها بالدِّرة، فضـربها ضربات، فتـفرق النَّوح حين سمعوا ذلك [(1)].

(١) «تاريخ الطبرى» (٢/ ٣٥٠) بسند رجاله ثقات.

مات أبو بكر الصديق

ومات الصديق رضى الله عنه وأرضاه ليترك الدنيا بعد عناء شديد وجهاد طويل، وكفاح مرير لدين الله عز وجل مع إمامه وأستاذه ومعلّمه ونبيه ﷺ الذي كان معه منذ اللحظات الأولى لم يفارقه فى عالم الدنيا فاستحق من الله جل وعلا أن يكون مع حبيبه المصطفى ﷺ فى عالم الآخرة، فدفن إلى جواره ليبعث معه إن شاء الله تعالى .

* عن أُسيد بن صفوان :قال: لما قبض أبو بكر الصديق رضى الله عنه، وسجى عليه ارتجت المدينة بالبكاء كيوم قبض رسول الله ﷺ.

قال : فجاء على بن أبى طالب رضى الله عنه ،ووقف على البيت الذى فيه أبو بكر فقال: رحمك الله يا أبا بكر . كنت إلف رسول الله ﷺ وأنيسه ومستراحه وثقته وموضع سره ومشاورته، وكنت أول القوم إسلاماً، وأخلصهم إيماناً، وأشدهم لله يقيناً، وأخوفهم لله، وأعظمهم غناء فى دين الله عز وجل، وأحوطهم على رسول الله ﷺ، وأحدبهم على الإسلام ،وأحسنهم صحبة ،وأكثرهم مناقب ،وأفضلهم سوابق ،وأرفعهم درجة، وأقربهم وسيلة، وأشبههم برسول الله ﷺ هدياً وسمتاً، وأشرفهم منزلة، وأرفعهم عنده، وأكرمهم عليه، فجزاك الله عن

رسول الله وعن الإسلام أفضل الجـزاء . صدقت رسول الله ﷺ حين كذبه الناس، وكنت عنده بمنزلة السمع والبصر ، سماك الله فى تنزيله صديقاً فقال: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ [الزمر: ٣٣]

واسيته حين بخلوا، وقمت معه على المكاره حين قعدوا، وصحبته فى الشدة أكرم الصحبة، ثانى اثنين صاحبه فى الغار، والمنزل عليه السكينة، ورفيقه فى الهجرة، وخليفته فى دين الله وأمته، أحسن الخلافة حين ارتدوا، فقمت بالأمر مالم يقم به خليفة نبى، ونهضت حين وهن أصحابه، وبرزت حين استكانوا، وقويت حين ضعفوا، ولزمت منهاج رسول الله ﷺ إذ وهنوا.

وكنت كما قال رسول الله ﷺ ضعيفاً فى بدنك قوياً فى أمر الله تعالى، متواضعاً فى نفسك عظيماً عند الله تعالى، جليلاً فى أعين الناس كبيراً فى أنفسهم، لم يكن لأحدهم فيك مغمز، ولا لقائل فيك مهمز، ولا لمخلوق عندك هوادة، الضعيف الذليل عندك قوى عزيز حتى تأخذ بحقه القريب والبعيد عندك فى ذلك سواء، وأقرب الناس عندك أطوعهم لله عز وجل وأتقاهم شأنك الحق والصدق والرفق قولك حكم وحتم ، وأمرك حلم وحزم ، ورأيك علم وعزم، اعتدل بك الدين وقوى بك الإيمان وظهر أمر الله، فسبقت ـ والله ـ سبقاً بعيداً، وأتعبت من بعدك إتعاباً شديداً ، وفزت بالخير فوزاً مبيناً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون

رضينا عن الله عز وجل قضاءه وسلمنا له أمره، والله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله ﷺ بمثلك أبداً ، كنت للدين عزاً، وحرزاً وكهفاً فألحقك الله عز وجل بنبيك محمد ﷺ، ولا حرمنا أجرك، ولا أضلنا بعدك، فسكت الناس حتى قضى كلامه، ثم بكوا حتى علت أصواتهم وقالوا: صدقت[1].

***

(١) « التبصرة » لابن الجوزي : (١ / ٤٧٧ ـ ٤٧٩) بسند حسن.

كلمة أخيرة

أبو بكر أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ

هكذا بعد أن عشنا بقلوبنا وعقولنا وأرواحنا مع سيرة هذا الرجل ولمسنا عظمة شخصه ـ رضى الله عنه ـ وعظيم قدره فإننا نقطع بأن أبا بكر هو أفضل هذه الأمة قاطبة بعد نبيها ﷺ ،وهذا منهج أهل السنة والجماعة . .

وحسبُك شهادة نبينا الكريم ﷺ.

ويا تعساً ويا لشؤم قلوب أقوام أهل الزيغ والضلال الذى ينتقصون هذا الرجل ،ويفضلون عليه علياً رضى الله عنه باللفظ الصريح . .

ويا ضلال أقوام أذهلتهم عبقرية الفاروق عمر فكأنهم شعروا ـ متأثرين بإعجابهم لشخصية عمر ـ أن عمر كان فضله وعمله للإسلام أفضل من أبى بكر .

فهم يعتقدون ذلك بقلوبهم وإن كانوا لا يتلفظون به . . فهذا والذى لا إله إلا هو ظلم وجور وضلال . . وحسبك تقديم أبى بكر على كل الصحابة بما فيهم عمر رضى الله عنه أنه ﷺ عندما رأى الناس يؤمهم عمر رضى الله عنه غضب كما رأيت وقال ﷺ: « **يأبى الله والمسلمون**

إلا أبا بكر مروا أبا بكر فليصل بالناس» .

وهذه هى شهادة عمر وعلى رضى الله عنهما لأبى بكر بأنه أفضل الناس ،بل وإنكارهم على من زعم غير ذلك .

* **ففى البخارى**: عن محمد بن الحنفية (وهو ابن على بن أبى طالب): قلت لأبى :

أى الناس خير بعد رسول الله ﷺ ؟ قال : أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال:عمر،وخشيت أن يقول: عثمان، فقلت: ثم أنت؟ قال:ما أنا إلا رجل من المسلمين[1] .

وفى رواية عندما سأله عن خير الناس بعد رسول الله ﷺ قال: أوما تعلم يا بنى ؟ قلت: لا. قال : أبو بكر .

وفى رواية قال رضى الله عنه : سبحان الله يا بنى أبو بكر.

* وهذا عبد الله بن عمر يقول:كنا لا نعدل بأبى بكر أحداً ثم عمر ، ثم عثمان.

ويقول رضى الله عنه:كنا نخير بين الناس فى زمن النبى ﷺ فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب،ثم عثمان بن عفان رضى الله عنهم[2].

---

(١) رواه البخارى رقم (٣٦٧١) فى فضائل الصحابة ، باب قول النبى ﷺ :« لو كنت متخذاً خليلاً ».

(٢) رواه البخارى رقم (٣٦٥٥) فى فضائل الصحابة باب فضل أبى بكر رضى الله عنه .

*** وأخرج خيثمة وابن عساكر عن أبى الزِّناد قال:**

قال رجل لعلى رضى الله عنه : يا أمير المؤمنين ما بال المهاجرين والأنصار قدَّموا أبا بكر وأنت أوفى منه منقبة ، وأقدم منه سلماً[(١)]، وأسبق سابقة .

قال : إن كنت قرشياً فأحسبك من عائذة . قال: نعم .

قال: لولا أن المؤمن عائذ الله لقتلتك، ولئن بقيت ليأتينك منى روعة حصراء، ويحك ! إن أبا بكر سبقنى إلى أربع : سبقنى إلى الإمامة، وتقديم الهجرة، وإلى الغار، وإفشاء الإسلام، ويحك إن الله ذم الناس كلهم ، ومدح أبا بكر فقال: ﴿ **إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ** ﴾ [التوبة : ٤٠] الآية [(٢)]

*** وأخرج أبو نعيم فى « فضائل الصحابة » عن جبير بن نفير .**

أن نفراً قالوا لعمر بن الخطاب رضى الله عنه: والله ما رأينا رجلاً أقضى بالقسط، ولا أقول بالحق، ولا أشد على المنافقين منك يا أمير المؤمنين ! فأنت خير الناس بعد رسول الله ﷺ .

فقال عوف بن مالك رضى الله عنه: كذبتم - والله - لقد رأينا خيراً منه بعد النبى ﷺ .

---

(١) أى : إسلاماً .

(٢) قال الكاندهلوى : كذا فى « منتخب الكنز» (٤/ ٣٥٥)، وأخرجه العشارى عن ابن عمر بمعناه، كما فى « المنتخب» (٤/ ٤٧٧).

فقال : من هو يا عوف؟

قال: أبو بكر، فقال عمر: صدق عوف وكذبتم والله ، لقد كان أبو بكر أطيب من ريح المسك، وأنا أضل من بعير أهلى[١].

* وعند أسد بن موسى عن الحسن قال: كان لعمر رضى الله عنه عيون على الناس، فأتوه فأخبروه أن قوماً اجتمعوا ففضلوه على أبى بكر رضى الله عنه ؟ فغضب وأرسل إليهم فأتى بهم، فقال:

يا شر قوم ! يا شر حى ، فقالوا: يا أمير المؤمنين لم تقل لنا هذا ؟

ما شأننا ؟ فأعاد ذلك عليهم ثلاث مرات، ثم قال: لم فرقتم بينى وبين أبى بكر الصديق ؟ فوالذى نفسى بيده لوددت أنى من الجنة حيث أرى فيها أبا بكر مدَّ البصر.

* وعند اللالكائى عن عمر رضى الله عنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، فمن قال غير هذا بعد مقالى هذا فهو مفترٍ وعليه ما على المفترى[٢].

* وعند خيثمة فى « فضائل الصحابة» عن زياد بن علاقة قال:

رأى عمر رضى الله عنه رجلاً يقول: إن هذا خير الأمة بعد نبيها ﷺ فجعل عمر يضرب الرجل بالدِّرة، ويقول: كذب الأخر[٣] لأبو بكر خير

---

(١) قال ابن كثير: إسناده صحيح ، كذا فى « منتخب الكنز» (٤/ ٣٥٠).
(٢) أى من العقوبة وهى ثمانون جلدة، والمفترى هو الذى يرمى المحصنات بالزنا.
(٣) أى الأبعد المتأخر عن الخير.

منى ومن أبى ومنك ومن أبيك !

وأخرج ابن الأثير بسنده فى أسد الغابة (٣/ ٣٢٢):

عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال: وفد ناس من أهل الكوفة ،وناس من أهل البصرة إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ،قال : فلما نزلوا المدينة تحدث القوم بينهم إلى أن ذكروا أبا بكر وعمر، ففضل بعض القوم أبا بكر على عمر،وفضل بعض القوم عمر على أبى بكر،وكان الجارود بن المعلى ممن فضل أبا بكر على عمر، فجاء عمر ومعه درَّته فأقبل على الذين فضلوه على أبى بكر ، فجعل يضربهم بالدرة حتى ما يتقى أحدهم إلا برجله. فقال له الجارود: أفق أفق يا أمير المؤمنين ، فإن الله عز وجل لم يكن يرانا نفضلك على أبى بكر،وأبو بكر أفضل منك فى كذا ،وأفضل منك فى كذا، فسُرِّى عن عمر، ثم انصرف ، فلما كان من العشى ، صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ألا إن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، فمن قال غير ذلك بعد مقامى هذا فهو مفترٍ عليه ما على المفترى[1].

وعن عمر رضى الله عنه قال: لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان أهل الأرض لرجح بهم، ليتنى شعرة فى صدر أبى بكر [2]

---

(١) أخرجه أحمد فى فضائل الصحابة (٣٩٦) وإسناده صحيح .

(٢) « المطالب العالية » (٤٢٩٢) والخبر فى زيادات مسند مسدد ورجاله ثقات.

وبعد . . فهذا هو الصديق . . لا يرفع المتكلمون من قدره وإن اجتمعوا، وإنما يرفعون من قدر أنفسهم حينما يتكلمون عن هذا الطود الشامخ والعملاق الكبير.

نسأل الله أن يجزيه عن الإسلام والمسلمين خيرما جزى مصلحاً أو صالحاً ،وأن يجمعنا به مع سيد النبيين آمين .

* * *

فاروق الأمة الأواب

عمر بن الخطاب

رضى الله عنه

« لقد كان فيمن قبلكم من الأمم محدثون من غير أن يكونوا أنبياء ، فإن يكن فى أمتى أحد ،فإنه عمر »

عمر بن الخطاب

* إنه الرجل الكبيــر فى بساطة... البسيط فى قــوة ... القوى فى عدل ورحمة .

* إنه الرجل الذى أنجبته أرض الجزيرة، ورباه الإسلام .

* إنه الناسك الورع الذى تفجر نسكه حركةً، وذكاءً، وعملاً وبناءً

* إنه الأستاذ المعلم الذى صــحح كثيراً من مفاهيم الحــياة ، وكساها عظمة وروعة من خلقه وسلوكه، وكان للمتقين إماماً .

* إنه الرجل الذى أعطى دنيــا الناس كافــة قدوة لا تبلــى .. قدوة تتمثل فى عاهل قد بركت الدنيا على عتبة داره مثقلة بالغنائم، والطيبات فَسَرَّحَهَا ســراحاً جميلاً، وساقها إلى الناس ســوقاً كريماً.. يقدم إليهم طيباتها، ويدرأ عنهم مضــلاتها، حتى إذا نفض يديه من علائق هذا المتاع الزائل ... اســتــأنف ســيره، ومــســراه مــهــرولاً فى فتــرة الظهــيــرة الحارقة، وراء بعــير من أموال الصدقــة يخشى عليه الضيــاع، أو منحنياً فوق قدر ليطبخ فيــه طُعمة طيبة لامرأةٍ غريبةٍ أدركــها كَرْب المخاض أو لأطفال يتضورون جوعاً فى ظلام الليل الدامس!!

* إنه الرجل الذى تنزل القرآن أكثر من مرة موافقاً لرأيه، وقوله .

* إنه الرجل الذى كان إسلامه فتحــاً، وكانت هجرته نصراً ، وكانت

ولايته عدلاً.

* إنه فاروق الأمة الأواب عمر بن الخطاب .

والحق أن الاقتراب من هذا التقى النقى أمرٌ رهيب بقدر ما هو حبيب إلى النفس ، فعـمر بن الخطاب من الطراز الذى تغمرك الهـيبة ،وأنت تقرأ تاريخه المكتوب كـما تغمرك الهيبة وأنت تجالس شـخصه المتواضع فالمشـهد المسطور من تاريخـه لا يكاد يختلف عن المشـهد الحى إلا فى غياب البطل ـ فقط ـ عن حاسة البصر .

أجل . . . عن حاسة البصر وحدها . . أمـا الأفئدة . . أما البصيرة فتحس وهى تطـالع سيرة عمر أنهـا تعايشه وتجالسـه،وكأنها ترى رأى العين جلال الأعمـال ،ومناسك البطولات . . وأروع الانتصارات التى نقشها على جبين الزمان ،وصفحة الأيام ، إنه فاروق الأمة الأواب . . عمر بن الخطاب .

***

اسمه ولقبه وكنيته ومولده

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزَّى بن رياح بن عبد الله بن قُرْط بن زراح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى العدوى أبو حفص أمير المؤمنين [١].

أمه :حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم[٢]

وكنيته: أبو حفص كناه بها رسول الله ﷺ.

قال الحافظ فى الفتح[٣] : جاء فى السيرة لابن إسحاق أن النبى ﷺ كناه بها ،وكانت حفصة أكبر أولاده .

أما مولده :

يقول ابن عبد البر فى الاستيعاب[٤] : ولد عمر رضى الله عنه بعد عام الفيل بثلاثة عشرة سنة،وروى أسامة[٥] بن زيد بن أسلم عن أبيه

---

(١) الطبقات الكبرى (٢٠١/ ٣) العلمية ، تاريخ الطبرى (٥٦٢/ ٢ العلمية)،والاستيعاب (٢٣٥ / ٢ العلمية) ، المنتظم فى تاريخ الأمم ،والملوك (١٣٠ / ٤ العلمية).انظر أسد الغابة (١٣٨ / ٤ العلمية)،تهذيب الكمال (٥٠ / ١٤ الفكر)،سير أعلام النبلاء(الخلفاء ص ٧١ الرسالة)،الإصابة (٥٨٨ / ٣ الجبل) ، تهذيب التهذيب (٤٣٨ / ٧١الهندية) (فتح البارى (٥٣ / ٧ العلمية)

(٢) الاستيعاب (٢٣٥ / ٣ العلمية)، تهذيب الكمال (٥٤ / ١٤ الفكر)

(٣) فتح البارى (٥٣ / ٧ العلمية)

(٤) الاستيعاب (٢٣٥ / ٣ العلمية).

(٥) ضعفه ابن حجر فى تهذيب التهذيب (٣٩٠ / ٢٠٧ / ١).

عن جده، قال: سمعت عمر يقول: وُلدتُ بعد الفِجَار[1] الأعظم بأربع سنين.

***قال الزبير:** وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه من أشراف قريش، وإليه كانت السفارة فى الجاهلية، وذلك أن قريشاً كانت إذا وقعت بينهم حرب وبين غيرهم بعثوا سفيراً، وإن نافرهم منافر، أو فاخرهم مفاخرٌ رضوا به وبعثوه منافراً، ومفاخراً.

*** قال أبو عمر ابن عبد البر :**

فكان إسلامه عزاً ظهر به الإسلام بدعوة النبى ﷺ، وهاجر ، فهو من المهاجرين الأولين، وشهد بدراً وبيعة الرضوان ، وكل مشهد شهده رسول الله ﷺ، وتوفى ورسول الله ﷺ عنه راض.

ولقب بالفاروق لتفريقه بين الحق والباطل، وقيل لأنه أظهر الإسلام بمكة ففرق بين الكفر والإيمان .

*** قال الطبرى فى تاريخه:**

وقد اختلف السلف فيمن سماه بذلك، فقال بعضهم سماه بذلك رسول الله ﷺ، ثم ذكر خبراً بسند فيه الواقدى عن ابن عمرو ذكوان قال : قلت لعائشة : من سَمّى عمر الفاروق ؟ قالت : النبى ﷺ

(١) كانت حرب بين قريش ومن معهم من كنانة، وبين قيس عيلان ، وسميت بحرب الفجار لانتهاك حرمات الحرم ، والأشهر الحرم فيها . انظر السيرة لابن هشام (١/ ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧).

أميـــر المؤمنــين

قال أبو جعفر[(١)] :

أول من دُعى أمـيـــر المؤمنين، عـمـر بن الخطـاب، ثم جـرت بذلك السنة، واستعمله الخلفاء إلى اليوم .

قال أبو عمر[(٢)] :

وأما القصــة التى ذكرت فى تسمية عـمر نفسه أميـر المؤمنين ، فذكر الزبير قـال : قال عمر لما ولى: كـان أبو بكر يقال له خليفـة رسول الله ﷺ فكيف يقال لى خليفة خليفة رسول الله ، يطول هذا !

قال: فقال له المغيرة بن شعبة: أنت أميرنا ، ونحن المؤمنين، فأنت أمير المؤمنين، قال: فذاك إذن .

قال أبو عمر : وأعلى من ذلك ما رويناه أن عمر بن عبد العزيز سأل أبا بكر بن سليمان بن أبى خيثمة، لأى شىء كان أبو بكر رضى الله عنه يكتب : من خليفـة رسول الله، وكان عمر يكتب: من خـليفة أبى بكر ، ومَنْ أول من كتب عبـد الله أمير المؤمنين ؟ فقال : حـدثتنى الشفاء - وكانت من المهاجرات الأُوَّل - أن عـمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب

---

(١) تاريخ الأمم والملوك (٥٦٩ / ٢ العلمية) .

(٢) الاستيـعاب (٢٣٩ / ٣ العلمية) . قال فى مجـمع الزوائد (٩/ ٦١) ، ورجاله رجال الصحيح ، وأخرجه البخارى فى الصغير والحاكم وصححه ، ووافقه الذهبى .

إلى عـامل العراق أن ابْعث إلىّ برجلـين جَلَدَيْن نبيلين، أسـألهمـا عن العراق وأهله .

فبعث إلـى عامل العراق لبيـد بن ربيعة العامـرىّ ، وعدىّ بن حاتم الطائىّ، فلمـا قدما المدينـة أناخا راحلتيـهمـا بفناء المسجـد ، ثم دخلا المسجد، فإذا هما بعمرو بن العاص.

فقالا له: استأذن لنا على أمير المؤمنين يا عمرو ؟

فقـال عمـرو : أنتمـا والله أصبـتمـا اسمـه، نحن المؤمنون ، وهو أميرنا، فوثب عمرو فدخل على عمر، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال عمر : ما بدا لك فى هذا الاسم ؟ يعلم الله لتخرجَنَّ مما قلت أو لأفعلنَّ.

قال : إن لبيد بن ربيعة وعدىّ بن حاتم قدما فأناخا راحلتيهما بفناء المسجـد ، ثم دخلا المسجـد، وقالا لى: استـأذن لنا يا عمرو على أمـير المؤمنين، فهما والله أصابا اسْمَك، أنت الأمير، ونحن المؤمنون.

قال : فجرى الكِتَابُ من يومئذ . . آ.هـ.

***

صفته الخلقية رضي الله عنه

قال ابن عبد البر فى الاستيعاب:

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه آدم شـديد الأُدمة (السُّمرة) ، طوالاً ،كث اللحية،أصلع أعسر يسر (يعمل بكلتا يديه)

قال : وهو الأكثر عن أهل العلم بأيام الناس ،وسيرهم ،وأخبارهم ووصفه أبو رجاء العطاردىّ ـ وكان مغفلاً ـ فقال:كان عمر بن الخطاب طويلاً،جسـيمـاً،أصلع شديد الصلع،أبيض شـديد حمرة الـعينين،فى عارضة خفّة،سبلته[١] كثيرة الشعر فى أطرافها صهوبة[٢].

ثم قال رحمه الله :

وذكر الواقدى من حديث عاصم بن عبيد الله عن سالم بن عبد الله ابن عـمـر عن أبيـه قـال:إنما جـاءتنـا الأدمـة من قِـبَل أخـوالى بنى مظعون،وكان أبيضَ،لا يتزوج لشهوة إلا لطلب الولد،وعاصم بن عبيد الله لا يحتجُّ بحـديثه،ولا بحـديث الواقدى،وزعم الواقدى أن سُـمْرَةَ

---

(١) سبـلة الرجل : الدائرة التى فى وسط الشـفة العليـا،وقيل السـبلة ما على الشـارب من الشعر،وقيل : مجتمع الشاربين (لسان العرب).

(٢) الصهبة : لون حمـرة فى شعر الرأس واللحية،والصهبة كـذلك: الشقرة فى شعر الرأس (لسان العرب)

عمـر وأدمتـه إنما جاءت مـن أكله الزيت عام الرمـادة ،وهذا منكر من القول.

وأصح ما فى هذا البـاب ـ والله أعلم ـ حديث سفيـان الثورى عن عـاصم بن بَهْدَلة عـن زرّ بن حبـيش قال:رأيـت عمـر شديد الأدمـة .أ.هـ[١]

قال ابن حجر فى الإصابة :

روى يعقوب بن سفيان فى تاريخه بسند جيد إلى زرّ بن حبيش قال : رأيت عمر أعسر أصلع آدم ، قد فرع الناس ، كأنه على دابة[٢]

وأخرج ابن سـعد بسند جـيد من طريق سمـاك بن حرب أخـبرنى هلال بن عبد الله قال:رأيت عمر جسيماً،كأنه من رجال بنى سَدُوس . أ.هـ[٣].

وقال الطبرى فى تاريخه:

عن زر بن حبيش قال:خرج عمر فى يوم عيد ـ أو فى جنازة زينب ـ آدم طوالاً،أصلع أعسر يسراً،يمشى كأنه راكب . أ.هـ[٤].

(١) الاستيعاب (٢٤٠/ ٣ العلمية).

(٢) قال فى مـجمع الزوائد (٤/ ٣٤) ،ورجاله مـوثوقون ،ورواه عـبد الرزاق فى المصنف (٨٥٣٣) ،والبيهقى (٩/ ٢٤٨).

(٣) الإصابة : (٥٨٩ / ٣ الجيل) .

(٤) تاريخ الأمم والملوك:(٥٦٢/ ٢ العلمـية) والخـبر أخـرجه الحـاكم ،وصححـه وأقـره الذهبى،وعبد الرزاق فى مصنفه (٨٥٣٣)،وأخرجه ابن سعد فى الطبقات (٢٤٦ / ٣).

ولده ونساءه

قال الطبرى فى تاريخه :

* تزوج عمر فى الجاهلية زينب بنت مظعون .

فولدت له عبد الله، وعبد الرحمن الأكبر ، وحفصة .

*وتزوج مليكة بنت جرول الخزاعى فى الجاهلية.

فولدت له عبيد الله بن عمر ففارقها فى الهدنة.

* وتزوج أم كلثوم بنت جرول بن مالك ، فولدت له زيد الأصغر، وعبيد الله الذى قتل فى صفين مع معاوية، وكان الإسلام فرق بينها وبين عمر .

* وتزوج قُريبة بنت أمية المخزومى فى الجاهلية، وفارقها فى الهدنة

* وتزوج أم حكيم بنت الحارث بن هشام فى الإسلام، فولدت له فاطمة.

* وتزوج جميلة أخت عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح فى الإسلام ، فولدت له عاصماً، وطلقها.

* وتزوج أم كلثوم بنت على بن أبى طالب ، وأمها فاطمة بنت

رسول الله ﷺ ، فولدت له زيداً ورقية .

* وتزوج لهية امرأة من اليمن .

فولدت له عبد الرحمن الأصغر ،ويقال أنها كانت أم ولد.

وكانت عنده فُكيهة،وهى أم ولد ،وفى أقوالهم فولدت له زينب.

* وتزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل،وكانت قبله عند عبد الله بن أبى بكر،فلما مات عمر تزوجها الزبير بن العوام .

قال المدائنى :

وخطب أم كلثوم بنت أبى بكر وهى صغيرة ،وأرسل فيها إلى عائشة، فقالت : الأمر إليك،فقالت أم كلثوم :لا حاجة لى فيه .

فقالت لها عائشة : ترغبين عن أمير المؤمنين ؟!!

قالت : نعم، إنه خَشِن العيش، شديد على النساء .

فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص فأخبرته، فقال : أكفيك .

فأتى عمر فقال : يا أمير المؤمنين بلغنى خبر أعيذك بالله منه.

قال : وما هو ؟

قال:خطبت أم كلثوم بنت أبى بكر ؟

قال:نعم،أفرغبت بى عنها،أم رغبت بها عنى ؟

قال:لا واحدة،ولكنها حَدَثَة نشأت تحت كنف أم المؤمنين فى لين

ورفق ،وفيك غلظة،ونحن نهابك،وما نقدر أن نردَّك عن خُلقٍ من أخلاقك، فكيف بها إن خالفتك فى شىء، فسطوت بها ؟! كنت قد خلفت أبا بكر فى ولده بغير ما يحق عليك .

قال : فكيف بعائشة وقد كلمتها ؟ قال : أنا لك بها ،وأدلك على خير منها أم كلثوم بنت علىّ بن أبى طالب ، تعلق منها بنسب من رسول الله ﷺ.

قال المدائنى: وخطب أم أبان بنت عتبة بن ربيعة،فكرهته،وقالت : يغلق بابه،ويمنع خيره،ويدخل عابساً ،ويخرج عابساً . أ.هـ[1]

* * *

(١) تاريخ الطبرى (٥٦٤ / ٢) ـ ط العلمية .

إسلامه رضي الله عنه

كان ـ رضى الله عنه ـ معروفاً بحدة الطبع، وقوة الشكيمة ، وطالما لقى المسلمون منه ألوان الأذى، والظاهر أنه كانت تصطرع فى نفسه مشاعر متناقضة، احترامه للتقاليد التى سنها الآباء والأجداد، واسترساله مع شهوات السكر واللهو التى ألفها، ثم إعجابه بصلابة المسلمين، واحتمالهم للبلاء فى سبيل عقيدتهم، ثم الشكوك التى كانت تساوره ـ كأى عاقل ـ فى أن ما يدعو إليه الإسلام قد يكون أجل وأزكى من غيره، ولهذا ما إن يثور حتى يخور[1].

كان رضى الله عنه شديداً على الإسلام والمسلمين حتى أن الصحابة كانوا يرون أن عمر لن يسلم حتى يسلم حمار الخطاب .

يقول ابن كثير فى البداية والنهاية [٣/ ٧٩]:

روى ابن اسحاق بسنده عن أم عبد الله بنت أبى حثمة قالت : والله إنا لنترحل إلى أرض الحبشة، وقد ذهب عامر (زوجها) فى بعض حاجتنا، إذا أقبل عمر فوقف عَلَيّ وهو على شركه، فقالت: وكنا نلقى منه أذى لنا وشدة علينا، قالت: فقال: إنه الانطلاق يا أم عبد الله؟

(١) فقه السيرة للغزالى ص ٩٢ ـ ٩٣.
(٢) البداية، والنهاية لابن كثير [٧٩ / ٣] ط دار الفكر العربى .

قلت: نعم!

والله لنخرجن فى أرض من أرض الله إذ آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا مخرجاً.

قالت: فقال: صحبكم الله، ورأيت له رقة لم أكن أراها، ثم انصرف، وقد أحزنه فيما أرى خروجنا، قالت: فجاء عامر بحاجتنا تلك فقلت له يا أبا عبد الله لو رأيت عمر آنفاً ورقته وحزنه علينا؟!!

قال: أطمعت فى إسلامه ؟! قالت : نعم !

قال : لا يسلم الذى رأيت حتى يسلم حمار الخطاب !!

قالت: يأساً منه لما كان يرى من غلظته وقسوته على الإسلام.

لكن القلوب بيد خالقها الذى يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ، الذى يقلب القلوب ،ويحولها كما يشاء سبحانه . . .

أما سبب إسلامه: فإننا نرى أن أول هذه الأسباب دعوة النبى ﷺ

ففى سنن الترمذى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « **اللهم أعزَّ الإسلام بأحب هذين الرَّجلين إليك: بأبى جهل بن هشام، أو بعمر بن الخطاب، قال: وكان أحبهما إليه عمر** » [1]

أما السبب الآخر لإسلام الفاروق عمر فقد جاء فى صحيح البخارى

---

(١) رواه الترمذى رقم (٣٦٨٢) فى المناقب ، باب مناقب عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وصححه شيخنا الألبانى فى صحيح الترمذى رقم (٢٩٠٧).

باب إسلام عمر عن عبد الله بن عمر قال :

ما سمـعت عمر لشيء قطُّ يقول إني لأظُنُّه كذا إلا كـان كما يظن ، بينما عمرُ جالسٌ، إذ مرَّ به رجلٌ جميلٌ، فقال عمر: لقد أخطأ ظني، أو إن هذا على دينه في الجاهلية، أو لقد كان كاهنهم، عليَّ الرَّجُل . فدعى له، فقال له ذلك. فقال: ما رأيت كاليوم استُقبِلَ به رجلٌ مسلم

قال : فإني أعزم عليك إلا ما أخبرتني .

قال: كنت كاهنهم في الجاهلية.

قال: فما أعجبُ ما جاءتـك به جِنِّيَّتُك؟ قال: بينما أنا يوماً في السوق جاءتني أعرف فـيها الفزع فقـالت: ألم تر الجن وإبْلاسَها[١]، ويأسها من بعد إنكاسِها [٢]، ولحوقها بالقلاصِ، وأحلاسها[٣].

قال عـمر: صـدق، بينمـا أنا نائمٌ عند آلهتـهم، إذ جاء رجلٌ بعـجلٍ فذبحهُ ، فصرخ به صارخٌ، لم أسمع صارخاً قطُّ أشد صوتاً منه يقول : يا جَلَيحْ [٤]، أمرٌ نجيح، رجل فصيح، يقول: لا إله إلا أنت . فوثب القوم

---

(١) إبلاسها : المراد به اليأس ضد الرجاء

(٢) يأسهـا من بعد إنكاسها : اليـأس ضد الرجاء، والإنكاس الانقلاب ، قـال ابن فارس : معناه أنها يئست من اسـتراق السمع ، بعد أن كانت قد ألفتـه ، فانقلبت عن الاستراق ، قد يئست من السمع .

(٣) ولحوقها بالقلاص ، وأحلاسها : القلاص جمع قُلُص، وهي الفتية من النياق ، والأحلاس جمع حِلْس ، وهو ما يوضع على ظهور الإبل تحت الرحل .

(٤) يا جليح : معناه الوقح المكافح بالعداوة . قـال الحافظ: ووقع في معظم الروايات « يا آل ذريح » وهم بطن مشهور من العرب .

قلت: لا أبرح حــتى أعلم مـا وراء هذا ، ثم نادى، : يا جَـليحْ أمـرٌ نجيح، رجلٌ فصيح، يقول: لا إله إلا الله . فقمت، فما نَشِبْنا [١] أن قيل : هذا نبي [٢].

قال الحافظ فى الفتح :

لمح المصنف بإيراد هذه القصة من « باب إسـلام عمر » بما جاء عن عائشـة ، وطلحة عن عمـر من أن هذه القصـة كانت سبب إسـلامه ، فروى أبو نعيم فى « الدلائـل» أن أبا جهل جعل لمن يقتل محـمداً مائة ناقة، قال عمر: فقلت له: يا أبا الحكم آلضمان صحيح ؟

قال: نعم، قـال: فتـقلدت سيـفى أريده، فمررت علـى عجل، وهم يريدون أن يذبحـوه، فقمـت أنظر إليهم، فـإذا صائح يصيـح من جوف العجل: يا آل ذريح أمر نجـيح، رجل يصيح بلسان فصيح. قـال عمر : فقلت فى نفسى، إن هذا الأمر ما يراد به إلا أنا .

قال: فدخلت على أختى فإذا عندها سعـيد بن زيد » فذكر القصة فى سبب إسلامه بطولها [٣]

(١) فما نشبنا: أى لم نتعلق بشيء من الأشيـاء حتى سمعنا أن النبى ﷺ قد خرج ، يريد أن ذلك كان بقرب مبعث النبى ﷺ .

(٢) رواه البخارى رقم (٣٨٦٦) فى مناقب الأنصار، باب إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

(٣) ستأتى قريباً

ثم قال الحافظ رحمه الله تعالى: وتأمل ما فى إيراده (أى البخارى رحمه الله) حديث سعيد بن زيد الذى بعد هذا ـ وهو الحديث الخامس[١] ـ من المناسبة لهذه القصة . أ. هـ[٢]

* * *

(١) عن قيس ابن أبى حازم قال : سمعت سعيد بن زيد يقول للقوم: لو رأيتُنى مُوثِقى عُمَرُ على الإسلام أنا وأختُهُ وما أسلم ،ولو أن أحداً انقضَّ لما صنعتم بعثمان ، لكان محقوقاً أن ينقض.(رواه البخارى رقم (٣٨٦٧) فى مناقب الأنصار ، باب إسلام عمر ابن الخطاب).

(٢) البداية ،والنهاية (٧٨ / ٣).

قصة إسلامه

أما قصة إسلامه رضى الله عنه، فقد وجدت أن جُل ما وقعت عليه يدى من كتب التاريخ والسير- إن لم يكن كلها - قد سطر فيها أصحابها وهم من العلماء الحفاظ الأعلام - القصة المشهورة من دخوله على أخته وزوجها سعيد بن زيد ،وكذا استماعه رضى الله عنه القرآن من النبى ﷺ، وهو خلف أستار الكعبة، إلا أن جُل من حقق سند هذه الروايات، قد حكم بضعفها مما جعلنى أعرض عنها لضعفها فى أول الأمر حتى وقفت على كلام الحافظ ابن حجر رحمة الله عليه السابق ذكره[١]، وقوله بتلميح البخارى رحمة الله تعالى عليه إلى القصة بإيراده حديث سعيد بن زيد فى باب إسلام عمر، فوجدت أن آتى بهما مع ذكر أقوال العلماء فيهما، والله أعلم بالصواب، والقصتان ذكرهما الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية .

قال الحافظ ابن كثير :[٢]

ذكر ابن إسحاق قصة إسلام عمر رضى الله عنه ،وسياقها فإنه قال

---

(١) وقد أشار الحافظ ابن حجر فى الفتح باختصار إلى هذه القصة، وقال إنها سبب إسلامه(الفتح :عند كلامه عن حديث مازلنا أعزة منذ أسلم عمر [رقم ٣٦٨٤]).
(٢) البداية والنهاية :٧٨ /٣

: وكان إسلام عـمر فيمـا بلغنى أن أخته فاطمـة بنت الخطاب، وكانت عند سـعيـد بن زيد، ثم ابن عمـر بن نفـيل كانت قـد أسلمت، وأسلم زوجها سعيـد بن زيد، وهم مستخفون بإسلامهم من عـمر، وكان نعيم ابن عبد الله النحام رجلٌ من بنى عدى قد أسلم أيضاً مستخفياً بإسلامه من قومـه ، وكان خـباب بن الأرت يخـتلف إلى فاطمـة بنت الخطاب يقـرأها القـرآن، فخـرج عـمر يـوماً، مـتـوشحـاً سـيفـه يريد رسـول الله ﷺ، ورهطاً من أصحابه ، فذكروا له أنهم قـد اجتمعوا فى بيتٍ عند الصفـا ، وهم قريب من أربعين من بين رجال ونسـاء ، ومع رسول الله ﷺ عمه حمزة، وأبو بكر بن أبى قحافة الصديق ، وعلىّ بن أبى طالب فى رجال من المسلمين ممن كان أقام مع رسول الله ﷺ بمكة، ولم يخرج إلى أرض الحبشة، فلقيه ، نعيم بن عبد الله فقال : أين تريد يا عمر ؟

قـال: أريد محـمـداً هذا الصابـىء الذى فرق أمـر قـريش ، وسفـه أحلامها، وعاب دينها، وسب آلهتها فاقتله .

فقال له نعيم: والله لقد غرتك نـفسك يا عمر ، أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشـى على الأرض، وقد قتلت مـحمداً ؟ أفـلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم .

قال : وأى أهل بيتى ؟

قال: ختنك وابن عمك سعيد بن زيد وأختك فاطمة والله أسلما

وتابعا محمداً على دينه، فعليك بها، فرجع عمر عائداً إلى أخته فاطمة ،وعندها خباب بن الأرت معه صحيفة فيها «طه »، يقريها إياها فلما سمعوا حس عمر، تغيب خباب فى مخدع لهم ـ أو فى بعض البيت ـ وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة، فجعلتها تحت فخذها ،وقد سمع عمر حين دنا إلى الباب قراءة خباب عليها ، فلما دخل قال : ما هذه الهيمنة التى سمعت ؟.

قالا له : ما سمعت شيئاً .

قال : بلى ،والله لقد أُخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه، وبطش بختنه سعيد بن زيد ،فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه : نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك، فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع وارعوى، وقال لأخته أعطينى هذه الصحيفة التى كنتم تقرءون آنفاً ، أنظر ما هذا الذى جاء به محمد؟ وكان عمر كاتبا، فلما قال ذلك ، قالت له أخته : إنا نخشاك عليها .

قال : لا تخافى وحلف بآلهته ليردنها إذا قرأها إليها .

فلما قال ذلك طمعت فى إسلامه فقالت : يا أخى إنك نجس على شركك، وإنه لا يمسه إلا المطهرون، فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة، وفيها «طه» فقرأها ،فلما قرأ صدراً قال: ما أحسن هذا الكلام

وأكرمه.

فلما سمع ذلك خباب بن الأرت خرج إليه فقال له : والله يا عمر إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ﷺ، فإنى سمعته أمس وهو يقول : اللهم أيد الإسلام بأبى الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب . فالله الله يا عمر .

فقال عند ذلك : فدلنى يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم.

فقال له الخباب : هو فى بيت عند الصفا معه نفر من أصحابه ، فأخذ عمر سيفه فتوشحه، ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه ، فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خلل الباب ، فإذا هو بعمر متوشح السيف، فرجع إلى رسول الله ﷺ ، وهو فزع فقال: يا رسول الله ! هذا عمر بن الخطاب متوشحاً بالسيف!

فقال حمزة : فأذن له، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه ، وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه.

فقال رسول الله ﷺ :« ايذن له » فأذن له الرجل، ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه فى الحجرة، فأخذ بحجزته أو بمجمع ردائه، ثم جذبه جذبة شديدة فقال :ما جاء بك يا ابن الخطاب ؟! فوالله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة .

فقال عمر : يا رسول الله :جئتك لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله .

قال : فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة ، فعرف أهل البيت أن عمر قد أسلم، فتفرق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم ،وقد عَزُّوا فى أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة، وعلموا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ، وينتصفون بهما من عدوهما[1] .

ثم ذكر القصة الثانية عن ابن إسحاق :

أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه أنه كان يقول كنت للإسلام مباعداً، وكنت صاحب خمر فى الجاهلية أحبها وأشربها، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزورة، فخرجت ذات ليلة أريد جلسائى أولئك، فلم أجد فيه منهم أحداً، فقلت لو أنى جئت فلاناً الخمار لعلى أجد عنده خمراً ، فأشرب منها.

---

(١) البداية ،والنهاية (٧٩ ـ ٨١ / ٣) ،والقصة أوردها ابن سعد فى الطبقات (٢٠٢ ـ ٢٠٣ / ٣) .

قال الأعظمى فى هامش المطالب: قال البوصيرى: رواه أبو يعلى بسند ضعيف ، لضعف القاسم بن عثمان البصرى ،وقال الذهبى فى الميزان (٤٥٦ / ٥ : العلمية) فى ترجمة القاسم بن عثمان البصرى: حدث عنه الأزرق بمتن محفوظ ،وبقصة إسلام عمر، وهى منكرة جداً، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٩/ ٦٣). وقال: رواه البزار ،وفيه أسامة بن زيد بن أسلم ،وهو ضعيف .

قال الحافظ ابن حجر : فيه من هو أضعف من أسامة بن زيد ،وهو إسحاق الحنينى ،وقد ذكر البزار أنه تفرد به.

(٢) البداية والنهاية (٨١/ ٣).

فخرجت فلم أجده قال : فقلت لو أنى جئت الكعبة ، فطفت سبعاً أو سبعين ، قال : فجئت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلى، وكان إذا صلى استقبل الشام، وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، وكان مصلاه بين الركنين الأسود واليمانى .

قال : فقلت حين رأيته: والله لو أنى استمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول: فقلت: لئن دنوت منه لأستمع منه لأروعنه ، فجئت من قبل الحجر، فدخلت تحت ثيابها، فجعلت أمشى رويداً ورسول الله ﷺ قائم يصلى، يقرأ القرآن، حتى قمت فى قبلته مستقبله ما بينى وبينه إلا ثياب الكعبة، قال: فلما سمعت القرآن رق له قلبى، وبكيت، ودخلنى الإسلام فلم أزل فى مكانى قائماً حتى قضى رسول الله ﷺ صلاته ، ثم انصرف. قال عمر: فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس، ودار ابن أزهر أدركته، فلما سمع حسى عرفنى، فظن أنى إنما اتبعه لأوذيه، فنهمنى (أى زجرنى) ثم قال : ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة ؟

قال : قلت: جئت لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله .

قال: فحمد الله رسولُ الله ﷺ، ثم قال: قد هداك الله يا عمر ، ثم مسح صدرى، ودعا لى بالثبات، ثم انصرف ،ودخل رسول الله ﷺ بيته .

قال ابن إسحاق: فالله أعلم أى ذلك كان.

هذا ما ورد فى قصة إسلامه رضى الله عنه، وهناك روايات أخر أعرضنا عنها خشية الإطالة .

أما ما حدث بعد ذلك ، ففى صحيح ابن حبان عن ابن عمر رضى الله عنهما قال :

لما أسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم تعلم قريش بإسلامه فقال: أى مكة أفشى للحديث ؟ فقالوا: جميل بن معمر الجمحى، فخرج إليه، وأنا أتبع أثره، أعقل ما أرى، وأسمع، فأتاه فقال: يا جميل إنى قد أسلمت .

قال: فوالله ما رد عليه كلمة حتى قام عامداً إلى المسجد فنادى أندية قريش، فقال: يا معشر قريش إن ابن الخطاب قد صبأ، فقال عمر: كذب، ولكنى أسلمت، وآمنت بالله، وصدقت رسوله، فثاوروه ، فقاتلهم حتى ركدت الشمس على رؤوسهم حتى فتر عمر .

وجلس فقال: افعلوا مابدا لكم، فوالله لو كنا ثلثمائة رجل ، لقد تركتموها أو تركناها لكم، فبينما هم كذلك قيام إذ جاء رجل عليه حلة حرير وقميص موشى، فقال: مالكم ؟ فقالوا إن ابن الخطاب قد صبأ، قال فمه، امرؤ اختار دينا لنفسه، أفتظنون أن بنى عدى تسلم إليكم صاحبهم؟ قال: فكأنما كانوا ثوباً انكشف عنه، فقلت له بَعْدُ بالمدينة : يا أبة من

الرجل الذى رد عنك القوم يومئذ

قال : يا بنى ذاك العاص بن وائل .

وأخرج البخارى فى صحيحه:

عن عبد الله بن عمر عن أبيه، قال: بينما هو فى الدار خائفاً إذ جاءه العاص بن وائل السَّهمىُّ، أبو عمرو عليه حُلَّة حبَرٍ ،وقميصٌ مكفوف بحرير - وهو من بنى سهم ،وهم حلفاؤنا فى الجاهلية - فقال : مابالك؟ قال عمر : زعم قومك أنهم سيقتلوننى أن أسلمتُ .

قال: لا سبيل إليك . قال عمر : بعد أن قالها أمنت ،فلقى الناس قد سال بهم الوادى فقال : أين تريدون ؟فقالوا : نريد هذا ابن الخطاب الذى صبأ. قال : لا سبيل إليه فكرَّ الناس »[1].

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أيضاً:

لما أسلم عمر اجتمع الناس عند داره قالوا: صبأ عمر - وأنا غلام (وفى رواية أخرى أنه ابن خمس سنين) فوق ظهر بيتى - فجاء رجل عليه قباءٌ من ديباجٍ ، فقال : قد صبأ عمر ،فما ذاك[2] ؟ فأنا له جار[3] قال : فرأيت الناس تصدعوا [4]عنه ، فقلتُ مَنْ هذا ؟

---

(١) رواه البخارى رقم (٣٨٦٤) فى مناقب الأنصار، باب إسلام عمر رضى الله عنه .

(٢) فما ذاك: أى فلا بأس ، أولا قتل ، أو لا يعترض له (الفتح ٢٢٦ / ٧).

(٣) أنا له جار : أى أجرته من أن يظلمه ظالم.

(٤) تصدعوا : أى تفرقوا عنه .

قالوا : العاص بن وائل(١) .

هذا ما ورد فى قصة إسلامـه رضى الله عنه بعد أن تتبعناها فى جل كتب السير والتاريخ ،والله أعلم بالصواب .

والأهم من ذلك أن إسلام عمر كان فتحاً للإسلام ، لما كان فيه من الجلد ،والقوة فى أمر الله.

ففى البخارى قال عبد الله بن مسعود:

«ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر»(٣).

وقال الحافظ فى الفتح: وروى ابن أبى الدنيا ،والطبرانى من طريق القاسم بن عبـد الرحمن قال :قال عـبد الله بن مسعـود : كان إسلام عمـر عزاً وهجرته نـصراً،وإمارته رحـمة ،والله ما اسـتطعنا أن نصلى حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر" (٤)

وعن صهيب بن سنان رضى الله عنه قال :

لما أسلم عـــمـر رضـوان الله علـيـه ظهـر الإسـلام،ودُعِـىَ إليـه علانية،وجلسنا حول البيت حلقاً،وطفنا بالبيت،وانتصفنا ممن غلظ علينا

(١) رواه البخارى رقم (٣٨٦٥) فى مناقب الأنصار،باب إسلام عمر رضى الله عنه .
(٢) مـوارد الظمآن (٢/ ٢١٨) ،وقـال الشـيخ شـعيب الأرناؤوط فـى الإحسـان : إسناده قوى،ورواه مختصراً الحاكم (٣/ ٨٥) ،وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم،ولم يخرجاه ،ووافقه الذهبى .
(٣)رواه البخارى رقم (٣٦٨٤) فى فضائل الصحابة ، باب مناقب عمر بن الخطاب .
(٤) الفتح (٧/٥٩) العلمية .

،ورددنا عليه بعض ما يأتى به[١] .

وكان إسلامه رضى الله عنه فى السنة السادسة من البعثة ، قاله ابن الأثير[٢].

* * *

(١) أخرجه ابن سعد(٣/ ٢٠٤). بسند فيه الواقدى .
(٢) أسد الغابة (٤/ ١٤٣)

هجرته رضي الله عنه

روى ابن الأثير بسنده عن عبد الله بن عباس قال : قال لي عليّ بن أبي طالب : ما علمت أن أحداً من المهاجرين هاجر إلا مختفياً إلا عمر ابن الخطاب، فإنه لما همَّ بالهجرة تقلد سيفه ، وتنكب قوسه ، وانتضى في يده أسهما، واختصر عَنْزَتُه[1]، ومضى قبل الكعبة ، والملأ من قريش بفنائها ، فطاف بالبيت سبعاً متمكناً، ثم أتى المقام فصلى ركعتين ، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة، وقال لهم: شاهت الوجوه[2]، لا يُرْغِمُ الله إلا هذه المعاطس[3]، من أراد أن تثكله أمه، ويُوتم ولده، ويرمل زوجته فيلقني وراء هذا الوادي .

قال علي: فما تبعه أحد إلا قوم من المستضعفين علّمهم، وأرشدهم، ومضى لوجهه[4].

---

(١) العنزة : مثل نصف الرمح أو أكبر شيئاً، واختصرها ـ أي أمسكها بيده ـ وقيل هي أطول من العصا ، وأقصر من الرمح.

(٢) شاهت : قَبُحَت، رجل أشوه ، أو امرأة شوهاء ، إذا كانت قبيحة (انظر اللسان ٤/ ٢٣٦٥).

(٣) المعاطس : الأنوف ، واحدها معطس ، لأنه العطاس يخرج منها (انظر اللسان ٤/ ٢٩٩٥).

(٤) أسد الغابة لابن الأثير (٤/ ١٤٤ ، ١٤٥) بسند صحيح والخبر في الرياض النضرة (١/ ١٩٨).

عمر المبشر بالجنة

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« بينا أنا نائم رأيتنى فى الجنة ، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر ، فقلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا :لعمر، فذكرت غيرته ، فوليت مدبراً ، فبكى عمر وقال : أعليك أغار يا رسول الله ؟! »[١].

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ:

« دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب، فقلت لمن هذا ؟ فقالوا : لشاب من قريش ، فظننت أنى أنا هو ، فقلت : ومن هو ؟ قالوا : عمر ابن الخطاب »[٢].

وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **« أبو بكر فى الجنة ،وعمر فى الجنة ،وعثمان فى الجنة،وعلى فى الجنة ،وطلحة فى الجنة ،والزبير فى الجنة ،وعبد الرحمن بن عوف**

---

(١) رواه البخارى رقم (٣٦٨٠) فى فضائل أصحاب النبى ﷺ ، باب مناقب عمر بن الخطاب رضى الله عنه ،ومسلم رقم (٢٣٩٥) فى فضائل الصحابة ، باب فضائل عمر ابن الخطاب .

(٢) رواه الترمذى رقم (٣٦٨٩) فى المناقب ، باب مناقب عمر بن الخطاب رضى الله عنه ورواه أيضاً أحمد فى المسند (١١٩٨٥، ١٢٧٧٠، ١٢٩١٨، ١٣٧١٠، ١٤٢٥٥) ،وابن حبان فى صحيحه رقم (٢١٨٨)، موارد ،وصححه شيخنا الألبانى فى الصحيحة رقم (١٤٠٥، ١٤٢٣).

في الجنة ،وسعد بن أبي وقاص في الجنة،وسعيد بن زيد في الجنة ،وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة »(١) .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أخبر أنه توضأ في بيته ، ثم خرج ، فقال : لألزَمَنَّ رسول الله ﷺ ولأكونن معه يومي هذا، قال : فجاء المسجد، فسأل عن رسول الله ﷺ ؟ فقالوا: خرج وَجْهَ هاهنا ، قال: فخرجت على أثره ،أسأل عنه حتى دخل بئر أريس ، قال : فجلست عند الباب - وبابها من جريد - حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته، وتوضأ، فقمت إليه، فإذا هو قد جلس على بئر أريس، وتوسَّط قُفّها(٢)، وكشف عن ساقيه، ودلاهما في البئر، قال: فسلمت عليه، ثم انصرفت، فجلست عند الباب، فقلت: لأكونن بوّاب رسول الله ﷺ اليوم ، فجاء أبو بكر فدفع الباب، فقلت: من هذا ؟ فقال :أبو بكر، فقلت: على رسلك، قال: ثم ذهبت فقلت: يا رسول الله ، هذا أبو بكر يستأذن؟ فقال: « **ائذن له ،وبشره بالجنة**» فأقبلتُ حتى قلت لأبي بكر: ادخل، ورسول الله ﷺ يبشِّرُك بالجنة، قال: فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القُفّ، ودلى رجليه في البئر، كما

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٧٤٨)في المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المبشرين بالجنة ،وهو في صحيح الجامع رقم (٥٠).

(٢) القف: ما ارتفع من متن الأرض ،وهو ها هنا : جدار مبنيٌ مرتفع حول البئر كالدكة، يتمكن الجالس عليه من الجلوس . قاله ابن الأثير في جامع الأصول .

صنع رسول اللـه ﷺ ،وكشف عن ساقـه،ثم رجعت فـجلست ،وقد تركت أخى يتوضأ،ويلحقنى، فـقلت: إن يرد الله بفلان ـ يعنى أخاه ـ خيراً يأت به، فإذا إنسانٌ يحرك البـاب،فقلت: من هذا؟ فقال : عمر ابن الخطاب،فقلت:على رسلك، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فسلّمت عليه،وقلت: هذا عمر يستأذن ؟ فقال :«**ائذن له وبشره بالجنة**»،فجئت عمر، فقلت : أذن،ادخل ،ويبشرك رسول الله ﷺ بالجنة. قال:فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ فـى القف عن يساره،ودلىّ رجليه فى البئر، ثم رجعت،فجلست،فقلت:إن يرد الله بفـلان خيراً ـ يعنى أخاه ـ يأت به، فجاء إنسان،فحرك الباب،فقلت:من هذا ؟ فقال:عثمان بن عفان، فقلت:على رسلك،قال:وجئت رسول الله ﷺ فـأخبرته فقال:« **ائذن له،وبشـره بالجنـة مع بلوى تصـبـه**»،قال:فجئت،فقلت:ادخل،ويبشّرك رسول الله ﷺ بالجنة بعـد بلوى تصيبك،قـال:فدخل فوجـد القفَّ قد مُلِىء فجلس وجاهه من الشق الآخر » [1]

قال سعيـد بن المسيب:فأولت ذلك قبورهم اجتـمعت ها هنا،وانفرد عثمان عنهم .

وعن عبـد الله بن مسـعود رضى الله عنه أن رسـول الله ﷺ قال:

(١) رواه البخارى رقم (٣٦٧٤) فى فضائل أصحاب النبى ﷺ باب قول النبى ﷺ، لو كنت متخذاً خليلاً،ومسلم رقم (٢٤٠٣) فى فضائل الصـحابة، باب من فضائل عثمان بن عفان رضى الله عنه ،والترمذى رقم (٣٧١١) فى المناقب.

«يطلعُ عليكم رجلٌ من أهل الجنـة،فاطَّلع أبو بكر،ثم قـال:يطلع عليكم رجل من أهل الجنة، فاطلع عمر »(١) .

مناقبه رضى الله عنه

* قال علماء السير :

شهد عمر بن الخطاب مع رسول الله ﷺبدراً، وأحداً، والخندق، وبيعة الرضوان، وخيبر، والفتح، وحنين، وغـيرها من المشاهد، وكان أشد الناس على الكفار، ولقد أثنى عليه النبيﷺ فى غير موضع ، ووضع ﷺ على صدره رضى الله عنه كثيراً من الأوسمة.

ففى مسند الإمام أحمد عن عقبة بن عامر ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لو كان من بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب** »(٢) .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه** »(٣).

---

(١) رواه الترمذى رقم (٣٦٩٥) فى المناقب ، باب مناقب عمر بن الخطاب ،ورواه الحاكم فى المستدرك، وصححه، ووافقه الذهبى ،ورواه أحمد فى المسند رقم (١٥٠٠٥).

(٢) رواه أحمد فى المسند رقم (١٧٣٣٦) وقال محققه : إسناده صحيح،والترمذى فى السنن رقم (٣٦٨٦) فى مناقب عمـر بن الخطاب ،وصححه شـيخنا الألبانى فى الصحـيحة رقم (٣٢٧) ،وهو فى صحيح الجامع (٥٢٨٤).

(٣) رواه أحمد فى المسند رقم (٥١٤٥،٩١٨٥، ٥٦٩٧)،والترمذى فى السنن رقم (٣٦٨٢) فى مناقب عمر بن الخطاب ،وهو فى صحيح الجامع رقم (١٧٣٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لقد كان فيمن قبلكم من الأمم ناسٌ محدَّثون من غير أن يكونوا أنبياء ،فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر** » [(١)].

قال ابن الأثير :

محدثون: أراد بقوله محدثون أقواماً يصيبون إذا ظنوا، وحدسُوا فكأنهم قد حُدِّثوه بما قالوا، وقد جاء في الحديث تفسيره« أنهم ملهمون» والملهم: الذي يُلقَى في نفسه الشيء، فيخبر به حَدْساً، وظناً، وفراسة، وهو نوع يختص الله به من يشاء من عباده الذي اصطفى، مثل عمر رضي الله عنه . أ.هـ[(٢)].

وقال الحافظ في الفتح :

محدثون: اختلف في تأويله فقيل: ملهم قاله الأكثر.

قالوا: المحدث بالفتح هو الرجل الصادق الظن، وهو من ألقى في روعه شيء من قبل الملأ الأعلى، فيكون كالذي حدثه غيره به .

وقيل من يجري الصواب على لسانه من غير قصد.

وقيل مكلم، أي تكلمه الملائكة بغير نبوة، وهذا ورد من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً، ولفظه « قيل يا رسول الله وكيف يحدث ؟

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٦٨٩) في الفضائل ، باب مناقب عمر بن الخطاب، ومسلم رقم (٢٣٩٨) في فضائل الصحابة ، باب من فضائل عمر بن الخطاب من حديث عائشة .

(٢) جامع الأصول (٨/ ٦١٠ / ٦٤٣٤).

قال: « تتكلم الملائكة على لسانه » رويناه فى « فوائد الجوهرى »وحكاه القابسى وآخرون ،ويؤيده ما ثبت فى الرواية المعلقة [١].

* وعن أبى هريرة رضى اللـه عنه قال : سـمـعت رسـول الله ﷺ يقول : « **بينا أنـا نائم رأيتنى علـى قليب [٢]عليها دَلْوٌ ، فنـزعت منها ما شاء الله،ثم أخذها ابن أبى قُحافة فنزع منها[٣] ذنوباً [٤] أو ذنوبين،وفى نزعـه ضـعف،والـله يغـفـر له،ثم اسـتـحـالت غَـرْباً[٥]،فـأخـذها ابن الخطاب،فلم أر عـبقـرياً من الناس ينزع نزع عـمـر،حتى ضـرب الناس بعطن[٦]** » [٧]

وفى رواية للبخـارى،أن رسول الله ﷺقال: «**بينا أنا نـائم رأيت أنى على حـوضى أسـقى الناس،فـأتانى أبو بكر،فـأخـذ الـدَّلْوَ من يدى ليـريحـنى،فنزع ذنوبين،وفى نَزْعِـهِ ضـعفٌ،والله يغـفـر لـه،فـأتى ابنُ**

---

(١) فتح البارى (٧/ ٦٢) العلمية .

(٢) القليب: البئر إذا لم تكن مطوية .

(٣) نزعت الدلو من البئر: إذا جذبتها ،واستقيت الماء بها .

(٤) الذَّنوب: الدلو العظيمة .

(٥) الغَرْب : الدلو العظيمة.

(٦) العطن: الموضع الذى تناخ فيه الإبل إذا رويت ، يقال:عطنت الإبل ،فهى عاطنة،والمراد بقوله :« حـتى ضرب الناس بعـطن» حتى رووا ،وأرْوَوْا إبلهم ، فـأبركوها،وضربـوا لها عطناً.

(٧) رواه البخارى رقم (٧٠٢٠، ٧٠٢١) فى التعبير ، باب نزع الذنوب والذنوبين من البئر بضعف،ومـسلم رقم (٢٣٩٢) فى فضـائل الصحابة، باب فى فـضائل عـمر بن الخطاب رضى الله عنه .

الخطاب،فأخذه منه،فلم يزل ينزع حتى تولى الناسُ،والحوض يتفجَّر».

وفى رواية لمسلم :

« فجاء ابن الخطاب،فأخذه منه،فلم أر نزع رجل قطُّ أقوى حتى تولى الناس،والحوض ملآن يتفجر»[1]

قال الحافظ[2]: [٥٧ / ٧]:

قال أبو عمر : وعبقرى القوم سيدهم ،وقيمهم ،وكبيرهم.

وقال الفرار: العبقرى السيد،والفاخر من الحيوان،والجوهر ،والبساط المنقوش.

---

(١) قال الحافظ ابن حجر :

قال النووى : قالوا هذا المنام مثال لما جرى للخليفتين من ظهور آثارهما الصالحة ،وانتفاع الناس بهما ،وكل ذلك مأخوذ من النبى ﷺ ، لأنه صاحب الأمر فقام به أكمل قيام،وقرر قواعد الدين ، ثم خلفه أبو بكر فقاتل أهل الردة ،وقطع دابرهم، ثم خلفه عمر فاتسع الإسلام فى زمنه ، فشبه أمر المسلمين بقليب فيه الماء الذى فيه حياتهم وصلاحهم وشبه بالمستقى لهم منها ،وسقيه هو قيامه بمصالحهم،وفى قوله :« ليريحنى» إشارة إلى خلافة أبى بكر بعد موت النبى ﷺ لأن فى الموت راحة من كدر الدنيا، وتعبها،فقام أبو بكر بتدبير أمر الأمة ومعاناة أحوالهم،وأما قوله:« وفى نزعه ضعف » فليس فيه حط من فضيلته ،وإنما هو إخبار عن حاله فى قصر مدة ولايته .

وأما ولاية عمر فإنها لما طالت كثر انتفاع الناس بها ،واتسعت دائرة الإسلام بكثرة الفتوح،وتمصير الأمصار ،وتدوين الدواوين.

وأما قوله :« والله يغفر له » فليس فيه نقص له،ولا إشارة إلى أنه وقع منه ذنب ،وإنما هى كلمة كانوا يقولونها يدعمون بها الكلام ،وفى الحديث إعلام بخلافتهما،وصحة ولايتهما،وكثرة الانتفاع بهما [فتح البارى (٥١١ / ١٢)].

(٢) فتح البارى (٥٧ / ٧) العلمية .

وقيل منسوب إلى عبقر موضع بالبادية.

وقيل قرية يعمل فيها الثياب البالغة الحسن.

وقيل: نسبة إلى أرض تسكنها الجن، تضرب بها العرب المثل فى كل شىء عظيم قاله أبو عبيدة.

قال ابن الأثير:

فصاروا كلما رأوا شيئاً غريباً مما يصعب عمله، ويدق أو شيئاً عظيماً فى نفسه نسبوه إليها فقالوا: عبقرى، ثم اتسع فيه حتى سمى به السيد الكبير.

* وفى مسند الإمام أحمد بسند حسن عن الأسود بن سريع قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت:

يا رسول الله إنى قد حمدت ربى تبارك وتعالى بمحامد، ومدح، وإياك فقال رسول الله ﷺ:

« أما إن ربك تبارك وتعالى يحب المدح ، هات ما امتدحت به ربك »
قال: فجعلت أنشده فجاء رجل فاستأذن، أدلم (أى أسود طويل) أصلع أعسر أيسر.

قال: فاستنصتنى له رسول الله ﷺ، ووصف لنا أبو سلمة كيف استنصته قال: كما صنع بالهر، فدخل الرجل فتكلم ساعة، ثم خرج، ثم

أخذت أنشده أيضاً، ثم رجع بعد فاستنصتني رسول الله ﷺ - ووصفه أيضاً - فقلت: يا رسول الله من ذا الذي استنصتني له ؟

فقال: « **هذا رجل لا يحب الباطل ، هذا عمر بن الخطاب** » (١).

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

صعد النبي ﷺ أحداً، ومعه أبو بكر، وعمر، وعثمان، فرجف بهم ، فضربه برجله.

وقال: «**اثبت أحد، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيدان**»(٢).

* وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« **بينا أنا نائم، رأيتُ الناس عُرِضوا عليّ، وعليهم قُمُصٌ (جمع قميص) فمنها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعُرض على عمر، وعليه قميص اجترّه. قالوا: فما أولته يا رسول الله ؟**

---

(١) رواه أحمد في « المسند» رقم (١٥٥٢٢)، ١٥٥٢٧)، وقال محققه: إسناده حسن، ورواه الطبراني في الكبير، حديث رقم (٨٤٢، ٨٤٣)، والبيهقي في الشعب. وليس معنى قوله أن عمر لا يحب الباطل والنبي ﷺ يحب الباطل، بل إنه لا يحب لأحد أن يفعل اللهو أمام رسول الله ﷺ ، ولكنه لهو مباح، أي قول الشعر، ولو لم يكن مباحاً لما استمع إليه رسول الله ﷺ .

(٢) رواه البخاري رقم (٣٦٨٦) في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب لو كنت متخذا خليلاً، وأبو داود رقم (٤٦٥١) في السنة ، باب في الخلف، والترمذي رقم (٣٦٩٧) في المناقب ، باب مناقب عثمان بن عفان.

قال: **الدين**[١]»[٢] .

* وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بينما راع فى غنمه عدا عليه الذئب فأخذ شاة، فطلبه الراعى، فالتفت إليه الذئب، فقال: من لها يوم السبع، يوم ليس لها راع غيرى؟ وبينما رجلٌ يسوق بقرة قد حمل عليها. فالتفتت إليه فكلمته فقالت: إنى لم أُخلق لهذا، ولكنى خُلقت للحرث. فقال الناس: سبحان الله! قال النبى ﷺ: فإنى أومن بذلك، وأبو بكر، وعمر رضى الله عنهما**»

* وعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال:

« **إن أهل الدرجات العُلى ليراهم من تحتهم، كما تَرَوْن النَّجْمَ الطالع فى أفق السماء، وإن أبا بكر، وعمر منهم، وأنعمَا**»[٣].

* وعن أنس بن مالك أيضاً أن رسول الله ﷺ قال لأبى بكر، وعمر

---

(١) **قال الحافظ فى الفتح**: وقد استشكل هذا الحديث، بأنه يلزم منه أن عمر أفضل من أبى بكر الصديق، والجواب عنه تخصيص أبى بكر من عموم قوله « عرض على الناس» فلعل الذين عرضوا إذ ذاك لم يكن فيهم أبو بكر، وأن كون عمر عليه قميص يجره، لا يستلزم أن لا يكون على أبى بكر قميص أطول منه وأسبغ، فلعله كان كذلك، إلا أن المراد كان حينئذ بيان فضيلة عمر فاقتصر عليها، والله أعلم أ هـ(فتح البارى ٧/٦٤).

(٢) رواه البخارى رقم (٣٦٩١) فى الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فى الأعمال، ومسلم رقم (٢٣٩٠) فى الرؤيا، باب ما جاء فى رؤيا النبى ﷺ اللبن، والقمص، والنسائى (٨/ ١١٨) فى الإيمان .

(٣) رواه أبو داود رقم (٣٩٨٧) فى الحروف والقراءات، والترمذى رقم (٣٦٥٩) فى المناقب، باب مناقب أبى بكر الصديق رضى الله عنه، وهو فى صحيح الجامع رقم (٢٠٣٠)

: «هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين، والآخرين إلا النبيين والمرسلين ، لا تخبرهما يا عليُّ»[١]

* وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ:

«إنى لا أدرى ما بقائى فيكم ؟ فاقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر، وعمر »[٢].

* وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ :

«نعم الرَّجُلُ أبو بكر، نعم الرجل عمر، نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح نعم الرجل أسيد بن حضير، نعم الرجل ثابت بن قيس بن شمَّاس، نعم الرجل معاذ بن جبل، نعم الرجل معاذ بن عَمْر بن الجموح[٣].

---

(١) رواه الترمذى رقم (٣٦٦٦) فى المناقب، باب مناقب أبى بكر الصديق، وصححه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى (٢٧٩٨).

(٢) رواه الترمذى رقم (٣٦٦٣، ٣٦٦٤) فى المناقب ، باب مناقب أبى بكر الصديق، وصححه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى (٢٨٩٥).

(٣) رواه الترمذى رقم (٣٧٩٧) فى المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل، وأبى بن كعب، وأبى عبيدة رضى الله عنهم، وصححه شيخنا الألبانى فى الصحيحة (٨٧٥)، وهو فى صحيح الجامع رقم(٦٧٧٠).

* وعن سالم عن أبيه قال:

رأى النبى ﷺ على عمر ثوباً (وفى رواية: قميصاً أبيض)

فقال: « **أجديد ثوبك أم غسيل ؟** »

فقال: بل غسيل، فقال: « **البس جديداً، وعش حميداً، ومت شهيداً** » [١].

*وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: « **أرحم أمتى بأمتى أبو بكر، وأشدهم فى أمر الله عمر، وأشدهم حياءً عثمان، وأقضاهم على وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أبى بن كعب، ولكل قوم أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة ابن الجراح، وما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبى ذر، أشبه عيسى عليه السلام فى ورعه** ».

قال عمر: أفنعرف له ذلك يا رسول الله ؟

قال: « نعم فاعرفوا له » [٢]

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٢٠٣٨٢) ، وأحمد فى المسند رقم (٥٦٢٠) ، وحسنه شيخنا الألبانى فى الصحيحة رقم (٣٥٢)، وهو فى صحيح الجامع رقم (١٢٣٤).

(٢) رواه الترمذى رقم (٣٨٠٤) فى المناقب ، باب مناقب أبى ذر رضى الله عنه ، وهو فى صحيح الجامع.

رجلٌ يخاف منه الشيطان ويهرب

إن الفاروق عمر رضى الله عنه كان له من الهيبة والجلال فى قلوب الناس ما كان معروفاً مشهوراً.. لا عجب فى ذلك، لكن العجب والأعجب أن يهابه الشيطان بل ويهرب منه .

عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال:

استأذن عمرُ على النبى ﷺ، وعنده نسوة من قريش يُكلِّمنه - وفى رواية: يسألنه، ويستكثرنه - عالية أصواتُهنَّ على صوته ، فلما استأذن عمر قمن يَبْتَدِرْنَ الحجاب، فأذن له النبى ﷺ، فدخل عمر، والنبى ﷺ يضحك، فقال عمر: أضحك الله سِنَّك[1] ، بأبى، وأمى ما أضحكك؟

قال : « **عجبت من هؤلاء اللاتى كُنَّ عندى، فلما سَمِعْنَ صوتك ابتدرن الحجاب** » .

قال عمر : فأنت يا رسول الله لأحق أن يَهَبْنَ، ثم قال : أى عدوات أنفسهنَّ، أتهبننى، ولا تهبن النبى ﷺ ؟

قلن : نعم، أنت أفظ، وأغلظ[2] من النبى ﷺ

---

(١) **قال الحافظ فى الفتح** : لم يرد به الدعاء بكثرة الضحك، بل لازمه ،وهو السرور، أو نفى ضد لازمه ،وهو الحزن (الفتح ٥٨ / ٧).

(٢) **قال الحافظ فى الفتح** : أفعل تفضيل من الفظاظة، والغلظة ،وهو يقتضى الشركة فى أصل الفعل، ويعارض قوله تعالى :﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ فإنه يقتضى أنه لم يكن فظاً ،ولا غليظاً (انظر الفتح ٥٨ / ٧).

فقال رسول الله ﷺ :

« **إيه**[(١)] **يا ابن الخطاب،والذى نفسى بيده،ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك**»[(٢)] . . الله أكبر.

الفج: المسلك والطريق .

قال النووى فى شرح مسلم:

هذا الحديث محمول على ظاهره،أن الشيطان متى رأى عمر سالكاً فجًا هرب هيبة من عمر،وفارق ذلك الفج،وذهب من فج آخر لشدة خوفه من بأس عمر أن يفعل فيه شيئاً

أ. هـ[(٣)].

وذكر الحافظ ابن حجر أقوالاً،ثم قال:

ولا يلزم من ذلك ثبوت العصمة له،لأنها فى حق النبى ﷺ واجبة،وفى حق غيره ممكنة. أ. هـ[(٤)].

* وعن بريدة رضى الله عنه قال :

« خرج رسول الله ﷺ فى بعض مغازيه،فلما انصرف جاءت

---

(١) بالكسر ،والتنوين معناها : حدثنا ما شئت ،وبغير تنوين زدنا مما حدثتنا .
(٢) رواه البخارى رقم (٣٦٨٣) فى فضائل أصحاب النبى ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب، رضى الله عنه ،ومسلم رقم (٢٣٩٦) فى فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر بن الخطاب رضى الله عنه .
(٣) مسلم بشرح النووى (١٨٠ / ٧) ط . دار الحديث القاهرة .
(٤) فتح البارى (٧/٥٨).

جُوَيْرية سوداءٌ فقالت: إنى كنت نذرت إن ردَّك الله سالماً أن أضرب بين يديك بالدّف، وأتغنَّى، فقال لها: «**إن كنت نذرت فاضربى، وإلا فلا**». فقالت: نذرتُ، وجَعَلَتْ تضربُ فدخل أبو بكر وهى تضرب، ثم دخل علىّ وهى تضرب، ثم دخل عثمان وهى تضرب، ثم دخل عمر، فألقت الدف تحت إستها وقعدت عليه، فقال رسول الله ﷺ:

«**إن الشيطان ليخاف منك يا عمر، إنى كنت جالساً، وهى تضرب، فدخل أبو بكر وهى تضرب، ثم دخل على وهى تضرب، ثم دخل عثمان وهى تضرب، فلما دخلت أنت يا عمر، ألقت الدف، وجلست عليه**»[1].

* وعن عائشة رضى الله عنها قالت:

كان رسول الله ﷺ جالساً، فسمعنا لغطاً، وصوت صبيان، فقام النبى ﷺ، فإذا حبشية تزفن[2] والصبيان حولها.

فقال: «**يا عائشة تعالى فانظرى**» فجئت فوضعت لحى على منكب رسول الله ﷺ فجعلت أنظر إليها ما بين المنكب إلى رأسه، فقال لى: «**أما شبِعْتِ؟ أما شبعت؟**»

قالت: فجعلت أقول: لا، لأنظر منزلتى عنده، إذ طلع عمر،

---

(١) رواه الترمذى رقم (٣٦٩١) فى المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) تزفن: الزفن: الرقص، ورجل زفَّافٌ: رجلٌ رقاص.

قالت: فارفَضَّ [1] الناس عنها، قالت: فقال رسول الله ﷺ: « **إنى لأنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فرّوا من عمر، قالت : فرجعت** »[2].

***

(1) ارفَضَّ القوم : أى تفرقوا.

(2) رواه الترمذى رقم (٣٦٩١) فى المناقب ، باب مناقب عمر بن الخطاب . وصححه شيخنا فى صحيح سنن الترمذى رقم (٢٩١٤) .

موافقات عمر لربه عز وجل

لم تقف عبقرية هذا الرجل عند أعماله الجليلة التى تنطق بها كتب السير، والتاريخ، لكنها تعدت حدوداً لم تعرفها البشرية من قبل إذ وافقه ربه جل وعلا، فأنزل القرآن على وفق ما رأى بشكل غير مسبوق حتى أن ابن عمر قال: ما نزل بالناس أمرٌ قط فقالوا فيه، وقال فيه عمر إلا نزل القرآن فيه على نحو ما قال عمر .

وعَدَّ ابن حجر ما وافق فيه رب العزة رأى عمر فوجدها خمسة عشر، وإليك بعض موافقاته رضى الله عنه .

عن أنس رضى الله عنه قال عمر:

وافقت ربىِّ فى ثلاث[1]: فقلت يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مُصَلَّى فنزلت: **﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾**، وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يُكلِّمهُنَّ

(١) قال الحافظ فى الفتح : قوله (وافقت ربى فى ثلاث) أى وقائع ، والمعنى وافقنى ربى فأنزل القرآن على وفق ما رأيت، لكن لرعاية الأدب أسند الموافقة إلى نفسه ، أو أشار به إلى حدوث رأيه ، وقدم الحكم، وليس فى تخصيصه العدد الثلاث ما ينفى الزيادة عليها، لأنه حصلت له الموافقة فى أشياء ، غير هذه من مشهورها قصة أسارى بدر ، وقصة الصلاة على المنافقين .

ثم قال رحمه الله: وأكثر ما وقفنا منها بالتعيين على خمسة عشر، لكن ذلك بحسب المنقول أ.هـ(فتح ٦٦٥ / ١).

البَرُّ والفاجر، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبى ﷺ فى الغيرة عليه. فقلت لهن: عسى ربُّه إن طلّقكُنَّ أن يُبَدِّله أزواجاً خيراً منكنَّ، فنزلت هذه الآية[١].

وفى رواية مسلم قال:

«وافقت ربى فى ثلاث: فى مقام إبراهيم، وفى الحجاب، وفى أسارى بدر»[٢]

وفى صحيح البخارى ومسلم، عن عائشة: أن أزواج النبى ﷺ كن يخرجن بالليل إذا تبرَّزْن إلى المناصع - وهو صعيد أفيح - فكان عمر يقول للنبى ﷺ: احجب نساءَك، فلم يكن رسول الله ﷺ يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبى ﷺ ليلة من الليالى عشاءً، وكانت امرأة طويلة، فناداها عمر: ألا قد عرفناك يا سودة. حرصا على أن ينزل الحجاب، فأنزل الله آية الحجاب[٣].

وفى صحيح مسلم عن ابن عباس قال: حدثنى عمر بن الخطاب

---

(١) رواه البخارى رقم (٤٠٢) فى الصلاة باب ما جاء فى القبلة، ورواه أحمد فى «المسند» رقم (١٥٧، ١٦٠، ٢٥٠)، ورواه النسائى فى «الكبرى» (١٣/٨)، وابن ماجة فى الصلاة، باب القبلة.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٣٩٩) فى فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضى الله عنه.

(٣) رواه البخارى رقم (١٤٦) فى الوضوء، باب خروج النساء إلى البراز، ومسلم رقم (٢٣٧٠) فى السلام، باب إباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الإنسان، ورواه أيضاً أحمد فى «المسند» رقم (٢٥٧٤٢، ٢٦٢٠٩).

قال: لما كان يوم بدر، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين، وهم ألف، وأصحابه وهم ثلثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل النبي ﷺ القبلة، ثم مدَّ يديه فجعل يهتف بربه: « **اللهم أنجز لي ما وعدتني. اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام، لا تعبد في الأرض** » فمازال يهتف بربه ماداً يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداءه عن منكبيه. فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله! كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله عز وجل:

﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ** ﴾ [الأنفال: ٩]

فأمده الله بالملائكة. قال ابن عباس: بينما رجلٌ من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضَرْبَةً بالسَّوط فَوْقَهُ، وصوت الفارس يقول: أَقْدِم حَيْزُوم. فنظر إلى المشرك أمامه فخرَّ مستلقياً، فنظر إليه فإذا هو قد خُطِمَ أَنْفُهُ، وشُقَّ وجْهُه كَضَرْبَة السَّوْط، فاخْضَرَّ ذلك أجمع، فجاء الأنصاري، فحدَّث بذلك رسول الله ﷺ فقال: « **صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة** » فقتلوا يومئذ سبعين، وأسروا أربعين: قال ابن عباس: فلما أسروا الأسارى، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: « **ما ترون في هؤلاء الأسارى؟** ».

فقال أبو بكر: يا نبى الله ! هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام .

فقال رسول الله ﷺ: « **ما ترى يا ابن الخطاب؟** »

قلت: لا . والله ! يا رسول الله، ما أرى الذى رأى أبو بكر، ولكنى أرى أن تمكّنا فنضرب أعناقهم، فتُمكن علياً من عقيل، فيضرب عنقه، وتمكنىّ من فلان (نسيباً لعمر) فأضرب عنقه ، فإن هؤلاء أئمة الكفر، وصناديدُها .

فَهَوِىَ رسول الله ما قال أبو بكر، ولم يَهْوَ ما قلت، فما كان من الغد جئتُ فإذا رسول الله ﷺ، وأبو بكر قاعدين يبكيان .

فقلت : يا رسول الله! أخبرنى من أى شيىء تبكى أنت وصاحبك فإن وجدت بكاءً بكيت ، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما .

فقال رسول الله ﷺ : أبكى للذى عرض علىّ أصحابك من أخذهم الفداء . لقد عُرض علىّ عذابُهُمْ أدنى من هذه الشجرة» (شجرة قريبة من نبى الله ﷺ) وأنزل الله عز وجل : **﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾** إلى قوله **﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّبًا﴾** [الأنفال : ٦٧ ـ ٦٩] فأحل الله الغنيمة لهم »[1] .

---

(١) رواه مسلم رقم (١٧٦٣) فى الجهاد والسير باب كيفية قسمة الغنيمة بين الحاضرين، ورواه أيضاً أحمد فى « المسند» رقم (٢٠٨، ٢٢١)، والترمذى (٣٠٨١)فى تفسير القرآن، وأبو داود مختصراً رقم (٢٦٩٠) فى الجهاد.

*** وفي البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال :** لما مات عبد الله بن أُبي بن سلول دُعي له رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فلما قام رسول الله ﷺ وثَبْتُ إليه، فقلت: يا رسول الله أتُصلي على ابن أُبيّ، وقد قال يوم كذا ، وكذا : كذا وكذا ! أُعَدِّدُ عليه قوله، فتبسم رسول الله ﷺ وقال : أخِّر عني يا عمر.

فلما أكثرت عليه قال : إني خُيِّرتُ فاخترت لو أعلم أني زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها، قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ، ثم انصرف، فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة : **﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ـ إلى ـ وهم فاسقون﴾** .

قال: فعجبت بعدُ من جُرأتي على رسول الله ﷺ يومئذ ، والله ورسوله أعلم[1].

(١) رواه البخاري رقم (١٣٦٦) في الجنائز، باب ما يكره من الصلاة على المنافقين، والاستغفار للمشركين ، ومسلم رقم (٢٤٠٠) في فضائل الصحابة باب من فضائل عمر بن الخطاب.

موافقات عمر لرسول الله ﷺ

ففى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

كنا قعوداً حول رسول الله ﷺ ،ومعنا أبو بكر وعمر فى نفر فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا فأبطأ علينا ،وخشينا أن يقتطع دوننا،وفزعنا فقمنا فكنت أول من فَزِعَ فخرجت ابتغى رسول الله ﷺ، حتى أتيت حائطاً للأنصار لبنى النجار، فدُرت به هل أجد له باباً ، فلم أجد ، فإذا ربيع يدخل فى جوف حائطٍ من بئر خارجة (والربيع الجدول) فاحتفزت كما يحتفز الثعلب.

فدخلت على رسول الله ﷺ ، فقال :« **أبو هريرة ؟**» فقلت : نعم يا رسول الله . قال :« **ما شأنك؟**» قلت : كنت بين أظهرنا ، فقمت فأبطأت علينا فخشينا أن تقطتع دوننا،ففزعنا،فكنت أوَّل من فزع ، فأتيت هذا الحائط فاحتفزت كما يحتفز الثعلب،وهؤلاء الناس ورائى . فقال :« **يا أبا هريرة !** (وأعطانى نعليه) قال:« **اذهب بنعلى هاتين ، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله. مستيقناً بها قلبه،فبشره بالجنة**»، فكان أوَّل من لقيت عمر،فقال:ما هاتان النعلان يا أبا هريرة !.

فقلت : هاتان نعلا رسول الله ﷺ وبعثنى بهما . من لقيت يشهد

أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه، بشرتُهُ بالجنة . فضرب عمر بيده بين ثَدْيَّى ، فَخَرَرْتُ لإستِى . .

فقال : ارجع يا أبا هريرة ، فرجعت إلى رسول الله ﷺ ، فأجهشت بكاءً ،وركبى عمر (أى تبعنى ،ومشى خلفى فى الحال بلامهلة) فإذا هو على أثرى .

فقال لى رسول الله ﷺ : «**مالك يا أبا هريرة ؟**»

قلت : لقيت عمر فأخبرته بالذى بعثتنى به . فضرب بين ثديى ضربةً ، خررت لإستى . قال : ارجع .

فقال له رسول الله ﷺ :« **يا عمر ! ما حملك على ما فعلت؟** »

قال : يا رسول الله ! بأبى أنت وأمى، أبعثت أبا هريرة بنعليك ، من لقى يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه . بَشَّرَهُ بالجنة ؟

قال :« **نعم**» .

قال: فلا تفعل، فإنى أخشى أن يتكل الناس عليها، فَخَلِّهم يعملون.

قال رسول الله ﷺ :« **فخلهم**»[1]

وفى البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال :

لما كانت غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة فقالوا :

يا رسول الله ، لو أذنت لنا ذبحنا نواضحنا، فأكلنا، وأدهنَّا، فقال

(١) رواه مسلم رقم (٣) فى الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة.

لهم رسول الله ﷺ : « افعلوا».

قال: فجاء عمر فقال: يا رسول الله إنهم إن فعلت قَلَّ الظَّهْر، ولكن ادعهم فليأتوا بفضل أزوادهم، ثم ادع لهم عليها بالبركة لعل الله عز وجل أن يجعل فى ذلك .

فقال رسول الله ﷺ: نعم فدعا رسول الله ﷺ بنطع فبسطه، ثم دعا بكسرة حتى اجتمع من ذلك على النطع شيء يسير، ثم دعا ﷺ بالبركة، ثم قال خذوا فى أوعيتكم، فأخذوا فى أوعيتهم حتى ما تركوا فى المعسكر وعاء إلا ملأوه ، فأكلوا حتى شبعوا ،وفضلت فضلة.

فقال رسول الله ﷺ: « **أشهد أن لا إله إلا الله،وأشهد أنى رسول الله ، لا يلقى الله بها عبدٌ غير شاكٍ فيحجَبَ عن الجنة** »[1]

---

(١) أخرجه البخارى رقم (٢٩٨٢) فى الجهاد ، باب حمل الزاد فى الغزو ،ومسلم رقم (٢٧) فى الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد.

موافقات عمر لأبي بكر

عن عبيدة قال : جاء عيينة بن حصن ،والأقرع بن حابس إلى أبى بكر رضوان الله عليه فقالا: يا خليفة رسـول الله إن عندنا أرضاً سبخة فيها كلأ، ولا منفعة فإن رأيت أن تقطعنا لعلنا نحرثها، أو نزرعها لعل الله أن ينفع بها بعد اليوم.

فقال أبو بكر لمن حوله: مـا تقولون، فيما قالا، إن كانت أرضـاً سبخة لا ينتفع بها؟

قالوا: نرى أن تقطعهما إياها، لعل الله ينفع بهـا بعد اليوم، فأقطعهما إياها ،وكتب لهما كتاباً بذلك. قال: وأشْهَدا عمر ،وليس فى القوم.

فانطلقا إلى عمر يُشهدانه فوجداه قائماً يهنأ بعيراً له .

فقـالا: إن أبا بكر قال: أشهـد بما فى هذا الكتاب، فليـقرأ عليك أو تقرأ ؟

فقال: أنا على الحال الذى تريانى فإن شئتمـا فاقرأ، وإن شئتما فانتظرا حتى أفرغ فأقرأ عليكما.

قالا: بل نقرأ ، فلـما سمع ما فى الكتاب تناوله مـن أيديهما ، ثم تفل عليه فمحاه فقال: إن رسول الله ﷺ كان يتألفكما، والإسلام يومئذ ذليل وإن الله قـد أعز الإسلام فـاذهبا، فـاجهدا جـهدكمـا لارعى الله

عليكما إن رعيتما .

قال: فأقبلا إلى أبى بكر وهما يتذمران فقالا: والله ما ندرى أنت الخليفة أم عمر فقال: لا بل هو، لو كان شاء. قال: فجاء عمر، وهو مغضب فوقف على أبى بكر فقال: أخبرنى عن هذه الأرض التى قطعتها هذين ، أرض هى لك أم للمسلمين عامة ؟

فقال: بل للمسلمين عامة .

فقال: ما حملك على أن تخص بها هذين ؟!

قال: استشرت هؤلاء الذين حولى فأشاروا على بذلك .

قال: فإذا استشرت هؤلاء الذين حولك فكل المسلمين أوسعتهم مشورة ، ورضى، فقال أبو بكر: كنت قلت لك إنك أقوى على هذا منى، ولكن غلبتنى[1] .

---

(1) أخرجه ابن أبى شيبة ، والبخارى فى تاريخه ، وابن عساكر ، والبيهقى .

مواقف مع رسول الله ﷺ

كان عمر ثانى الصحـابة، وكان شيخ المسلمين بعد أبى بكر، وكان فى صحبته لرسول الله ﷺ مثال التلميذ الجرىء القوى المطيع !!

وكان الله قد أمـر الرسول أن يشاور أصحابه فى الأمـر، فكان عمر يمثل جانب الصرامة فى إقامة الحق، والحزم فى تدبير الأمور.

وكان قـد أحسَّ من رسول الله ﷺ ارتيـاحاً إلى سـماع رأيه فكان يعرضـه كلما رأى فى عـرضه رضا الله ، ومـنفعة للمـسلمين ، ولطالما اقترح أشياء ، أو رأى آراء فنزل الوحى بها[1] .

وهذه مواقف مع رسول الله ﷺ ، تظهـر فيها شخـصية هذا الرجل ، وعبقرية الفاروق .

« يـوم أحـد »

فـفى البـخارى عن البـراء بن عـازب رضى الله عنه ، لما كـان يوم أحد، وخالف الرماة أمر رسول الله ﷺ وأصيب سبعون قتيلاً .

قال : أشرف أبو سفيان فقال : أفى القوم محمد ؟

فقال ﷺ : « لا تجيبوه».

---

(١) أخبار عمر (ص٢٧).

فقال : أفى القوم ابن أبى قحافة ؟

قال : «**لا تجيبوه** ».

فقال: أفى القوم ابن الخطاب ؟ فقال: إن هؤلاء قتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يملك عمر نفسه فقال: كذَبْتَ يا عدو الله، أبقى الله عليك ما يخزيك. قال : اعلُ هُبَل (أى ظهر دينك)

فقال النبى ﷺ: « **أجيبوه**» قالوا : ما نقول ؟

قال: « **قولوا: الله أعلى وأجَلّ**» .

قال أبو سفيان : لنا العُزَّى ، ولا عُزى لكم .

فقال النبى ﷺ : « **أجيبوه** ».

قالوا : ما نقول ؟ قال: « **قولوا: الله مولانا ، ولا مولى لكم** » [1]

عمر وأبو سفيان

عن ابن عباس رضى الله عنهما، لما اتجه النبى ﷺ لفتح مكة، وأشرف على دخولها، قال: لما نزل رسول الله ﷺ مرَّ الظهران، قال العباس بن عبد المطلب، وقد خرج رسول الله ﷺ من المدينة: يا صباح قريش ! والله لئن بَغَتها رسول الله فى بلادها، فدخل مكة عنوة إنه لهلاكُ قريش آخر الدهر !

(١) رواه البخارى رقم (٤٠٤٣) فى المغازى ، باب غزوة أحد .

فجلس على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، وقال : أخرج إلى الأراك لعلى أرى حطاباً، أو صاحب لبن، أو داخلاً يدخل مكة، فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ، فيأتونه فيستأمنونه، فخرجت، فوالله إنى لأطوف فى الأراك ألتمس ما خرجت له، إذ سمعت صوت أبى سفيان بن حرب، وحكيم بن حزام، وبُديل بن ورقاء، وقد خرجوا يتحسسوا الخبر عن رسول الله ﷺ، فسمعت أبا سفيان وهو يقول: والله ما رأيت كاليوم قط نيراناً ! .

فقال بديل : هذه والله نيران خزاعة ، حَمَشَتْها الحرب !

فقال أبو سفيان : خُزاعة ألأم من ذلك وأذلُّ ! فعرفت صوته ، فقلت: يا أبا حنظلة !فقال: أبو الفضل ؟! فقلت: نعم، فقال: لبيك فداك أبى وأمى ! فما وراءك ؟ فقلت: هذا رسول الله ﷺ ورائى قد دلف إليكم بما لا قبل لكم به، بعشرة آلاف من المسلمين . قال : فما تأمرنى؟ فقلت: تركب عجز هذه البغلة، فأستأمن لك رسول الله ﷺ فوالله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فردفنى، فخرجت به أركُض بغلة رسول الله ﷺ نحو رسول الله ﷺ، فكلما مررت بنار من نيران المسلمين، ونظروا إلىّ، قالوا: عمُّ رسول الله ﷺ على بغلة رسول الله ﷺ ، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب . فقال: أبو سفيان ؟! الحمد لله الذى أمكن منك بغير عَقْدٍ، ولا عهد، ثم اشتد نحو النبى ﷺ وركضت البغلة، وقد

أردفت أبا سفيان، حتى اقتحمت على النبى ﷺ باب القبّة، وسبقت عمر بما تسبق به الدابة البطيئة الرجل البطىء، فدخل عمر على رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله، هذا أبو سفيان عدو الله، قد أمكن الله منه بغير عهد، ولا عقد، فدعنى أضرب عنقه .

فقلت: يا رسول الله، إنى قد أجرته ! ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه، فقلت: والله لا يناجيه اليوم أحدٌ دونى ! فلما أكثر فيه عمر .

قلت: مهلاً يا عمر ! فوالله ما تصنع هذا إلا لأنه رجل من بنى عبد مناف، ولو كان من بنى عدى بن كعب ما قلت هذا .

فقال: مهلاً يا عباس ! فوالله لإسلامُك يوم أسلمت كان أحب إلىّ من إسلام الخطاب لو أسلم ! وذلك لأنى أعلم أن إسلامك كان أحبَّ إلى رسول الله من إسلام الخطاب لو أسلم.

فقال رسول الله ﷺ: اذهب فقد آمناه حتى تغدوا به علىّ بالغداة.

فرجع به إلى منزله فلما أصبح غدا به على رسول الله ﷺ، فلما رآه قال: ويحك أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟!

فقال: بأبى أنت، وأمى، ما أوصلك، وأحلمك، وأكرمك ! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عنى شيئاً .

فقال: ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ﷺ !

فقال : بأبى أنت وأمى ، ما أوصلك ،وأحلمك ،وأكرمك! أما هذه ففى النفس منها شيء!

فقال العباس : فقلت له ويلك ! تَشَهَّد شهادة الحق قبل والله أن تُضْرب عنقك.

قال : فتشهد[1].

« أو تفعل حفصة ذلك ؟ »

فى البخارى من حديث عبد الله بن عباس قال: لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبى ﷺ اللتين قال الله تعالى لهما ﴿ **إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما** ﴾حتى حج فحججت معه فقلت له : يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبى ﷺ اللتان قال الله تعالى لهما :﴿ **إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما** ﴾؟

فقال: واعجبا لك يا ابن عباس هما عائشة، وحفصة، ثم استقبل عمر الحديث يسوقه فقال: إنى كنت أنا وجار لى من الأنصار من بنى أمية بن زيد، وهم من عوالى المدينة ،وكنا نتناوب النزول على النبى

(١) أخرجه ابن جرير فى تاريخه بسند فيه ضعف ،تاريخ الطبرى (١٥٧ / ٢) دار الكتب العلمية ط الثالثة.

ﷺ فينزل يوماً، وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته من خبر ذلك اليوم من الأمر وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك، وكنا معشر قريش نغلب النساء ، فلما قدمنا على الأنصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا ، يأخذن من أدب نساء الأنصار، فصخبت عليّ امرأتى فراجعتنى فأنكرت أن تراجعنى! فقالت: ولم تنكر أن أراجعك؟

فوالله ! إن أزواج النبى ﷺ ليراجعنه ، وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل، فأفزعنى ذلك فقلت لها: قد خاب من فعل ذلك منهن.

ثم جمعت عليّ ثيابى، فنزلت فدخلت على حفصة فقلت لها: أى حفصة أتغاضب إحداكن النبى ﷺ اليوم حتى الليل؟ قالت : نعم، فقلت: قد خبت ، وخسرت ، أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسول الله ﷺ فتهلكى؟لا تستكثرى النبى ﷺ (أى لا تطلبى منه الكثير) ولا تراجعيه فى شىء، ولا تهجريه ، وسلينى ما بدا لك، ولا يغرنَّك أن كانت جارتُك أوضأ منك (من الوضاءة والمراد أجمل)وأحَبَّ إلى النبى ﷺ ـ يريد عائشة ـ قال عمر : وكنا قد تحدثنا أن غسان تُنعلُ الخيل لتغزونا، فنزل صاحبى الأنصارى يوم نوبته، فرجع إلينا عشاءً، فضرب بابى ضرباً شديداً، وقال: أثم هو؟(أى فى البيت)، ففزعت فخرجت إليه، فقال: قد حدث اليوم أمر عظيم، قلت: ما هو ؟ أجاء غسان ؟ قال: لا بل أعظم من ذلك وأهول، طلق النبى ﷺ نساءه ـ أو قال: اعتزل

النبى ﷺ أزواجه ـ فقلت: خابت حفصة، وخسرت، وقد كنت أظن هذا يوشك أن يكون، فجمعت علىّ ثيابى ، فصليت صلاة الفجر مع النبى ﷺ، فدخل النبى ﷺ مشربةً له فاعتزل فيها، ودخلْتُ على حفصة فإذا هى تبكى، فقلت: ما يبكيك؟!! ألم أكن حذرتك هذا ؟!! أطلقكن النبى ﷺ ؟ قالت: لا أدرى، ها هو ذا معتزل فى المشربة، فخرجت فجئت المنبر فإذا حوله رهطٌ يبكى بعضهم ، فجلست معهم قليلاً، ثم غلبنى ما أجد، فجئت المشربة التى فيها النبى ﷺ، فقلت لغلام له أسود (اسمه رباح): استأذن لعمر، فدخل الغلام، فكلم النبى ﷺ ، ثم رجع فقال: كلمت النبى ﷺ وذكرتك له فصمت، فانصرفت حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر.

ثم غلبنى ما أجد ، فجئت فقلت للغلام : يا رباح استأذن لعمر : فدخل، ثم رجع فقال: قد ذكرتك له فصمت، فرجعت فجلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبنى ما أجد فجئت الغلام فقلت : استأذن لعمر ،وفى رواية: ثم رفعت صوتى فقلت: يا رباح استأذن لى فإنى أظن أن رسول الله ﷺ ظن أنى جئت من أجل حفصة ،والله لئن أمرنى بضرب عنقها لأضربن عنقها، فدخل الغلام، ثم رجع إلىّ فقال : قد ذكرتك له، فصمت.

فلما وليت منصرفاً ـ قال: إذا الغلام يدعونى ـ فقال: قد أذن لك

رسول الله ﷺ، فدخلت على رسول الله ﷺ، فإذا هو مضجع على رمال حصير(حصير منسوج) ليس بينه وبينه فراش، قد أثر الرِّمال بجنبه متكئاً على وسادةٍ من أدَمٍ حَشوُها ليف، فسلمت عليه، ثم قلت، وأنا قائم: يا رسول الله أطلقت نساءك ؟فرفع إلىّ بصره فقال: لا، فقلت: الله أكبر (وفى رواية أم سلمة عند ابن سعد: فكبر عمر تكبيرة سمعناها ، ونحن فى بيوتنا، فعلمنا أن عمر سأله أطلقت نساءك فقال: لا، فكبر حتى جاءنا الخبر بعد)

قال عمر : ثم قلت ، وأنا قائم استأنس :

يا رسول الله لو رأيتنى ، وكنا معشر قريش نغلب النساء ، فلما قدمنا المدينة إذا قومٌ تغلبهم نساؤهم، فتبسم النبى ﷺ.

ثم قلت : يا رسول الله لو رأيتنى، ودخلت على حفصة فقلت لها : لا يغرنَّك أن كانت جارتك أوضأ منك ، وأحبَّ إلى النبى ﷺ ـ يريد عائشة ـ فتبسم النبى ﷺ تبسُّمَةً أخرى، فجلست حين رأيته تبسم ، فرفعت بصرى فى بيته، فوالله ما رأيت فى بيته شيئاً يردُّ البصر غير أهبةٍ ثلاثة (جمع إهاب، وهو الجلد قبل الدباغ) .

فقلت: يا رسول الله ادعُ الله فَلْيُوسع على أُمَّتك، فإن فارس، والروم قد وُسِّعَ عليهم وأُعْطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله، فجلس النبى ﷺ وكان متكئاً فقال : أوفى هذا أنت يا ابن الخطاب ؟

(وعند مسلم قال: أوفى شك أنت يا ابن الخطاب؟)

إن أولئك قومٌ قد عُـجلوا طيباتهم فى الحياة الدنيـا، فقلت: يا رسول الله استغفر لى[١] .

* * *

---

(١) رواه البخارى رقم (٥١٩١) فى النكاح ، باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها ، ومسلم رقم (١٤٧٨) فى الطلاق ، باب بيـان أن تخـييـر امرأتـه لا يكون طلاقاً . راجع شـرح الحديث فى فتح البارى ففيه فوائد وجمل كثيرة من العلم .

هيبته رضي الله عنه

إن عمـر رضى الله عنه كان رجلاً مـهيبـاً، له هيبتـه فى القلوب وقد تقدمنا أن الشيطان يهابه رضى الله عنه بشهادة معلمه ﷺ، وإليك صوراً أخرى تظهر فيها شخصية هذا الرجل، وهيبته فى القلوب .

ففى مسند أبى يعلى الموصلى رحمه الله (٧/ ٤٤٩) بإسناد حسن :

عن عائشة رضى الله عنها قالت: أتيت النبى ﷺ بخزيرةٍ قد طبختها له، فـقلت لسودة، والنبى ﷺ بينى وبـينها: كُلى فـأبتْ، فقلت: لتـأكلن أولاَلَطِّخَنَّ وجهك، فَـأَبَتْ، فوضعت يدى فى الخَزِيرة فطليتُ وجـهها ، فـضحك النبى ﷺ، فـوضع بيده لـها، وقـال لها: « الطخى وجـهها» فضحك النبى ﷺ لها، فمر عُمر فقال: يا عبد الله، يا عبد الله، فظن أنه سيدخل فقال: «**قوما فاغسلا وجوهكما**» فقالت عائشـة: فمازلت أهاب عمر لهيبة رسول الله ﷺ .

وفى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

مكثت سنةً أريد أن أسأل عمر بن الخـطاب عن آية ، فما أستطيع أن أسأله هيبةً له، حتى خرج حاجاً فخرجت معه، فلما رجعت، وكنا ببعض الطريق عدل إلى الأراك لحاجـة له، قال: فوقفت له حـتى فَرَغَ ثم سرت

معه فقلت له : يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبى ﷺ من أزواجه، فقال: تلك حفصةُ وعائشةُ، قال: فقلت: والله إن كنت لأريد أن أسألك عن هذا منذ سنةٍ فما أستطيعُ هيبةً لك، قال: فلا تفعلْ ، ما ظننت أن عندى من علم فاسألنى، فإن كان لى علم خبَّرتك به . . »(١)

* قال الذهبى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

لما ولى عمر قيل له : لقد كاد بعض الناس أن يحيد هذا الأمر عنك. قال : وماذاك ؟

قال : يزعمون أنك فظٌ غليظ.

قال: الحمد لله الذى ملأ قلبى لهم رُحْماً، وملأ قلوبهم لى رعباً (٢).

* وفى الطبقات لابن سعد عن محمد بن زيد:

اجتمع علىّ، وعثمان، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف وسعد، وكان أجرأهم على عمر عبد الرحمن بن عوف فقالوا: يا عبد الرحمن، لو كلمت أمير المؤمنين للناس فإنه يأتى الرجل طالب الحاجة، فتمنعهُ هَيْبَتُك أن يكلمك فى حاجة حتى يرجع، ولم يقض حاجته.

فدخل عليه فكلمه فقال: يا أمير المؤمنين لِنْ للناس فإنه يَقْدم القادم

---

(١) رواه البخارى رقم (٤٩١٣) فى التفسير، باب قوله تعالى « تبتغى مرضاة أزواجك ، قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم».

(٢) سيرة الخلفاء للذهبى ص ٨٠ .

فتمنعه هيبتك أن يكلمك فى حاجته، حتى يرجع، ولم يُكلمك.

قال : يا عبد الرحمن أنشُدك الله أعليٌّ ، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد أمروك بهذا ؟

قال: اللهم نعم .

قال: يا عبد الرحمن، والله لقد لِنْتُ للناس حتى خشيت فى اللين، ثم اشتددت عليهم حتى خشيت الله فى الشدة، فأين الخروج؟ فقام عبد الرحمن يبكى يَجُرّ رداءه يقول بيده: أُفٍّ لهم بعدك، أُف لهم بعدك ![1].

وفى الطبقات أيضاً عن عكرمة:

أن حَجَّاماً كان يقُصّ عمر بن الخطاب، وكان رجلاً مهيباً فَتَنْحَنَح عمر فأحدث الحجَّام، فأمر له عمر بأربعين درهماً [2].

* * *

(١) الطبقات الكبرى (٢١٨ / ٣). بسند رجاله ثقات

(٢) الطبقات الكبرى (٢١٧ / ٣). بسند حسن .

موقفه رضي الله عنه عند وفاة النبي ﷺ

لما مات رسول الله ﷺ أظلمت المدينة.

يقول أنس : ما رأيت يوماً قط كان أحسن ، ولا أوضأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله ﷺ ، وما رأيت يوماً كان أقبح، ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله ﷺ [١].

وكان وقع الخبر أليماً على نفوس الصحابة طاشت فيه عقولهم ، فكان من موقف عمر رضى الله عنه أن وقف صارخاً يقول :

إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ - توفى، وإن رسول الله ﷺ ما مات، لكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات، والله ليرجعن رسول الله ﷺ فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم، يزعمون أنه مات[٢] .

وأقبل أبو بكر رضى الله عنه على فرس من مسكنه بالسُّنح حتى نزل، فدخل المسجد، فلم يكلم الناس، حتى دخل على عائشة فتيمم

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند رقم (١٣٣٣٦)، والترمذى رقم (٣٦٢٢) ، وابن ماجة رقم (١٦٣١)، وصححه ابن حبان (١٤ / ٦٦٣٤).

(٢) أخرجه ابن هشام فى السيرة عن ابن اسحاق بسند صحيح، وابن سعد فى الطبقات، وصححه ابن حبان (١٤ / ٦٦٢٠).

رسول الله ﷺ، وهو مغشى بثوب حبره، فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه، فقبله، وبكى، ثم قال: بأبى أنت وأمى، والله لا يجمع الله عليك موتين، أما الموتة الأولى التى كتبت عليك فقد متّها .

ثم خرج أبو بكر، وعمر يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه، وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد : من كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد الله ، فإن الله حى لا يموت .

قال الله ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤]

قال ابن عباس : والله لكأن الناس لما يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر [١]، فتلقاها منه الناس كلهم ، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها .

قال ابن المسيب:

قال عمر: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها ، فعُقِرت حتى ما تُقلُّنى رجلاى، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها ، علمت

---

(١) قال الحافظ فى الفتح معلقاً : وفيه بيان رجحان علم أبى بكر على عمر فمن دونه، وكذلك رجحانه عليهم لثباته فى مثل ذلك الأمر العظيم (فتح البارى ٧ / ٣٦).

أن النبى ﷺ قد مات [١].

تقول عائشة البليغة الفقيهة الرشيدة ، كلاماً نفيساً يدل على بعد نظرها رضى الله عنها : فما كان من خطبتهما (أبو بكر وعمر) من خطبة إلا نفع الله بها، لقد خوَّف عمرُ الناس، وإن فيهم لنفاقاً فردهم الله بذلك .

ثم لقد بصَّر أبو بكر الناس الهُدى، وعَرَّفهُمُ الحق الذى عليهم، وخرجوا به يتلون ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ - إلى - الشَّاكِرِينَ**﴾[٢].

ثم لما كان من الغد خطب عمر الناس.

ففى البخارى عن أنس بن مالك أنه سمع خطبة عمر الآخرة حين جلس على المنبر، وذلك الغد من يوم توفى النبى ﷺ فتشهد، وأبو بكر صامت لا يتكلم قال: كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا، يريد بذلك أن يكون آخرهم، فإن يك محمد ﷺ قد مات، فإن الله تعالى قد جعل بين أظهركم نوراً تهتدون به بما هدى الله محمداً ﷺ، وإن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ ثانى اثنين، فإنه أولى الناس

---

(١) أخرجه البخارى رقم (٤٤٥٢، ٤٤٥٣، ٤٤٥٤) من حديث عائشة ،وابن عباس فى المغازى ، باب مرض النبى ﷺ ووفاته .

(٢) أخرجه البخارى رقم (٣٦٦٩، ٣٦٧٠) فى فضائل أصحاب النبى ﷺ، باب قول النبى ﷺ« لو كنت متخذاً خليلاً ».

بأموركم، فقوموا فبايعوه، وكانت طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك فى سقيفة بنى ساعدة، وكانت بيعة الناس العامة على المنبر .

قال الزهرى عن أنس بن مالك: سمعت عمر يقول لأبى بكر يومئذ: اصعد المنبر، فلم يزل به حتى صعد المنبر فبايعه الناس عامة»[1].

* * *

(١) رواه البخارى رقم (٧٢١٩) فى الأحكام، باب الاستخلاف .

تـــواضــع الفـــاروق

لقد ضرب الفـاروق عمر أروع الأمثال فى تواضعـه الذى كان فريداً فى دنيا الناس بعد وفاة صاحبيه .

فها هو عمر فى مشهد يتلألأ سمواً، وروعة وجلالاً

يرقى الفاروق عمـر المنبر يوماً . . . جمع الناس، فـحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، لقد رأيتنى ومالى من أكال يأكُلهُ الناس إلا أن لى خالات مـن بنى مخـذوم، فكنت أستـعذب لهن الماء فَـيُقَبِّـضْنَ لى القبضات من الزبيب .

قال: ثم نزل عن المنبر.

فقال عبد الرحمن بن عوف: ما أردت إلى هذا يا أمير المؤمنين ؟

فقـال: ويحك يا ابن عوف: « إنى خلوت، فـحدثتنى نفـسى، قالت : أنت أمير المؤمنين، فمن ذا أفضل منك ؟ فأردت أن أعرفها نفسها »[1]

وعن أنس بن مالك قال :

سمـعت عمر بـن الخطاب يوما، وخرجت مـعه حتـى دخل حائطاً،

---

(١) طبقات ابن سعد (٢٢٢ / ٣) وإسناده صحيح، وأخرجه مالك فى الموطأ ، وأبو داود فى الزهد .

فسمعته يقول: وبيني وبينه جدار، وهو في جوف الحائط: عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ، والله، بُنيّ الخطاب، لتتقين الله، أو ليعذبَّنك[1] !!

الله أكبر . . . يا خالق عمر سبحانك.

وعن سعيد بن المسيب قال: حج عمر، فلما كان بضجان قال: لا إله إلا الله العظيم العليّ، المعطى ما شاء من شاء! كنت أرعى إبل الخطاب بهذا الوادي في مِدْرعة صوف، وكان فظاً يُتعبني إذا عملت، ويضربني إذا قصرت، وقد أمسيت، وليس بيني وبين الله أحد ثم تمثل[2] :

لا شيء مما ترى تَبْقى بَشَاشتُه	يبقى الإلهُ ويودى المال والولدُ
لم تُغْن عن هُرْمُز يوماً خزائنُهُ	والخُلد قد حاولت عادٌ فما خلدوا
وسليمانُ إذ تجرى الرياحُ له	والإنسُ والجِنُّ فيما بينها تردُ
أين الملوك التى كانت نوافلُها	من كلِّ أَوْبٍ إليها راكبٌ يَفِدُ
حوضاً هنالك مورواداً بلا كذبٍ	لابُدَّ من وِردِه يوماً كما وردوا

وقال قتادة : خرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه من المسجد ومعه الجارود، فإذا امرأة بِرزَة على الطريق، فسلّم عليها، فردت عليه، أو سلمت عليه، فرد عليها .

(1) رواه مالك فى الموطأ (2/992) فى الكلام ، باب ما جاء فى التقى ، وقال محقق جامع الأصول : إسناده صحيح

(2) تاريخ الطبرى (575 / 2). بسند رجاله ثقات .

فقالت: هيه يا عمر، عهدتك، وأنت تسمى عُميراً فى سوق عكاظ، تصارع الصبيان، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين، فاتق الله فى الرعية، واعلم أنه من خاف الموت خشى الفوت، فبكى عمر رضى الله عنه.

فقال الجارود: هيه، لقد تجرأت على أمير المؤمنين، وأبكيتيه .

فقال عمر: دعها، أما تعرف هذه ؟

هى خولة بنت حكيم التى سمع الله قولها من فوق سبع سموات فعُمَرُ والله أحرى أن يسمع كلامها [١] .

* وها هو الفاروق يدخل بيت المقدس فاتحاً راكباً برزوناً ، فجعل يتبختر به، فجعل يضربه بردائه، ثم قال: قبح الله من علمك هذا ! هذا من الخيلاء، ونزل عنه ، وقال: ما حملتمونى إلا على شيطان ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسى [٢] .

* قدم على عمر بن الخطاب وفد من العراق فيهم الأحنف بن قيس وفى يوم صائف شديد الحر ، وعمر معتجر (متعمِّم) بعباءة يهنأ بعيراً من إبل الصدقة (أى يطليه بالقطران) فقال : يا أحنف، ضع ثيابك وهلمَّ، فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير فإنه من إبل الصدقة، فيه حق

---

(١) المصباح (٢/ ٣٧)، وانظر « العقد الفريد» (٢/ ٣٥٨) نقلاً عن مختصر منهاج القاصدين ، بتحقيق على حسن عبد الحميد ص ١٧٠ ـ ١٧١).

(٢) أخرجه الطبرى (٢/ ٤٥٠) ،وابن شبة فى « تاريخ المدينة» (٣/ ٨٢٢، ٨٢٣).

اليتيم ،والأرملة ،والمسكين ، فقـال رجل من القوم : يغفر الله لك يا أمير المؤمنين ، فهلا تأمر عبداً من عبيد الصدقة فيكفيك ؟

فقال عمر : وأى عبد هو أعبد منى،ومن الأحنف ؟ إنه من ولى أمر المسلمين يجب عليه لهم ما يجب على العبـد لسيّده فى النصيحة،وأداء الأمانة[1] .

* خرج عمر فى سواد الليل،فرآه طلحة،فذهب عمر فدخل بيتاً،ثم دخل بيتـاً آخر،فلما أصبح طلـحة،ذهب إلى ذلك البيت،فإذا بعـجوز عمياء مقعدة فقال: ما بال هذا الرجل يأتيك ؟

قالت: إنه يتـعاهدنى من كذا وكذا،يأتينـى بما يصلحنى،ويخرج عنى الأذى،فقال طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة ! أعثرات عمر تتبع ؟!![2]

* * *

(١) أخبار عمر : ٣٤٣.
(٢) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١/ ٤٨) وإسناده صحيح .

زهد الفاروق

إننا إذا تكلمنا عن الزهد فى حياة الفاروق، فقد يطول بنا المقام فهو الزاهد الورع، الذى علم الزهد للزاهدين .

قال طلحة بن عبيد الله: ما كان عمر بن الخطاب بأوّلنا إسلاماً ، ولا أقدمنا هجرة ، ولكنه كان أزهدنا فى الدنيا، وأرغبنا فى الآخرة[1].

يا رافعاً راية الشورى وحارسها جزاك ربك خيراً عن محبيها
رأى الجماعة لا تشقى البلاد به رغم الخلاف ورأى الفرد يشقيها
إن جاع الخليفة فى شدة قوم شركتهم الجوع أو تنجلى عنهم غواشيها
جوع الخليفة والدنيا بقبضته منزلة فى الزهد سبحان موليها
فمن يبارى أبا حفص وسيرته أو من يحاول للفاروق تشبيها
يوم اشتهت زوجه الحلوى فقال لها من أين لى بثمن الحلوى فاشريها
ما زاد عن قوتنا فالمسلمون به أولى فقومى لبيت المال رديها
كذاك أخلاقه كانت وما عهدت بعد النبوة أخلاق تحاكيها

•

* وعن حميد بن هلال أن حفص بن أبى العاص كان يحضر طعام عمر ، فكان لا يأكل . فقال له عمر: ما يمنعك من طعامنا؟

قال: إن طعامك جَشِبٌ غليظ، وإنى راجع إلى طعام لين قد صنع لى

(١) أخرجه ابن عساكر (٥٢ / ٢٢٤) فى تاريخه ، وابن الأثير فى أسد الغابة (٤/ ١٤٧). بسند حسن .

فأصيب منه . قال: أتـرانى أعجزُ أن آمُرَ بشاةٍ فَيُلْقى عنهـا شعرها، وآمُرِ بدقيقٍ فَـيُنْخَلَ فى خرَقـة ثم يُصَبّ فى خرقة، ثم آمُـرَ به فيُـخْبَز خـبزاً رقاقـاً، وآمُر بصاع من زبيب فـيُقذف فى سُعْـن، ثم يصب عليه من الماء فيصبح كأنه دَمُ غزال؟ فقال: إنى لأراك عالماً بطيب العيش !

فقال: أجل ! والذى نفـسى بيده لولا أن تنتقص حسناتـى لشاركتكم فى لين عيشكم[1].

والله الذى لا إله غيره لا نملك أمـام هذا الموقف من إمام الزهد إلا أن نقول: يا خالق عمر سبحانك . .

* وعن معاوية رضى الله عنه :

أما أبو بكر فلم يُرد الدنيـا، ولم تُرِده، وأمّا عمر فـأرادته الدنيا، ولم يُرِدْها، أمّا نحن فتمرغنا فيها ظهراً لبطنٍ [2].

* وعن مصعب بن سعد بن أبى وقاص قال :

قالت حفصة بنت عمـر بن الخطاب رضى الله عنها لعمر : يا أمير المؤمنين لو لـبـست ثوباً هو ألين مـن ثوبك هذا، وأكلت طعـامـاً هو ألين، وأطيب من طعامك ، فـقد وسع الله من الرزق، وأكثر مـن الخير فقال : إنى سأخاصمك إلى نفـسك أما تذكرين ما كان رسول الله ﷺ

(١) الطبقات لابن سعد: (٣ / ٢١٢) بسند رجاله ثقات .
(٢) سير الخلفاء للذهبى ص ٨١.

يلقى من العيش ؟ فمازال يذكرها حتى أبكاها فقال لها: أما والله لئن قلت ذاك لمكانى، والله إن استطعت لأشاركنهما فى مثل عيشهما الشديد لعلى أدرك معهما عيشهما الرخىّ [(١)].

* وعن الربيع بن زياد الحارثى:

أنه وفد على عمر رضوان الله عليه فأعجبه هيئته، فشكى عمر وجعا به من طعام أكله فقال ـ أى الربيع ـ : يا أمير المؤمنين إن أحقّ الناس بطعام طيب، وملبس لين، ومركب وطىء لأنت ، وكان عمر متكئاً وبيده جريدة، فاستوى جالساً فضرب بها رأس الربيع بن زياد ، وقال : والله ما أردت بهذا إلا مقاربتى، وإن كنتُ لأحسب فيك خيراً ! ألا أخبرك بمثلى، ومثل هؤلاء، إنما مثلنا كمثل قوم سافروا فدفعوا بنفقتهم إلى رجل منهم فقالوا له انفق علينا، فهل له أن يستأثر عليهم بشىء ؟ قال: لا [(٢)] .

* قال الذهبى وقال المبارك عن الحسن :

دخل عمر على ابنه عاصم ، وهو يأكل لحماً ، فقال : ما هذا ؟ قال : قرمنا إليه . قال : أو كُلَّما قَرِمْت إلى شىءٍ أكلته ! كفى بالمرء سَرَفاً أن يأكل كل ما يشتهى [(٣)].

---

(١) أخرجه ابن المبارك فى الزهد (٥٧٤)، وأحمد فى الزهد (١٥٥)، وأبو نعيم فى الحلية (١/ ٤٨)، والخبر فى الطبقات لابن سعد (٣/ ٢١٠)، ورجاله ثقات .

(٢) طبقات ابن سعد (٣ / ٢١٢)، ورجاله ثقات.

(٣) سير الخلفاء للذهبى ص ٨٢.

*وعن خلف بن حوشب أن عمر رضوان الله عليه قال:

نظرت فى هذا الأمر، فجعلت إن أردت الدنيا أضر بالآخرة، وإن أردت الآخرة، أضر بالدنيا، فإذا كان الأمر هكذا، فأخبر بالفانية[1]

* وعن أبى سنان الدؤلى :

أنه دخل على عمر بن الخطاب ، وعنده نفر من المهاجرين الأولين، فأرسل عمر إلى سفطٍ أتى به من قلعة من العراق، فكان فيه خاتم، فأخذه بعض بنيه فأدخله فى فيه، فانتزعه عمر منه، ثم بكى عمر، فقال له من عنده:

لم تبكى وقد فتح الله لك وأظهرك على عدوك، وأقرّ عينك ؟

فقال عمر: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«لا تفتح الدنيا على أحدٍ إلا ألقى الله عز وجل بينهم العداوة، والبغضاء إلى يوم القيامة ».

وأنا أشفق من ذلك[2].

*** وفى مسند الإمام أحمد عن عاصم الأحول عن أبى عثمان قال :**

جاءنا كتاب عمر، ونحن بأذربيجان: يا عتبة بن فرق ، إياكم والتنعم وزى أهل الشرك ، ولبوس الحرير، فإن رسول الله ﷺ نهانا عن لبوس

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١/ ٥٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى المسند رقم (٩٤)، وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح .

الحرير[١] .

* وعن جابر بن عبد الله قال :

رأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى يدى لحماً معلقاً.

قال: «ما هذا يا جابر ؟! قلت: اشتهيت لحماً فاشتريته .

فقال عمر : كلما اشتهيت اشتريت! أما تخاف هذه الآية:

﴿ **أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا** ﴾[٢].

* عن أنس رضى الله عنه: تقرقر بطن عمر عام الرمادة ، فكان يأكل الزيت ،وكان قد حرم على نفسه السمن، قال : فنقر عمر بطنه بإصبعه، وقال : تقرقر، إنه ليس عندنا غيره حتى يحيا الناس[٣] .

* عن زيد بن أسلم عن أبيه قال عمر :

لقد خطر على قلبى شهوة السَّمك الطرى .

قال: ورحَّل يَرْفَا (غلام عمر) راحلته، وسار أربعاً مقبلاً ومدبراً، واشترى مكْتلاً فجاء به ، وعمد إلى راحلته فغسلها، فأتى عمر فقال: انطَلِقْ حتى أنظر إلى الراحلة، فنظر، وقال: نسيت أن تغسل هذا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى المسند رقم (٩٢) ،وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح.

(٢) أخرجه الإمام مالك فى الموطأ ،والإمام أحمد فى الزهد (١٥٣) والبيهقى فى الشعب (٥٢٨٤).

(٣) أخرجه أحمد فى الزهد ص ١٥٠.

العَرَقَ الذى تحت أذنهـا، عذبت بهيـمةٌ فى شهوةِ عـمر، لا والله لا يذُوق عمر مِكْتلك[1].

يا خالق عمر سبحانك . . .

* وقـال الذهبى عن أنس: رأيت بين كـتـفى عـمـر أربع رقـاع فى قميصه[2].

قال ابن الجـوزى فى مناقب عمر : قال عـبد العزيز بن أبى جـميلة : أبطأ عمر بن الخطاب رضوان الله عليه جمعة بالصلاة فلما خرج صعد المنبر ، واعتـذر إلى الناس فقال: « إنما حبسنى قـميصى هذا لم يكن لى قميص غيره كان يخاط ، أبيض، لا يجاوز كمه رسغ كفيه[3].

* وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : دخل عليه عمر وهو على مائـدته، فأوسع له عن صـدر المجلس، فقـال: بسم الله. ثم ضرب بـيده فلقم لقمةً، ثم ثنى بأخرى. ثـم قال: إنى لأجد طعم دسم: ما هو بدسم اللحم.

فقـال عبـد الله: يا أميـر المؤمنين ! إنى خرجت إلى السـوق أطلب السمين لأشتريه، فـوجدته غالياً، فاشتـريت بدرهم من المهزول، وحملت عليه بدرهم سمناً، فأردت أن يتردد عيالى عظماً عظماً.

---

(1) سير الخلفاء للذهبى ص ٨٢ ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده.
(2) سير الخلفاء للذهبى ص ٨٢.
(3) طبقات ابن سعد (٣/ ٢٥١). وإسناده صحيح .

فقال عمر: ما اجتمعا عند رسول الله ﷺ قط، إلا أكل أحدهما، وتصدق بالآخر .

قال عبد الله : خذ يا أمير المؤمنين ! فلن يجتمعا عندى إلا فعلت ذلك .

قال : ما كنت لأفعل [١].

* * *

(١) رواه ابن ماجة رقم (٣٣٦١) فى الأطعمة ، باب الجمع بين السمن واللحم . وضعفه شيخنا الألبانى فى ضعيف سنن ابن ماجة (٧٣٥) .

ورع الفـاروق
وخوفه من الله

إن أمثلة الورع فى حـياة عمر لتـمتلأ بهـا كتب السير. . فـهو الناسك الورع. . فأنت إذا أردت أن ترى الفاروق، كعصفور مبلل بماء المطر، فما عليك! إلا أن تقترب منه لتذكره بالله وتقـول له: ماذا ستقول لربك غداً يا عمر ؟!!

فهذا هو المِسْوَر بن مخرمة يقول: كنا نلزم عمر بن الخطاب نَتَعَلَّمُ منه الورع (١)

قال الذهبى فى السير: وقال إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف :

أُتى عمـر بكنوز كِسْرَى فقـال عبد الله بن الأرقم: أتجـعلُها فى بيت المال حـتى تقسـمها ؟ فـقال عـمر: لا والله لا آويهـا إلى سقفٍ حـتى أُمْضيها، فوضعها فى وسط المسجد، وباتوا يحرسونها، فلمَّا أصبح كشف عنها، فرأى من الحمـراء، والبيضاء ما يكادُ يتلألأ، فـبكى فقال له أبى: ما يبكيك يا أمـيـر المؤمنين ؟! فـوالله إن هذا ليـوم شُكرٍ، ويوم سـرور ! فقال: ويْحَك إن هذا لم يُعْطَهُ قومٌ إلا أُلقِيتْ بينهم العداوة، والبغضاء (٢)

---

(١) رواه أحمد فى المسند رقم (٩٣)، وقال الشيخ أحمـد شاكر: اسناده صحيـح، والخبر فى الطبقات لابن سعد (٢٢٠/ ٣).

(٢) سير الخلفاء للذهبى ص ٨٥.

وقال ابن الجوزى فى مناقب عمر :

عن القاسم بن محمد بن أبى بكر قال : بعث سعد بن أبى وقاص رحمه الله أيام القادسية إلى عمر رضوان الله عليه بقباء كسرى ، وسيفه ومنطقته، وسراويله، وقميصه وتاجه، وخُفيه قال: فنظر عمر رضوان الله عليه فى وجوه القوم، فكان أجسمهم وأمدهم قامة، سراقة بن جعشم المدلجى فقال: يا سراق، قم فالبس قال: فطمعت فقمت فلبست فقال: أدبر فأدبرت، ثم قال: أقبل، فأقبلت، ثم قال: بخ بخ أعرابى من بنى مدلج عليه قباء كسرى، وسراويله، وتاجه، وخُفّاه، رُبَّ يوم يا سراق بن مالك ولو كان عليك فيه من متاع كسرى وآل كسرى كان شرفاً لك، ولقومك، انزع فنزعت فقال: اللهم إنك منعت هذا رسولك ونبيك، وكان أحب إليك منى، وأكرم عليك منى، ثم أعطيتنيه، فأعوذ بك أن تكون أعطيتنيه لتمكر بى، ثم بكى حتى رحمه من كان عنده، ثم قال لعبد الرحمن: أقسمت عليك لما بعته ، ثم قسمته قبل أن يمسى.

* ويقول ابن عباس رضى الله عنهما:

دعانى عمر بن الخطاب، فأتيته، فإذا بين يديه نطع عليه الذهب منثور حثاً، قال: هلم فاقسم هذا بين قومك، فالله أعلم حيث زوى هذا عن نبيه عليه السلام، وعن أبى بكر، وأعطيته لخير أعطيته أو لشرّ؟

قال ابن عباس: فأكببت عليه أقسم، وأزّيل(أى أفرّق) فسمعت

البكاءَ، فإذا صوت عمر يبكى، ويقول فى بكائه، والذى نفسى بيده ما حبسه عن نبيه ﷺ، وعن أبى بكر إرادةَ الشر لهما، وأعطاه عمر إرادة الخير له[1] .

الله أكبر . . أى طراز من البشر كان هذا الرجل ؟!!

* **قال ابن الأثير**: بينا عثمان بن عفان فى مال له بالعالية فى يوم صائف، إذ رأى رجلاً يسوق بَكْرَين، وعلى الأرض مثل الفراش من الحر، فقال: ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يبرد، ثم يروح.

ثم دنا الرجل فقال لمولاه: انظر من هذا ؟

فنظر فقال: أرى رجلاً مُعْتَماً بردائه، يسوق بكرين.

ثم دنا الرجل فقال: انظر، فنظر، فإذا عمر بن الخطاب!!

فقال: هذا أمير المؤمنين .

فقام عثمان فأخرج رأسه من الباب فإذا نَفْح السموم، فأعاد رأسه حتى حاذاه، فقال: ما أخرجك هذه الساعة ؟!!

فقال عمر: بكران من إبل الصدقة تخلّفا، وقد مُضِى بإبل الصدقة، فأردت أن ألحقهما بالحِمَى وخشيت أن يضيعا، فيسألنى الله عنهما .

فقال عثمان: يا أمير المؤمنين، هَلُمَّ إلى الماء والظل، ونكفيك.

فقال: عد إلى ظلك يا عثمان !

(١) طبقات ابن سعد (٢٣٠ / ٣). وإسناده صحيح .

فقـال عثـمان: من أحب أن ينظر إلى القـوى الأمين، فلينظر إلى هذا ، فعاد إلينا فألقى نفسه [(١)]. يا خالق عمر . . . سبحانك.

* قال ابن الجوزى فى مناقب عمر :

وعن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه قال :

رأيت عـــمـــر بن الخطـاب رضـــوان الله علـيـــه على قـــتب يعدو، فقلت: ياأمير المؤمنين أين تذهب؟

فقال: بعير نَدَّ (أى فرّ وهرب) من إبل الصدقة أطلبه .

فقلت : لقد أذللت الخلفاء بعدك

فقـال: يا أبا الحسن لا تلمنى ، فوالـذى بعث محمـداً بالنبوة لو أن عِناقاً ذهبت بشاطىء الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة.

* وعن الحسن قال عمر بن الخطاب :

لو مات جمل من عملى ضياعاً، خشيت أن يسألنى الله عنه [(٢)].

وهذا مثل آخر نقدمه للعالمين قاطبة، وإلى الحكام خاصة.

* قدم معـاوية بن خُديج على عمر رضى الله عنه من مـصر، وبشّره بفتح الإسكندرية.

فقال له عمر: ماذا قلت يا معاوية حين أتيت المسجد ؟

---

(١) أسد الغابة لابن الأثير (١٦٠ / ٤) بسند صحيح، و الكامل لابن الأثير (٢/ ٤٥١).
(٢) المطالب العالية (٤٣٠٨). وإسناده صحيح.

قال: قلت أمير المؤمنين قائل (من القيلولة، أى نائم نومة الظهر).

فقال : بئس ما ظننت . لئن نمت النهـار لأضيعن الرعية، ولئن نمت بالليل لأضيعن نفسى، فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية ؟!

قالوا : وكان نومه خفقات فى ساعات متفرقة من ليل أو نهار [1].

* عن سالـم بن عبد الـله عن أبيه قـال: كان عمـر إذا أراد أن يَنْهى الناس عن شىء تقدّم إلى أهله فقال: لا أعْلمَنّ أحداً ، وقع فى شىء مما نهيتُ الناس عنه إلا أضعفت له العقوبة .

بل انظر إلى هذا الخـبـر العجـيب . . . وقل لى بربك هل فى لغـة البشر، وقواميس الدنيا. . بل هل فى حـياة وسيرة أحد من هذه الأمة - بعد نبيها وصديقها - نظيراً لهذا الموقف ؟!!

* عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قـال: اشتريت إبلاً وسقتها إلى الحمى، فلما سمنت قدمت بها، فدخل عمر السوق، فرأى إبلاً سماناً فقال: لمن هذه ؟

فقيل: لعبد الله بن عمر، فجعل يقول: يا عبد الله: بخٍ بخٍ. . ابن أمير المؤمنين ! فجئته أسعى، فقلت: مالك يا أمير المؤمنين ؟

قال: ما هذه الإبل؟

قلت : إبل أنضاء (هزيلة) اشتريتها ، وبعثت بها إلى الحمى ابتغى ما

---

(١) أخبارعمر ص ٢٩٠.

يبتغى المسلمون .

فقال: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين ! اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين !

يا عبد الله بن عمر ! خذ رأس مالك، واجعل الربح فى بيت مال المسلمين[١].

* ويقول عاصم بن عمر: لما زوجنى عمر ـ رضى الله عنه ـ أنفق علىَّ من مال الله شهراً، ثم أرسل إلىّ يرفأ (مولاه) فأتيته وهو فى مُصَلاه عند الفجر، أو عند الظهر، فقال: يا يرفأ احبس عنه، ثم دعانى، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد: يابنى فوالله ما كنت أرى هذا المال يحلّ لى قبل أن أليه إلا بحقه، وما كان أحرم علىّ منذ إذ وليته فعاد أمانتى، وقد أنفقت عليك شهراً من مال الله، ولست بزائدك، ولكنى معينك بثمن مالى بالعالية فأجذذه فبعه، ثم قُم إلى جانب رجلٍ من تجار قومك، فإذا ابتاع فاستشركه، ثم استنفق، وأنفق على أهلك. قال عاصم: فذهبت، ففعلت[٢].

* عن قتادة قال: كان معيقيب على بيت مال عمر فكسح بيت المال يوماً فوجد فيه درهماً، فدفعه إلى ابن عمر، قال: معيقيب ثم انصرفت إلى بيتى فإذا رسول عمر قد جاء يدعونى، فجئت فإذا الدرهم فى يده

---

(١) اخبار عمر ص (٢٩٢).

(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات (٣/ ٢١٠) بسند صحيح، وأخرجه بن شبه (٢/ ٦٩٩)، وأحمد فى الزهد (١٤٤، ١٤٥).

فقال: « ويحك يا معيقيب! أوجدت عليّ في نفسك سبباً ؟ أو مالي ومالك؟ فقلت: وما ذاك ؟

قال أردت أن تخاصمني أمة محمد ﷺ في هذا الدرهم يوم القيامة(١).

الله أكبر.. والله لا أجد ما أعقب به على هذا، إلا أن أقول:

يا خالق عمر .. سبحانك .

* وعن زيد بن أسلم عن أبيه أن عبد الله بن أرقم، قال لعمر: إن عندنا جلبة من جلبة جلولاء، وآنية من فضة فانظر ماذا تأمرنا فيها فقال: إذا رأيتني فارغاً فأذني، فجاءه يوماً. فقال: يا أمير المؤمنين إني أراك اليوم فارغاً»

قال: أبسط لي نطعاً، فبسط ثم أتى بذاك المال فصب عليه ، فأتى فوقف، فقال: اللهم إنك ذكرت هذا المال، فقلت: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾

[آل عمران :١٤]

وقلت : ﴿ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾

[الحديد :٢٣]

اللهم إنا لا نستطيع إلا نفرح بما زينت لنا ، اللهم إني أسألك أن

(١) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزي .

تضعه فى حقه ،وأعوذ بك من شـره، قال : فأتى بابن له يقال له عبد الرحمن فقـال : يا أبتاه هب لى خاتماً فقـال : اذهب إلى أمك تسقيك سويقاً ، فما أعطاه شيئاً [١] .

وفى صحيح البخارى :

عن ثعلبـة بن أبى مـالك : قـسم عـمـر مـروطـاً بين نسـاء أهل المدينة،فبـقى منها مرط جيد فـقال له بعض من حضر:يا أمـير المؤمنين اعط هذا ابنة رسول الله ﷺ التى عندك،يريدون أم كلثوم بنت على بن أبى طالب رضى الله عنه فـقال عمـر:أم سَلِيط أحق به فإنهـا ممن بايع رسول الله ﷺ،وكانت تزفر للناس القرب يوم أحد[٢].

قال أبو عبد الله:تزفر تخيط.

وفى الطبقات لابن سعد :

نظر عمر بن الخطاب عام الرمادة إلى بطيخة فى يد بعض ولده فقال : بخ بخ يا ابن أمير المؤمنين،تأكل الفاكهة،وأمة محمد هَزْلى ؟ فخرج الصبى هارباً،وبكى ،فأسكت عمر بعدما سأل عن ذلك فقالوا:اشتراها بكفٍّ من نوى[٣].

---

(١) أخرجه أحمد فى الزهد (١٤٣،١٤٤)،والبيهقى فى سننه (٦/ ٣٥٢).

(٢) رواه البخارى رقم (٢٨٨١) فى الجهاد والسير ، باب حمل النساء القرب إلى الناس فى الغزو

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٢٤٠)،بسند فيه الواقدى وابن الجوزى فى المنتظم (٤/ ١٤٠).

* وعن محمد بن سيرين عن الأحنف قال :

كنا جلوساً بباب عـمر، فمرت جاريةٌ فقالوا: سُـرّيّةُ أمير المؤمنين ، فـقـالت: مـا هى لأمـيـر المؤمنين بسـرية، ومـا تحل له، إنهـا من مـال الله، فقلت: فماذا يحل له من مال الله؟ فما هو إلا قَدْرُ أن بلغت، وجاء الرسول فدعانا فأتيناه، فقال: ماذا قلتم ؟ قلنا: لم نقل بأساً، مرّت جارية فقلنا هذه سرية أمير المؤمنين، فقـالت : ما هى لأمير المؤمنين بسرّيّة، وما تحل له إنها من مال الله، فقلنا: فماذا يحل له من مال الله ؟

فـقـال: أنا أخبركم بمـا استَحِلّ مـنه، يَـحِلّ لـى حُلتان، حلّـة فى الشتاء، وحلّة فى القيظ، وما أحُجّ عليه وأعْتمرُ من الظَّهْر، وقوتى وقوتُ أهلى كقـوت رجلٍ من قريش ليس بأغـناهم، ولا بأفقرهم، ثـم أنا بعد رجلٌ من المسلمين يصيبنى ما أصابهم[1].

* وعن البـراء بن معرور أن عـمر بن الخطاب رضى الله عـنه خرج يومـاً حـتى أتى المنبـر - وقـد كـان اشـتكى شكوى له - فَـنُعِت له العسل، وفى بيت المال عُكة، فقال: إن أذنتم لى فيـها أخذتها، وإلا فهى على حرام[2]

ومع عمله هذا رضى الله عنه كان كثيراً ما يقول :

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٢٠٨، ٢٠٩). بسند صحيح .
(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ٢٠٩)، وتاريخ الطبرى (٢/ ٥٦٩). بسند صحيح.

وددت أن خرجت من هذه الدنيا كفافاً لا لى، ولا على[١] .

ففى البخـارى عن أبى برة بن أبى موسى الأشعـرى قال : قال لى عبد الله بـن عمر: هل تدرى ما قال أبى لأبيـك ؟ قال: قلت: لا، قال : فإن أبى قال لأبيك: يا أبا موسى هل يَسُرُّك إسلامُنا مع رسول الله ﷺ وهجرتنا معه ، وجهادنا معه ، وعملنا كله معه ، بَرَدَ لنا ، وأن كل عملٍ عملناه بعده نجونا منه كفافاً رأساً برأس ؟

فـقال أبـى (أبو موسى) : لا والـله، قد جـاهدنا بعـد رسـول الله ﷺ، وصلينا، وصـمنا ، وعـملنا خيـراً كـثيـراً، وأسلم على أيدينا بشـرٌ كثير، وإنا لنرجو ذلك .

فقال أبى (أى عمر): لكنى أنا والذى نفس عمر بيده لوددت أن ذلك بَرَد لنا ، وأن كل شىء عملناه بعدُ نجونا منه كـفافاً رأساً برأس . فقلت : إن أباك، والله خيرٌ من أبى »[٢].

* قال عبـد الله بن عامر بن ربيعة: رأيت عـمر أخذ تبنة من الأرض فقال: يا ليتنى هذه التبنة، ليتنى لم أكُ شيئاً، ليت أمى لم تلدنى[٣] .

* وعن ابن عمر قال: شهدت جلولاء فابتعت من المغنم بأربعين ألفاً،

---

(١) أخرجه ابن سعد فى الطبقات (٣/ ٢١٨). ورجاله ثقات.

(٢) رواه البخـارى رقم (٣٩١٥) فى مناقب الأنصار، باب هجرة النبى ﷺ وأصـحابه إلى المدينة.

(٣) سيـر الخلفاء للذهبى ص٨٣ ، وابن الجـوزى فى المنتظم (٤/ ١٤١). بسند رجـاله رجال الصحيح إلا عاصم بن عبد الله بن عاصم ضعفوه.

فلمَّا قدمت على عمر قال: أرأيت لو عُرِضْتُ على النار فقيل لك: افتده، أكُنْتُ مُفْتَدِيَّ به ؟

قلت: والله ما من شيء يؤذيك إلا كنت مُفْتديك منه.

قال: كأني شاهد الناس حين تبايعوا فقالوا: عبد الله بن عمر صاحب رسول الله ﷺ، وابن أمير المؤمنين، وأحب الناس إليه، وأنت كذلك ، فكان أن يرخصوا عليك، أحبّ إليهم من أن يَغْلو عليك، وإني قاسمٌ ، مسؤول ، وأنا معطيك أكثر ما ربح تاجر من قريش، لك ربح الدرهم درهم، قال: ثم دعا التجار فابتاعوه منه بأربع مائة ألف درهم، فدفع إلى ثمانين ألف ، وبعث بالباقي إلى سعد بن أبي وقاص ليقسمه[١] .

* وكان عمر ربما يدني يده من النار، وقال :

ابن الخطاب، هل لك على هذا صبر [٢].

وكان يقول : لو كان لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من كرب الموت، فكيف بي، ولم أرى النار [٣].

* وعن سالم بن عبد الله أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه كان يُدْخِل يده في دبر البعير، ويقول: إني خائف أن أسأل عما بك»[٤]

(١) سير الخلفاء للذهبي ص (٨٣ ـ٨٤)، وإسناده صحيح.
(٢) أخبار عمر ص (٣٠٧) نقلاً عن ابن الجوزي .
(٣) أخرجه أبو داود في الزهد (٧٩)، بسند صحيح .
(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/٢١٧)، ورجاله ثقات ، وابن الجوزي في المنتظم.

وعن أبى سلمة قال: انتهيت إلى عمر، وهو يضرب رجالاً ونساءاً فى الحرم على حوض يتوضؤون منه حتى فرّق بينهم، ثم قال: يافلان، قلت: لبيك .

قال: لا لبيك، ولا سعديك، ألم آمرك أن تتخذ حياضاً للرجال وحياضاً للنساء.

قال: ثم اندفع فلقيه علىّ رضى الله عنه فقال: أخاف أن أكون قد هلكت، قال: ما أهلكك؟

قال: ضربت رجالاً، ونساءً فى حرم الله عز وجل.

قال: يا أمير المؤمنين أنت راعٍ من الرعاة، فإن كنت ضربتهم على غشٍ فأنت الظالم المجرم[1].

* **وصحح الألبانى**: أن عمر زار أبا الدرداء رضى الله عنهما ، فقال له أبو الدرداء: أتذكر حديثاً حدثناه رسول الله ؟ قال: أى حديث ؟

قال: «**ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب**» قال: نعم.

قال: فماذا فعلنا بعده يا عمر؟

قال: فمازالا يتجاوبان بالبكاء حتى أصبحا»[2].

* **وعن قتادة**: لما ورد عمر الشام، صنع له طعام لم ير قبله مثله فلما

(١) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (٢٤٦)، وذكره ابن الجوزى فى مناقب أمير المؤمنين.

(٢) صححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٤٦٥) ، وقال رواه ابن ماجة ، وابن حبان عن سلمان .

أوتى به قال: هذا لنا، فما لفقراء المسلمين، الذين باتوا لا يشبعون من خبز الشعير؟!

فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه: لهم الجنة فاغرورقت عيناه، فقال: إن كان حظنا فى هذا ويذهب أولئك بالجنة لقد بانوا بوناً بعيداً [(١)].

* **وعن مجاهد**: أنفق عمر بن الخطاب فى حجة حجها ثمانين درهما من المدينة إلى مكة، ومن مكة إلى المدينة، قال: ثم جعل يتأسف، ويضرب بيده على الأخرى، ويقول: ما أخلقنا أن نكون قد أسرفنا فى مال الله تعالى [(٢)].

يا خالق عمر .. سبحانك !!

* * *

(١) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزى.
(٢) أخرجه ابن الأثير فى أسد الغابة (٤/ ١٦١)، بسند صحيح .

علمه وفقهه رضي الله عنه

إن الفاروق عمر كـان عالماً فقيهاً . . بل كـان من أعلم الصحابة فى دين الله . . بل كان أعلم الأمة قاطبة - بعد نبيها وصاحبه - ولقد شهد النبى ﷺ لعمر بهذا .

فقد أخرج البخارى عن النبى ﷺ قال :

« بينا أنـا نائم شـربت يعـنى اللبن - وفى روايـة « أتيت بقـدح لبن فشربت منه» - حتى أنظر إلى الرِّيِّ يجرى فى ظُفُرى - أو فى أظفارى - ثم ناولت عمر . قالوا : فما أولتهُ يا رسول الله قال : العلم » [1].

قـال الحـافظ فى الفـتح :ووجه التـعبيـر بذلك من جهة اشـتراك اللبن، والعلم فى كـثرة النفع وكـونهمـا سبـباً للصـلاح، فاللبن للـغذاء البدنى، والعلم للغذاء المعنوى . وفى الحديث فضيلة عمر.

قال: والمراد بالعلم هنا، العلم بسياسة الناس بكتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، واختص عمر بذلك لطول مـدته، بالنسبة إلى أبى بكر، واتفاق الناس على طاعته بالنسبة إلى عثمـان، فإن مدة أبى بكر كانت قصيرة ، فلم يكثر فيها الفتوح التى هى أعظم الأسباب فى الاختلاف، ومع ذلك

---

(١) رواه البخارى رقم (٣٦٨١) فى فضائل الصحابة ، باب مناقب عمر بن الخطاب، ومسلم رقم (٢٣٩٠) فى فـضـائل الصـحـابة، باب من فـضـائل عـمر بـن الخطاب رضى الله عنه، والترمذى رقم (٢٢٨٥) فى الرؤيا ، باب رؤيا النبى ﷺ اللبن والقمص .

فساس عمر فيها ـ مع طول مدته ـ الناس بحيث لم يخالفه أحد، ثم ازدادت اتساعاً فى خلافة عثمان فانتشرت الأقوال، واختلفت الآراء، ولم يتفق له ما اتفق لعمر من طواعية الخلق له، فنشأت من ثم الفتن، إلى أن أفضى إلى قتله، واستخلف عليّ فما ازداد الأمر إلا اختلافاً، والفتن إلا انتشاراً أ.هـ[1]

* **وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه :**

ما أظن أهل بيت من المسلمين لم يدخل عليهم حزن يوم أُصيب عمر إلا أهل بيت سوءٍ، إن عمر كان أعلمنا بالله، وأقرأنا لكتاب الله، وأفقهنا فى دين الله [2].

وقال أيضاً رضى الله عنه: إذا ذكر الصالحون فَحيهلاً بعمر، إن عمر كان أعلمنا بكتاب الله وأفقهنا فى دين الله [3].

ويقول أيضاً رضى الله عنه :

لو أن علم عمر وضع فى كفة ميزان، ووضع علم أحياء الأرض فى كفةٍ لرجح علم عمر بعلمهم.

قال الأعمش: فأنكرت ذلك فأتيت إبراهيم النخعى فذكرته له، فقال: وما أنكرت من ذلك فوالله لقد قال عبد الله أفضل من ذلك

---

(١) فتح البارى (٧ / ٥٦) العلمية.
(٢) أخرجه ابن أبى شيبة (٧/ ٤٨٠)، وابن عساكر ، والحاكم مختصراً.
(٣) سير الخلفاء للذهبى ص ٨١).

قال: إنى لأحسب تسعة أعشار العلم ذهب يوم مات عمر رضى الله عنه[1] .

* وعن قبيصة بن جابر قال: والله ما رأيت أحداً أرأف برعيته، ولا خيراً من أبى بكر الصديق، ولم أر أحداً أقرأ لكتاب الله، ولا أفقه فى دين الله، ولا أقوم بحدود الله، ولا أهيب فى صدور الرجال من عمر ابن الخطاب، ولارأيت أحداً أشد حياءً من عثمان بن عفان[2] .

وقال حذيفة رضى الله عنه :

كأن علم الناس كلهم قد درس فى علم عمر[3]

ولم لا وقد كان حريصاً - رضى الله عنه - على طلب العلم ، وضرب المثل فى الهمة العالية فى ذلك، فقد مر علينا ما جاء فى البخارى قوله رضى الله عنه: كنت أنا وجار لى من الأنصار من بنى أمية بن زيد، وهم من عوالى المدينة، وكنا نتناوب النزول على النبى ﷺ فينزل يوماً، وأنزل يوماً فإذا نزلت جئته من خبر ذلك اليوم من الوحى وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك[4]

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف (٧/ ٤٨٣) ، والحاكم ، وصححه وأقره الذهبى، والخبر فى أسد الغابة لابن الأثير.

(٢) أسد الغابة (٤/ ١٤٧)، بسند صحيح.

(٣) الاستيعاب (٣/ ٢٣٩)، إسناده صحيح .

(٤) رواه البخارى رقم (٥١٩١) فى النكاح باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها، ومسلم رقم (١٤٧٨) فى الطلاق ، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً .

* **وقال الذهبى:قال عبد الله بن عمر:**

تعلم عمر البقرة فى إثنى عشرة سنة، فلما تعلمها نحر جزوراً [١]

وإليك شىء يسير من علمه، وفقهه فى الدين رضى الله عنه.

جاء فى البخارى من حديث طارق بن شهاب قال: جاء يهودىٌّ إلى عمر بن الخطاب، فقال: يا أميـر المؤمنين آيةٌ تقرؤونها فى كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت، ونعلم ذلك اليوم الذى نزلت فيه، لاتخذناه عيداً قـال: أىُّ آية ؟ قـال : **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾** [المائدة: ٣]

فقـال عمـر بن الخطاب: إنى لأعلم اليـوم الذى نزلت فيـه، والمكان الذى نزلت فيه، نـزلت على رسول الله ﷺ بعرفة يوم جـمعةٍ ، ونحن واقفون معه بعرفة[٢] .

* **وفى مسند الإمام أحمد** عن الحرث بن معـاوية الكندى رحمه الله أنه ركب إلى عـمر بن الخطاب يسـأله عن ثلاث خلال، قـال : فقـدم المدينة فسأله : ما أقدمك ؟

قال : لأسألك عن ثلاث . قال : وما هن ؟

قـال: ربما كنت أنا والمرأة فى بناءٍ ضـيقٍ، فتـحضـر الصلاة ، فـإن

(١) السير للذهبى ص ٨١.
(٢) رواه البخارى رقم (٤٤) فى الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه ،ومسلم رقم (٣٠١٧) فى التفسير .

صليت أنا ،وهى كانت بحذائى، وإن صلّتْ خلفى خرجت من البناء ؟!

فقال عمر: تستر بينك وبينها بثوب، ثم تصلى بحذائك إن شئت .

وعن الركعتين بعد العصر ؟ فقال نهانى عنهما رسول الله ﷺ.

قال :وعن القصص ؟ فإنهم أرادونى على القصص ؟!

قال: ماشئت، كأنه كره أن يمنعه.

قال: إنما أردت أن أنتهى إلى قولك؟!

قال: أخشى عليك أن تقصَّ فترتفع عليهم نفسك، ثم تقص فترتفع حتى يخيل إليك أنك فوقهم بمنزلة الثُريَّا، فيضعك الله عز وجل تحت أقدامهم يوم القيامة بقدر ذلك[1] .

* وفى المسند أيضاً عن جابر بن عبد الله قال: سمعت عمر بن الخطاب، يقول لطلحة بن عبيد الله: مالى أراك قد شعثت، واغْبَرْرتَ منذ توفى رسول الله ﷺ، لعلك ساءك يا طلحة إمارة ابن عمك؟

قال: معاذ الله ، إنى لأحْذَرُكم أن لا أفعل ذلك ، إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إنى لأعلم كلمة لا يقولها أحد عند حضرة الموت إلا وجد روحه لها رَوْحاً حين تخرج من جسده ،وكانت له نوراً يوم القيامة** » فلم أسأل رسول الله ﷺ عنها ،ولم يخبرنى بها ،فذلك الذى دخلنى، قال عمر فأنا أعلمها، قال: فلله الحمد . فما هى؟ قال: هى

(١) رواه أحمد فى المسند رقم (١١١)، وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح.

الكلمة التى قالها لعمه: لا إله إلا الله، قال طلحة: صدقت(١).

*** وعن الحكم بن عتيبة قال:**

اختصم على والزبير إلى عمر فى موالى صفية فقال على: عمتى، وأنا أعقل عنها، وأرثها.

وقال الزبير: أمى وأنا أرثها .

فقال عمـر لعلى: ألم تعلم أن رسول الله ﷺ جعل الولاء (الولاية) تبعاً للميراث(٢).

*** وفى البخارى عن حديث عبد الرحمن بن عبد القارىٍّ أنه قال :**

خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليلة فى رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاعٌ (٣) متفرقون يصلىٍّ الرجل لنفسه ، ويصلى الرجلُ، فيصلى بصلاته الرهط، فقال عمر: إنى أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثلُ (٤)، ثم عزم فجمعهم على أُبى بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى ، والناس يُصلُّون بصلاة قارئهم .

(١) رواه أحمد فى المسند رقم (١١٨)، وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح.

(٢) المطالب العالية للحافظ ابن حجر : (١٦٤٩)، إسناده صحيح.

(٣) أوزاع : أى جماعة متفرقون .

(٤) قال الحافظ فى الفتح (٤/ ٣١٧) : قال ابن التين ، وغيره استنبط عمر ذلك من تقرير النبى ﷺ من صلى معه فى تلك الليالى، وإن كان كره ذلك لهم فإنما كرهه خشية أن يفرض عليهم، فلما مات النبى ﷺ حصل الأمن من ذلك، ورجح عند عمر ذلك لما فى الاختلاف من افتراق الكلمة ، ولأن الاجتماع على واحد أنشط لكثير من المصلين.

قال عمر: نعم البدعة هذه، والتى ينامون عنها أفضل من التى يقومون - يريد آخر الليل - وكان الناس يقومون أوَّله [١].

* **وعن أبى أمامة بن سهل بن حنيف**: أن رجلاً رمى رجلاً بسهم فقتله وليس له وارث إلا خال، فكتب فى ذلك أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر، فكتب أن النبى ﷺ قال: « **الله ورسوله مولى من لا مولى له، والخال وارث من لا وارث له** »[٢].

وقد رأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه جماعة يتبادرون مكاناً يُصلون فيه، فقال: ماهذا ؟

قالوا: مكانٌ صلى فيه رسول الله ﷺ.

فقال: أتُريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد ؟! إنما هَلَكَ مَنْ كان قبلكم بهذا، فمن أدركته فيه الصلاة فليصل، وإلا فليمض[٣].

* **وعن ابن عباس قال:**

خطب عمر بن الخطاب، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، فذكر الرجم، فقال: لا تُخْدعُنَّ عنه، فإنه حدٌ من حدودِ الله تعالى، ألا إن رسول الله ﷺ، قد رجم ورجمنا بعده، ولولا أن يقول قائلون زاد عمر

---

(١) أخرجه البخارى رقم (٢٠١٠) فى صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان.
(٢) رواه الإمام أحمد فى المسند رقم (٨٩)، وقال الشيخ أحمد شاكر، صحيح الإسناد.
(٣) قال الأرناؤوط فى تخريج زاد المعاد (١/ ٥٩): أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف (٢/ ٨٤/ ١) وسنده صحيح.

في كتاب الله عز وجل ما ليس منه لكتبته في ناحية من المصحف[١].

وقبل أن نختم حديثنا عن علم الفاروق، وفقهه إليك هذه الوصية الغالية من هذا الرجل العبقري الفذ.

ففي صحيح البخاري[٢] : قال عمر: « تفقهوا قبل أن تسودوا »[٣]

وهذه وصية عظيمة جليلة تدل على عبقرية وفراسة قائلها.

يقول الحافظ في الفتح:

أراد عمر رضي الله عنه أن السيادة قد تكون سبباً للمنع من التفقه في الدين، لأن الرئيس قد يمنعه الكبر والاحتشام أن يجلس مجلس المتعلمين، ولهذا قال مالك عن عيب القضاء: أن القاضي إذا عزل لا يرجع إلى مجلسه الذي كان يتعلم فيه.

وقال الشافعي :

إذا تصدر الحدث فاته علم كثير.

وقد فسره أبو عبيدة في كتابه « غريب الحديث» فقال: معناه

---

(١) المسند رقم (١٥٦، ١٩٧، ٢٧٦)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري معلقاً في كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، وقال الحافظ : أخرجه ابن أبي شيبة ، وإسناده صحيح (الفتح ١/ ٢١٩).

(٣) عقب البخاري على هذا الأثر فقال: وبعد أن تسودوا، وقد تعلم أصحاب النبي ﷺ في كبر سنهم، قال الحافظ: وإنما عقب البخاري ليبين أن لا مفهوم له خشية أن يفهم أحد من ذلك أن السيادة مانعة من التفقه.

تفقهوا، وأنتم صغار، قبل أن تصيروا سادة، فتمنعكم الأنفة عن الأخذ عمن هو دونكم فتبقوا جهالاً .

وقال ابن المنير:

إن عمر جعل السيادة من ثمرات العلم، وأوصى الطالب باغتنام الزيادة قبل بلوغ درجة السيادة، وذلك يحقق استحقاق العلم بأن يغبط صاحبه، فإنه سبب لسيادته [1]. أ.هـ

* **وعن حميد بن هلال قال:** قال عمر بن الخطاب :

« لموت ألف عابد قائم الليل، وصائم بالنهار أهون من موت عاقل عقل عن الله أمره ، علم ما أحل الله له، وما حرم عليه فانتفع بعلمه، وانتفع الناس به، وإن كان لا يزيد على الفرائض التى فرض الله عليه كثير زيادة[2].

* * * *

(١) فتح البارى (١/ ٢٢٠).
(٢) المطالب العالية رقم (٣٦٢٨).

فراسته رضى الله عنه

إن الفاروق كان مشهوراً بفراسته - رضى الله عنه - وها هى بعض النماذج التى تبين بجلاء هذه الفراسة الفذة:

* عن يحيى بن سعيد أن عمر بن الخطاب قال لرجل: ما اسمك؟ قال: جمرة، قال ابن مَنْ؟ قال: ابن شهاب، قال: ممن؟ قال: من الحرقة، قال: ثم ممن؟ قال: من بنى ضرام، قال: أين مسكنك؟ قال: الحَرَّة، قال: بأتيها؟ قال: بذات لظى، قال: عمر: أدرك أهلك فقد احترقوا، فكان كما قال عمر[1] .

* **قال الذهبى فى السير:**

حدثنا شُرَحْبيل: أن الأسود العنسى تنبأ باليمن، فبعث إلى أبو مسلم الخولانى، فأتاه بنار عظيمة، ثم إنه ألقى أبو مسلم فيها، فلم تضره فقيل للأسود: إن لم تَنْفِ هذا عنك أفسد عليك من اتَّبعَكَ، فأمره بالرحيل، فقدم المدينة، فأناخ راحلته، ودخل المسجد يصلى، فبصر به عمر رضى الله عنه (وكأنه وقع فى قلبه أنه أبو مسلم) فقام إليه، فقال: ممَّن الرجل؟ قال: من اليمن قال: ما فعل الذى حَرقهُ الكذاب بالنار؟ قال: ذاك عبد الله بن ثُوب. قال: نَشَدْتُك بالله، أنت هو ؟قال: اللهم

(١) تاريخ الخلفاء ٩، والإصابة (١/ ٢٦٢)، والطرق الحكمية ٢٩ نقلاً عن أخبار عمر ص٣٥٩، وقال ابن الأثير فى جامع الأصول: أخرجه مالك فى الموطأ (٢/ ٩٧٣) فى الاستئذان.

نعم. فـاعتنقه عـمر، وبكى، ثم ذهب بـه حتى أجلسـه فيمـا بينه، وبين الصديق، فقال: الحمد لله الذى لم يمـتنى حتى أرانى فى أمة محمد ﷺ من صنع به كما صنع بإبراهيم الخليل[1]

* كان عمـر يحمل فى العام الواحد على أربعين ألف بعـير، يحمل الرجل إلى الشام عـلى بعير، ويحـمل الرجلين إلى العراق على بعـير، فجاءه رجل من أهل العراق قال: احملنى وسُحَيماً.

فقال عمر: أنشدك الله أسحيم زِقّ ؟قال: نعم[2].

* **عن سعيد بن جبير**: بعث عمر بن الخطاب إلى حذيفة بعد ما ولاه المدائن، وكثر المسلمات: إنه بلغنى أنك تزوجت امرأة من أهل المدائن من أهل الكتاب، فطلقها، فكتب إليه: لا أفعل حتى تخبرنى: أحلال أم حرام، وما أردت بذلك ؟ فكتب إليه: لا بل حـلال، ولكن فى نساء الأعاجم خلابة، فإن أقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم.

فقال: الآن، فطلقها[3].

***وعن** عـدى بن حاتم قـال: أَتيت عـمـر بن الخطاب فى أناس من

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبى (٤/ ٧) تهذيب التهذيب(١٢/ ٢٣٦).

(٢) قال صاحب أخبار عمر (٣٥٨) : ابن سعد (١/ ٢١٨) ، وقد أراد الرجل أن يوهمه أن معه رفيقاً ليأخذ الحمل وحده ، فتنبه بهذه الفراسة النادرة التى أوتيها ، والتى لا يبلغ العلم القدرة على تحليل أمثالها.

(٣) تاريخ الطبرى: (٢/ ٤٣٧). بسند فيه سيف بن عمر .

قومى، فجعل يفـرض للرجل من طيىء فى ألفين، ويعرض عنى، قال : فاستقبلته، فأعرض عنى، ثم أتيته من حيال وجهه فأعرض عنى، فقلت : يا أمير المؤمنين، أتعرفنى؟ قال: فضـحك حتى استلقى لقفاه، ثم قال : نعم والله إنى لأعـرفك، آمنت إذ كـفروا، أقـبلت إذ أدبروا، ووفـيت إذ غدروا ، وإن أول صـدقة بيضت وجـه رسول ﷺ ووجه أصـحابه طئ جئت بها إلى رسول الله ﷺ، ثم أخذ يعـتذر، ثم قال: إنما فرضت لقوم أجحفت بهم الفاقة، وهم سادة عشائرهم لما ينوبهم من الحقوق[1] .

* قال خالد بن معدان: استعمل علينا عمر بن الخطاب بحمص سعيد بن عامـر الجُمحى، فلمـا قدم عمـر حمص قال: يا أهل حـمص، كيف وجدتم عاملكم ؟ فشكوه إليه، وكان يقال لأهل حمص الكوفية الصغرى لشكايتهم العمال.

قـالوا: نشكو أربعـاً، لايخرج إلينا حـتى يتـعالى الـنهار قـال: أعظم بها، وماذا ؟

قالوا: لا يجيب أحد بليل قال: وعظيمة، وماذا ؟

قالوا: وله يوم فى الشهر، لا يخرج فيه إلينا، قال عظيمة، وماذا ؟

قالوا: يَغْنَط الغنطة بين الأيام (أى يغمى عليه ويغيب عن حسه)

فجمع عمر بينهم وبينه، وقال: « اللهم لا يفيّل رأيى فيه اليوم» وافتتح

---

(١) رواه أحمد فى المسند رقم (٣١٦) ، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح .

المحاكمة فقال لهم أمامه: ما تشكون منه ؟

قالوا: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار .

قال: مـا تقول ؟ قال: والله إن كنت لأكره ذكـره: ليس لأهلى خادم فأعجن عجينى ثم أجلس حتى يختـمر ، ثم أخبز خبزى ، ثم أتوضأ، ثم أخرج إليهم.

فقال : ما تشكون منه ؟

قالوا: لا يجيب أحد بليل .

قال : ما تقول ؟

قال: إن كنت لأكره ذكره، إنى جعلت النهار لهم وجعلت الليل لله عز وجل.

قال: ما تشكون ؟

قالوا: إن له يوماً فى الشهر لا يخرج إلينا فيه.

قال: ما تقول ؟

قال: ليس لى خادم يغسل ثيابى ولا لى ثيـاب أبدلها، فأحبس حتى تجفّ ثم أدلكها، ثم أخرج إليهم من آخر النهار.

قال: ما تشكون منه، قالوا: يغنط الغنطة بين الأيام .

قال: ما تقول ؟!

قال : شهدت مصرع خبيب الأنصارى بمكة، وقد بضعت قريش لحمه ثم حملوه على جذعة فقالوا: أتحب أن محمداً مكانك ؟

فقال: والله ما أحب أنى فى أهلى وولدى، وأن محمداً شيك بشوكة؟ فما ذكرت ذلك اليوم، وتركى نصرته فى تلك الحال، وأنا مشرك لا أؤمن بالله العظيم، إلا ظننت أن الله عز وجل لا يغفر لى بذلك الذنب أبداً فتصيبنى تلك الغنطة.

فقال عمر : الحمد لله الذى لم يفيّل فراستى .

فبعث إليه عمر بألف دينار وقال: استعن بها على أمرك، ففرقها[1].

* * *

(١) حلية الأولياء (١/ ٢٤٥)بسند حسن وابن عساكر (٦/ ١٤٧) .

كراماته رضي الله عنه

إن كرامات الأولياء ـ وهم المؤمنون المتقون ـ أمر معروف مشاهد، وهو ثابت بالكتاب والسنة، ومن هؤلاء الأولياء ـ بل هو من أفضلهم ـ عمر ابن الخطاب ومن هذه الكرامات ما رواه البيهقي وابن عساكر:

خرج عمر بن الخطاب يوم الجمعة فصعد المنبر فجعل ينادي : يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، ثلاثا، ثم قدم رسول الجيش، فسأله عمر، فقال : يا أمير المؤمنين هُزمنا ، فبينما نحن كذلك إذا سمعنا مناديا : يا سارية الجبل ثلاثاً ، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله ، قال : فقيل لعمر : إنك كنت تصيح بذلك[1].

قال الألباني في الصحيحة:

ومما لا شك فيه أن النداء المذكور، إنما كان إلهاماً من الله تعالى لعمر، وليس ذلك بغريب عنه إنه محدَّث كما ثبت عن النبي ﷺ، ولكن ليس فيه أن عمر كشف له حال الجيش، وإنه رآهم رأي العين، فاستدلال بعض المتصوفة بذلك على ما يزعمونه من الكشف للأولياء، وعلى إمكان اطلاعهم على ما في القلوب من أبطل الباطل .

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل ،وابن عساكر ،وذكره ابن كثير في البداية (٧/ ١٣١)، وقال : وهذا إسناد جيد حسن ،ووافقه الألباني ،وقال: وهو كما قال : انظر الصحيحة رقم (١١١٠).

ثم قال حفظه الله تعالى :

فالقصة صحيحة ثابتة، وهى كرامة أكرم الله بها عمر، حيث أنقذ به جيش المسلمين من الأسر أو الفتك به، ولكن ليس فيها مازعمه المتصوفة من الاطلاع على الغيب ، وإنما هو من باب الإلهام. (فى عرف الشرع) أو (التخاطر) فى عرف العصر الحاضر الذى ليس معصوماً ، فقد يصيب كما فى هذه الحادثة، وقد يخطىء كما هو الغالب على البشر.

ولقد أحسن من قال :

إذا رأيت شخصاً قد يطير وفوق ماء البحر هو يسير
ولم يقف على حدود الشرع فإنه مستدرج وبدّعى

* * *

اتباعه للسنة رضي الله عنه

لقد كان الفاروق مثالاً فريداً فى اتباع السنة، واقتفاء أثر حبيبه، ومعلمه ﷺ، وإن أروع الأمثلة لذلك ما جاء فى البخارى:

* عن عابس بن ربيعة عن عمر رضى الله عنه: أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبَّله فقال :

إنى أعلم أنك حجرٌ لا تضر، ولا تنفع، ولولا أنى رأيت النبى ﷺ يقبِّلُكَ ما قَبَّلْتُك[1]. إنه الاتباع فى أَجَلِّ صورِهِ، وأسمى معانيه.

قال الحافظ فى الفتح :

قال الطبرى: إنما قال ذلك عمر لأن الناس كانوا حديثى عهد بعبادة الأصنام، فخشى أن يظن الجهال أن استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار، كما كانت العرب تفعل فى الجاهلية فأراد عمر أن يعلم الناس أن استلامه اتباع لفعل النبى ﷺ.

ثم قال الحافظ رحمه الله :

وفى قول عمر هذا التسليم للشارع فى أمور الدين، وحسن الاتباع، فيما لم يكشف عن معانيها، وهو قاعدة عظيمة فى اتباع النبى ﷺ فيما يفعله و لو لم يعلم الحكمة فيه أ.هـ[2].

---

(١) رواه البخارى رقم (١٥٩٧) فى الحج، باب ما ذكر فى الحجر الأسود .
(٢) فتح البارى (٣/ ٥٩٠، ٥٩١).

* وفى البخارى عن عبد الله بن عمر قال: قال لى رسول الله ﷺ: إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم.

قال عمر: فوالله ما حلفت بها منذ سمعت النبى ﷺ ذاكراً ولا آثراً[(١)].

قال الحافظ: لا عامداً، ولا مختاراً.

* وعن عاتكة بنت زيد بن عمرو، وهى زوجة عمر بن الخطاب رضى الله عنهم أجمعين أنها كانت تستأذن عمر بن الخطاب إلى المسجد فيسكت!! وكان عمر يقول لها: والله إنك لتعلمين أنى ما أحب هذا، وكان عمر رجلاً غيوراً.

فتقول: والله لأخرجن إلا أن تمنعنى فلا يمنعها[(٢)].

ولقد طعن عمر، وإنها لفى المسجد.

وفى رواية:

كانت تشهد صلاة الصبح، والعشاء فى الجماعة فى المسجد فقيل لها: لم تخرجين، وقد تعلمين أنه يكره ذلك، ويغار؟

(١) رواه البخارى رقم (٦٦٤٧) فى الأيمان، والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم، ومسلم رقم (١٦٤٦) فى الأيمان، باب النهى عن الحلف بغير الله، والموطأ (٢/ ٤٨٠) فى الأيمان، باب جامع الأيمان، وأبو داود رقم (٣٢٤٩)، والترمذى (١٥٣٤)، والنسائى (٧/ ٥).

(٢) أخرجه مالك فى الموطأ (١/ ١٩٨) فى القبلة باب ما جاء فى خروج النساء إلى المساجد.

قالت: فما يمنعه أن ينهانى ؟!!

قالوا: يمنعه قول رسول الله ﷺ: « **لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**»[1]

انظر.. على الرغم من أن غيرة عمر على أهله شديدة.. هذه الغيرة التى كانت لا تخفى على رسول الله ﷺ إذ يقول:

« **بينا أنا نائم رأيتنى فى الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟**

قالوا: لعمر، فذكرت غيرته فوليت مدبراً» !!![2]

فعلى الرغم من هذه الغيرة الشديدة إلا أنه أبى أن يخالف أمر رسول الله ﷺ، ولم لا ؟! فما كان لفاروق الأمة الأواب الذى تربى على مائدة القرآن، وتتلمذ على يد سيد الأنام، أن يخالف أمر حبيبه، وقدوته، ومثله الأعلى ﷺ.

* وعن أبى وائل قال: جلست إلى شيبة فى هذا المسجد:

فقال: جلس إلىّ عمر فى مجلسك هذا فقال: هممت أن لا أدع فيها صفراء، ولا بيضاء إلا قسمتُها بين المسلمين.

قلت: ما أنت بفاعل !!

قال: لم ؟ قلت: لم يفعله صاحباك.

---

(١) رواه البخارى رقم (٩٠٠) فى الجمعة.

(٢) رواه البخارى رقم (٣٦٨٠) فى فضائل أصحاب النبى ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

قال: هما المرآن يقتدى بهما[١] !! إنه الاتباع والاقتداء .

* **وفى مسند الإمام أحمد:** عن حارثة بن مضرّب: أنه حج مع عمر ابن الخطاب، فأتاه أشراف أهل الشام، فقالوا: يا أمير المؤمنين إنا أصبنا من أموالنا رقيقاً ودوابٍّ، فخذ من أموالنا صدقة تطهرنا بها، وتكون لنا زكاة، فقال: هذا شيء لم يفعله صاحباى قبلى، ولكن انتظروا حتى أسأل المسلمين[٢].

* **وفى البخارى عن السائب بن يزيد قال :**

كنت قائماً فى المسجد فحصبنى[*] رجل فنظرت فإذا عمربن الخطاب فقال : اذهب فأتنى بهذين، فجئته بهما. قال: من أنتما ؟ أو من أين أنتما ؟ قالا: من أهل الطائف.

قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ،ترفعان أصواتكما فى مسجد رسول الله ﷺ ؟! [٣]

وهذه نصيحته رضى الله عنه لعموم الأمة يقول :

إياكم، وأصحاب الرأى، فإنهم أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن

(١) الرياض النضرة (٢/ ٢٠).
(٢) أخرجه الإمام أحمد فى المسند رقم (٨٢، ٢١٨)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.
(*) أى رمانى بالحصباء.
(٣) رواه البخارى رقم (٤٧٠) فى كتاب الصلاة ، باب :رفع الصوت .

يحفظوها، فقالوا بالرأى فضلوا، وأضلوا[١] .

*** وعن سعيد بن المسيب :**

كسر بعير من المال (أى من مال الصدقة) فنحره عمر، فدعا عليه ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ .

فقال له العباس: لو صنعت هذا كل يوم، تحدثنا عنك.

قال: لا أعود بمثلها، إنه مضى لى صاحبان سلكا طريقاً، فإنى إن عملت بغير عملهما، سلك بى غير طريقهما [٢].

*** وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال:**

سمعت عمر يقول:

« لئن عشت إلى هذا العام المقبل، لا يفتح للناس قرية إلا قسمتها بينهم كما قسم رسول الله ﷺ خيبر»[٣].

*** وعن زيد بن أسلم عن أبيه أيضاً قال:**

سمعت عمر بن الخطاب يقول: « فيما الرملان، والكشف عن المناكب، وقد أطّأ الله الإسلام، ونفى الكفر، وأهله ؟

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ١٥٥) ، وقال ابن القيم، معلقاً : وأسانيد هذا الأثر عن عمر فى غاية الصحة.

(٢) المطالب العالية رقم (٤٣٠١). بسند حسن .

(٣) رواه أحمد فى المسند رقم (٢١٣) ، وقال الشيخ شاكر: إسناده صحيح، ورواه البخارى أيضاً رقم (٤٢٣٥) فى المغازى ، باب غزوة خيبر.

ومع ذلك لا ندع شيئاً كنا نفعله على عهد رسول الله ﷺ[١]

وانظر إلى هذا الخبر العجيب:

عن زيد بن أسلم عن أبيه : أن عمر فرض لأسامة بن زيد فى ثلاثة آلاف، وخمسمائة، وفرض لعبد الله بن عمر فى ثلاثة آلاف.

قال عبد الله بن عمر لأبيه: لم فضلت أسامة علىّ ؟ فوالله ما سبقنى إلى مشهد.

قال عمر : لأن زيداً كان أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك، وكان أسامة أحب إلى رسول الله ﷺ منك ، فآثرت حب رسول الله ﷺ على حبى [٢].

* * *

(١) رواه أحمد فى المسند رقم (٣١٧)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، ورواه أبو يعلى فى مسند (١/ ١٦٨).

(٢) رواه الترمذى رقم (٣٨١٣) فى المناقب ، باب مناقب زيد بن حارثة، وقال هذا الحديث حسن غريب ، وضعفه شيخنا الألبانى فى المشكاة ٦١٦٤ .

عمر وقاف عند كتاب الله عز وجل

إذا كان الفاروق يضرب لنا أروع الأمثلة فى اتباع السنة، والاقتداء برسول الله ﷺ فهو كذلك كان وقافاً عند كتاب الله تعالى .

ففى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال:

قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحرِّ بن قيس، وكان من النَّفر الذين يُدْنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر، ومشاورته كهولاً كانوا، أو شباباً فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخى لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لى عليه، قال: فاسأستأذن لك عليه .

قال ابن عباس: فاستأذن الحرُّ لعيينة فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال : هى يا ابن الخطاب فوالله ما تُعْطِينا الجزل ، ولا تحكم بيننا بالعدل فغضب عمر حتى همَّ به، فقال له الحرَّ: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ : **﴿ خذ العفو ،وأمر بالعرف ،وأعرض عن الجاهلين﴾** وإن هذا من الجاهلين ، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه ، وكان وقافاً عند كتاب الله [1] .

---

(١) رواه البخارى رقم (٤٦٤٢) فى التفسير باب « خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين ».

هـذه هى أُمْـنِيَتُـه

أخرج الحاكم فى المستدرك:

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال لأصحابه: تمنوا .

فقال بعـضهم: أتمنى لو أن هذه الدار مملؤة ذهباً أنفقـه فى سبيل الله وأتصدق.

وقال رجل: أتمنـى لو أنها مملوءة زبرجداً وجـوهراً فأنفـقه فى سـبيل الله، وأتصدق.

ثم قال عمر: تمنوا.

فقالوا: ما ندرى يا أمير المؤمنين

فـقـال عـمـر: أتمنى لو أنهـا ممـلوءة رجـالاً مـثل أبى عـبـيـدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبى حذيفة، وحذيفة بن اليمان [١]

❊ ❊ ❊

(١) الحاكم فى المستدرك (٣/ ٢٢٦)، وصححه ووافقه الذهبى.

عبادته وجوده رضي الله عنه

* عن أسلم أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يصلى ما شاء الله حتى إذا كان من آخر الليل يعظ أهله يقول: الصلاة .. الصلاة: ويتلو هذه الأية: ﴿ **وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها** ﴾ الآية[(١)]

* وعن أبى قتادة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لأبى بكر: « متى توتر ؟ قال: أوتر من أول الليل، وقال لعمر: متى توتر ؟

قال: آخر الليل، فقال لأبى بكر: أخذ هذا بالحذر - وفى رواية - بالحزم، وقال لعمر: أخذ هذا بالقوة»[(٢)].

قال فى عون المعبود: الحزم ضبط الرجل أمره، والحذر من فواته «وبالقوة» أى بالعمل القوى وبثبت العزيمة على قيام الليل.

وقد عرف واشتهر عن الفاروق الأواب اجتهاده فى صيام التطوع.

قال زياد بن حُدير رحمه الله:

رأيت عمر بن الخطاب أكثر الناس صياماً، وأكثرهم سواكاً [(٣)].

---

(١) رواه مالك (١/ ١١٩) فى الموطأ، وعبد الرزاق (٣/ ٤٩)، وأبو داود فى الزهد، وإسناده صحيح، وكذا رواه البيهقى فى الشعب (٢٨٢٢).

(٢) رواه مالك (١/ ١٢٤) فى الموطأ فى صلاة الليل، باب الأمر بالوتر، وأبو داود رقم (١٤٣٤) فى الصلاة، باب فى الوتر قبل النوم، وصححه الألبانى فى صحيح سنن أبى داود، رقم (١٢٧١).

(٣) أخرجه ابن سعد فى الطبقات (٣/ ٢٢٠). بسند صحيح.

أما جوده رضى الله عنه يقول أسلم مولى عمر:

سألنى ابن عمر عن بعض شأنه ؟ يعنى عمر: فأخبرته فقال: ما رأيت أحداً قطُّ بعد رسول الله ﷺ من حين قبض كان أجدَّ، وأجود[١] حتى انتهى: من عمر[٢].

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال:

سمعت عمر بن الخطاب يقول: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، ووافق ذلك عندى مالاً، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، قال فجئت بنصف مالى فقال رسول الله ﷺ: « **ما أبقيت لأهلك؟** » قلت: مثله.

وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: « **يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟** » فقال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسبقه إلى شىء أبداً [٣].

وقول عمر: « لا أسبقه إلى شىء» أى من الفضائل لأنه إذا لم يقدر على مغالبته حين كثرة ماله، وقلة مال أبى بكر ففى غير هذا الحال أولى أن لا يسبقه أ. هـ[٤].

---

(١) قال الحافظ فى الفتح: أى لم يكن أحد أجد منه فى الأمور، ولا أجود بالأموال، وهو محمول على وقت مخصوص، وهى مدة خلافته ليخرج النبى ﷺ، وأبو بكر من ذلك.
(٢) رواه البخارى رقم (٣٦٨٧) فى فضائل أصحاب النبى ﷺ باب مناقب عمر بن الخطاب.
(٣) رواه أبو داود رقم (١٦٧٨) فى الزكاة، باب فى الرخصة فى الرجل يخرج من ماله، والترمذى رقم (٣٦٧٥) فى المناقب، باب مناقب أبى بكر الصديق، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه الحاكم فى المستدرك (١/ ٤١٤) وقال على شرط مسلم، وأقره الذهبى، وحسنه الألبانى فى صحيح سنن أبى داود (١٤٧٢).
(٤) تحفة الأحوذى (١٠/ ١١١) ط الكتب العلمية، عون المعبود (٥/ ٧٢) ط ـ دار الفكر.

وفى البخارى عن زيد بن أسلم عن أبيه قال:

خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى السوق، فلحقت عمر امرأةٌ شابة فقالت: يا أمير المؤمنين، هلك زوجى، وترك صبية صغاراً، والله ما ينضجون كُراعاً[1]، ولا لهم زرع، ولا ضرع، وخشيت أن تأكلهم الضَّبُع[2]، وأنا بنت خُفاف بن إيماء الغفارى، وقد شهد أبى الحديبية مع رسول الله ﷺ فوقف معها عمر، ولم يمض، ثم قال: مرحباً بنسب قريب، ثم انصرف إلى بعير ظهير كان مربوطاً فى الدار فحمل عليه غرارتين، ملأهما طعاماً، وحمل بينهما نفقةً، وثياباً، ثم ناولها بخطامه، ثم قال: اقتاديه، فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير.

فقال رجل: يا أمير المؤمنين أكثرت لها.

قال عمر: ثكلتك أمك، والله إنى لأرى أبا هذه، وأخاها قد حاصرا حصناً زماناً فافتتحاه، ثم أصبحنا نستفىء سهماننا فيه[3].

* * *

(١) هو ما دون كعب الشاة ، قال الخطابى: معناه أنهم لا يكفون أنفسهم معالجة ما يأكلونه
(٢) أى السنة المجدبة، ومعنى تأكلهم: أن تهلكهم (فتح البارى ٧/ ٥٦٦).
(٣) رواه البخارى رقم (٤١٦٠، ٤١٦١) فى المغازى ، باب غزوة الحديبية.

استخلاف أبو بكر الصديق لعمر

عن ابراهيم النخعي قال: أول من ولى أبو بكر شيئاً من أمور المسلمين عمر بن الخطاب، ولاه القضاء، وكان أول قاض في الإسلام[١] .

إن أبو بكر الصديق رضى الله عنه عقد الخلافة من بعده لعمر بن الخطاب رضى الله عنه.

قال ابن الجوزى فى المنتظم نقلاً عن أبى سعد والطبرى:

لما أراد ذلك ـ أى عقد الخلافة من بعده لعمر ـ دعا عبد الرحمن بن عوف، فقال: أخبرنى عن عمر بن الخطاب.

فقال: هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل، ولكن فيه غلظة.

فقال أبو بكر: ذاك لأنه يرانى رفيقاً، ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيراً مما هو عليه.

ثم دعا عثمان بن عفان فقال: أخبرنى عن عمر.

فقال: أنت أخبرنا به.

فقال: على ذلك يا أبا عبد الله.

فقال عثمان: اللهم علمى به أن سريرته خير من علانيته، وأنه ليس

---

(١) مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ٥٢.

فينا مثله.

فقال أبو بكر: يرحمك الله، والله لو تركته ما عَدَوْتُك .

ثم قال له: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر بن أبى قحافة فى آخر عهده بالدنيا خارجاً منها، وأول عهده بالآخرة داخلاً فيها حين يؤمن الكافر، ويوقن الفاجر، ويصدق الكاذب، إنى استخلفت عليكم، ثم أغشى عليه، فكتب عثمان: إنى استخلفت عليكم عمر بن الخطاب، فلما أفاق أبو بكر قال: اقرأ علىّ، فقرأ عليه، فكبر، وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن أفلتت نفسى فى غشيتى؟

قال: نعم .

قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام، وأهله، وأقرها أبو بكر رضى الله عنه، وأمره فخرج على الناس بالكتاب، فبايعوه لمن فيه، قد علموا أنه عمر، ودخل عليه قوم، فقالوا: ما تقول لربك إذا سألك عن استخلافك عمر، وأنت ترى غلظته؟

فقال: أجلسونى، أبالله تخوفونى، خاب من تزود من أمركم بظلم أقول: استخلفت عليهم خير أهلك، ثم دعا عمر، وأوصاه أ. هـ[1].

---

(١) المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك (٤/ ١٢٥، ١٢٦)، وأخرجه ابن الأثير فى أسد الغابة(٤/ ١٥٧)، انظر المطالب العالية (٤٣١٣)، وقال ابن حجر :إسناده صحيح.

خلافته رضي الله عنه

بلغ من لين أبى بكر أن الصبيان كانوا إذا رأوه يسعون إليه، ويقولون: يا أبت! فيمسح رؤوسهم، وبلغ من هيبة عمر أن الرجال تفرّقوا، وتركوا مجالسهم بالأفنية هيبةً. حتى ينظروا ما يكون من أمره، فلما بلغ ذلك عمر، صاح فى الناس: الصلاة جامعة! فحضروا، فجلس على المنبر حيث كان أبو بكر يضع قدميه، فلما اجتمعوا، قام قائماً، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على النبى ﷺ، ثم قال:

بلغنى أن الناس هابوا شدتى، وخافوا غلظتى، وقالوا قد كان عمر يشتد علينا، ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، ثم اشتد علينا وأبو بكر والينا دونه، فكيف وقد صارت الأمور إليه ؟

ومن قال ذلك صدق، فقد كنت مع رسول الله ﷺ، فكنت خادمه، وكان مَنْ لا يبلغ أحدٌ صفته من اللين والرحمة، وكان كما قال الله: ﴿ **بالمؤمنين رؤوف رحيم** ﴾ فكنت بين يديه سيفاً مسلولاً حتى يُغمدنى أو يدعنى فأمضى، فلم أزل مع رسول الله ﷺ على ذلك حتى توفاه الله، وهو عنى راضى، والحمد لله على ذلك كثيراً، وأنا به أسعد.

ثم ولى أمر المسلمين أبو بكر، فكان من لا ينكرون دعته، وكرمه ولينه، فكنت خادمه وعونه، أخلط شدتى بلينه، فأكون سيفاً مسلولاً حتى يُغمدنى أو يدعنى فأمضى، فلم أزل معه كذلك حتى قبضه الله عز

وجل، وهو عنى راض، والحمد لله على ذلك كثيراً، وأنا به أسعد .

ثم أنى قد وليت أموركم أيها الناس، فاعلموا أن تلك الشدة قد أضْعِفت، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم، والتعدى على المسلمين، فأما أهل السلامة، والدين والقصد، فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض، ولست أدع أحداً يظلم أحداً، أو يتعدى عليه حتى أضع خده على الأرض، وأضع قدمى على الخد الآخر حتى يذعن بالحق، وإنى بعد شدتى تلك أضع خدى على الأرض لأهل العفاف ، وأهل الكفاف .

ولكم علىّ أيها الناس خصال أذكرها لكم فخذونى بها:

لكم علىّ أن لا أجتبى شيئاً من خراجكم، ولا مما أفاء الله عليكم إلا من وجهه، ولكم علىّ إذا وقع فى يدى ألا يخرج منى إلا فى حقه، ولكم علىّ أن أزيد عطاياكم ، وأرزاقكم إن شاء الله تعالى، وأسد ثغوركم، ولكم علىّ ألا ألقيكم فى المهالك، ولا أجمركم فى ثغوركم ، وإذا غبتم فى البعوث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا إليهم .

فاتقوا الله عباد الله ! وأعينونى على أنفسكم بكفها عنى، وأعينونى على نفسى بالأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وإحضارى النصيحة فيما ولانى الله من أمركم .

أقول قولى هذا، وأستغفر الله لى، ولكم[1].

---

(١) الخراج لأبى يوسف : ١٤٠ نقلاً عن اخبار عمر (ص :٥٦).

* **وعن جامع بن شداد عن أبيه قال:**

كان أول كلام تكلم به عمر حين صعد المنبر أن قال: اللهم إنى شديد فلينى، وإنى ضعيف فقونى، وإنى بخيل فسَخّنى[1].

وفى مسند الإمام أحمد عن أبى فراس قال:

خطب عمر بن الخطاب فقال: أيها الناس، ألا إنا إنما كنا نعرفكم إذ بين ظهرينا النبى ﷺ، وإذ ينزل الوحى، وإذ ينبئنا الله من أخباركم، ألا وإن النبى ﷺ قد انطلق، وقد انقطع الوحى، وإنما نعرفكم بما نقول لكم: من أظهر منكم خيراً ظننا به خيراً ، وأحببناه عليه، ومن أظهر منكم لنا شراً ظننا به شراً وأبغضناه عليه، سرائركم بينكم وبين ربكم، ألا إنه قد أتى على حين ، وأنا أحسب أن من قرأ القرآن يريد الله وما عنده، فقد خيل إلى بآخره ألا إن رجالاً قد قرؤوه يريدون به ما عند الناس، فأريدوا الله بقراءتكم، وأريدوه بأعمالكم، ألا إنى والله ما أرسل عمالى إليكم ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم، وسنتكم، فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه إلى ، فوالذى نفسى بيده إذن لأقصنه منه.

فوثب عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين، أرأيت إن كان رجل من المسلمين على رعية فأدب بعض رعيته أئنك لمقتصه منه ؟

---

(١) أخرجه ابن سعد فى الطبقات (٣/٢٠٨) ورجاله ثقات

قال: إي والذي نفس عمر بيده، إذن لأقصنه منه، وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه، ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تجمروهم فتفتنوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم، ولا تنزلوا الغياض فتضيعوهم[١].

قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه :

لما حضرت أبي بكر الوفاة رأى أن عمر أقوى عليها، ولو كانت محاباة لآثر بها ولده، واستشار المسلمين في ذلك، فمنهم من رضي، ومنهم من كره، وقالوا : أتؤمر علينا من كان عنّاناً، وأنت حي؟! فماذا تقول لربك إذا قدمت عليه ؟ قال: أقول لربي إذا قدمت عليه: إلهي أمَّرتُ عليهم خير أهلك، فأمَّر علينا عمر، فقام فينا بأمر صاحبيه، لا ننكر منه شيئاً، نعرف الزيادة كل يوم في الدين، والدنيا، فتح الله به الأرضين، ومَصَّرَ به الأمصار، لا تأخذه في الله لومة لائم، البعيد، والقريب سواءٌ في العدل، والحق، وضرب الله بالحق على لسانه، وقلبه، حتى أن كنا نظن أن السكينة تنطق على لسانه، وأن ملكاً بين عينيه يُسَدِّده، ويوفقه[٢].

---

(١) رواه أحمد في المسند رقم (٢٨٦) ، وقال الشيخ أحمد شاكر : إسنادة حسن، والحاكم بنحوه (٤/ ٤٣٩)، وقال صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، وهو في كنز العمال(٤٤٢١٢).

(٢) أسد الغابة (٤/ ١٥٦، ١٥٧). بسند رجاله ثقات .

صور من خلافته الرشيدة

بينما عمر بن الخطاب يتصفح الناس يسألهم عن أمراء أخبارهم، إذ مرَّ بأهل حمص، فقال: كيف أنتم؟ وكيف أميركم ؟ قالوا: خير أمير يا أمير المؤمنين إلا أنه قد بنى عُلِّيَّة يكون فيها .

فكتب كتاباً، وأرسل بريداً، وأمره إذا جئت باب عُلِّيَّته فاجمع حطباً وأحرق الباب .

فلما قدم جمع حطباً، وأحرق باب العُلِّيَّة، فدخل عليه الناس، وذكروا أن هاهنا رجلاً يحرق باب عليتك!

فقال : دعوه فإنه رسول أمير المؤمنين، ثم دخل عليه فناوله الكتاب، فلم يضع الكتاب من يده حتى ركب، فلما رآه عمر قال: احبسوه عنى فى الشمس ثلاثة أيام، فحبس عنه ثلاثاً، حتى إذا كان بعد ثلاث، قال: يا ابن قرط ! الحقنى إلى الحرَّة(وفيها إبل الصدقة، وغنمها) حتى إذا جاء الحرَّة ألقى عليه جبة، وقال: انزع ثيابك واتزر بهذه ، ثم ناوله الدلو فقال: اسق هذه الابل، فلم يفرغ حتى لَغَب (أى تعب).

فقال: يا ابن قرط ! متى كان عهدك بهذا ؟

قال: ملياً (أى زماناً) يا أمير المؤمنين .

قال : فلهذا بنيت العُلِّيَّة ، وأشرفت بها على المسلمين، والأرملة واليتيم؟

ارجع إلى عملك، ولا تعد [١].

*** قال ابن الأثير:**

قال الأحنف: كنت مع عمر بن الخطاب، فلقيه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، انطلق معى فأَعْدِنى[٢] على فلان، فإنه قد ظلمنى

قال: فرفع الدرة فخفق بها رأسه فقال: تَدَعُون أمير المؤمنين ، وهو مُعْرِض لكم (أى ظاهر لكم) حتى إذا شُغِل فى أمرٍ من أمور المسلمين أتيتموه : أعْدِنى أعْدِنى!

قال: فانصرف الرجل، وهو يتذَمَّر، قال: عَلَىّ الرجل فألقى إليه المخْفَقَة، وقال: امتثل، فقال: لا والله، ولكن أَدَعُها لله ولك.

قال: ليس هكذا، إما أن تدعها لله إرادة ما عنده، أو تدعها لى، فأعلم ذلك .

قال: أدعها لله، قال: فانصرف ثم جاء يمشى حتى دخل منزله، ونحن معه، فصلى ركعتين، وجلس فقال: يا ابن الخطاب، كنت وضيعاً فرفعك الله، وكنت ضالاً فهداك الله، وكنت ذليلاً فأعزك الله، ثم حملك على رقاب الناس فجاءك رجل يستَعدِيك فضربته، ما تقول لربك غداً إذا أتيته؟

---

(١) الرياض النضرة (٢/ ٥٥).

(٢) قال ابن سيدة : العَدْوى النُصْرَة ، والمعونة ، وأعداه عليه: نصره ، وأعانه، استعداه: استنصره وأعانه (انظر لسان العرب (٤/ ٢٨٥٠).

قال: فجعل يعاتب نفسه فى ذلك معاتبة حتى ظننا أنه خير أهل الأرض[١].

* عن مالك بن أوس بن الحدثان قال:

كان عمر يحلف على أيمان ثلاث: يقول: والله ما أحد أحق بهذا المال من أحد، وما أنا بأحق به من أحد، والله ما من المسلمين أحد إلا وله فى هذا المال نصيب إلا عبداً مملوكاً، ولكنا على منازلنا من كتاب الله تعالى، وقسمنا من رسول الله ﷺ، فالرجل وبلاؤه فى الإسلام، والرجل وقدمه فى الإسلام، والرجل وغناؤه فى الإسلام، والرجل وحاجته ، ووالله لئن بقيت لهم ليأتين الراعى بجبل صنعاء حظه من هذا المال، وهو يرعى مكانه[٢].

*** عن الأسود بن يزيد قال:**

كان الوفد إذا قدموا على عمر رضى الله عنه سألهم عن أميرهم فيقولون خيراً: فيقول: هل يعود مرضاكم؟ فيقولون : نعم، فيقول: هل يعود العبد ؟

فيقولون: نعم، فيقول: كيف صنيعه بالضعيف؟ هل يجلس على بابه؟ فإن قالوا لخصلة منها: لا، عزله .

(١) أسد الغابة لابن الأثير(٤/ ١٤٨).

(٢) أخرجه أحمد فى المسند رقم (٢٩٢)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، وأخرجه ابن سعد فى الطبقات (٣/ ٢٢٧) ، والطبرى فى تاريخه (٢/ ٥٧١).

*** عن ابن خزيمة بن ثابت الأنصارى قال:**

كان عمر إذا استعمل عاملاً كتب له عهداً، وأشهد عليه رهطاً من المهاجرين والأنصار، واشترط عليه ألا يركب برذوناً، ولا يأكل نقياً، ولا يلبس رقيقاً، ولا يتخذ باباً دون حاجات الناس (١).

*** عن عبد الله بن عتبة:**

سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: إن أناساً كانوا يؤخذون بالوحى فى عهد رسول الله ﷺ، وإن الوحى قد انقطع ، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيراً أمنّاه ، وقربناه، وليس إلينا من سريرته شىء، الله يحاسب سريرته، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه، ولم نُصدِّقه، وإن قال : إن سريرته حسنة (٢).

قال الحافظ فى الفتح:

قال المهلب: هذا أخبار من عمر عما كان الناس عليه فى عهد رسول الله ﷺ وعما صار بعده، ويؤخذ منه أن العدل من لم توجد منه الريبة، وهو قول أحمد، واسحق كذا قال، وهذا هو فى حق المعروفين لا من لا يعرف حاله أصلاً أ. هـ(٣)

عن زيد بن وهب قال: خرج عمر رضى الله عنه، ويداه فى أذنيه

(١) تاريخ الطبرى (٢/ ٥٦٩). بسند صحيح .
(٢) رواه البخارى رقم (٢٦٤١). فى الشهادات، باب الشهداء العدول .
(٣) فتح البارى (٥/ ٣١٦) الكتب العلمية .ط الثانية.

وهو يقول : يا لبيكاه! يا لبيكاه ! قال الناس: ماله ؟!!

قـال: جـاءه بريـدٌ من بعض أمـراءه، أن نهـراً حـال بـينهم، وبين العبور، ولم يجدوا سُفناً فقال أميرهم: اطلبوا لنا رجلاً ، يعلم غور الماء فـأتى بشيخ، فـقال : إنى أخـاف البرد، وذلك فى البـرد، فأكـرهه ، فأدخله، فلم يلبثه البرد، فجعل ينادى: يا عمراه . . يا عمراه . . فغرق.

فكتب إليه فأقبل فمكث أياماً مـعرضاً عنه، وكان إذا وَجَد على أحدٍ منهم فعل به ذلك، ثم قال: ما فعل الرجل الذى قتلته ؟!

قال: يا أمير المؤمنين، ما تعمدت قتله، لم نجد شيئاً نعبر فيه وأردنا أن نعلم غور الماء، ففتحنا كذا، وكذا، وأصبنا كذا ، وكذا(أى من الغنيمة).

فقـال عمـر: لرجل مسلم أحب إلىّ من كل شىء جـئت به، لولا أن تكون سُنّة !! لضـربت عنقـك، اذهب فاعط أهـله ديته، وأخـرج فـلا أراك[1].

«مرحبا بالناصح غدوا وعشيا»

وعند الطبرى[2] بسند رجاله ثقات عن عمران بن سوادة قال:

صليت الصـبح مع عـمـر فـقرأ: «سـبـحـان»، وسـورة معـهـا، ثم انصـــــرف، وقـــمـت مـــعـــــه، فـــقـــــال أحـــاجــــــة ؟

(١) أخرجه البيهقى (٨/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣) وإسناده صحيح.
(٢) تاريخ الطبرى (٢/ ٥٧٩). بسند رجاله ثقات.

قلت: حاجة، قال: فالحق، قال: فلحقت، فلما دخل أذن لى، فإذا هو على سرير ليس فوقه شىء، فقلت: نصيحة، فقال: مرحباً بالناصح غدواً وعشياً.

قلت: عابت أمتك منك أربعاً، قال: فوضع رأس دِرّته فى ذقنه، ووضع أسفلها على فخذه، ثم قال: هات.

قلت: ذكروا أنك حَرَّمت العمرة فى أشهر الحج، ولم يفعل ذلك رسول الله ﷺ، ولا أبو بكر رضى الله عنه، وهى حلال.

قال: هى حلال لو أنهم اعتمروا فى أشهر الحج، رأوها مجزيةً من حجَّهم، فكانت قائبة قربِ عامها، فقَرع حجُّهم، وهو بهاء من بهاء الله، وقد أصبت.

قلت: وذكروا أنك حرمت متعة النساء وقد كانت رخصة من الله نستمتع بقبضة، ونفارق عن ثلاث:

قال: إن رسول الله ﷺ أحلها فى زمان ضرورة، ثم رجع الناس إلى السَّعة، ثم لم أعلم أحداً من المسلمين عمل بها، ولا عاد إليها، فالآن من شاء نكح بقُبضة، وفارق عن ثلاث بطلاق، وقد أصبت.

قلت: وأعتقت الأمة إن وضعت ذا بطنها بغير عتاقة سيدها.

قال: ألحقت حرمة بحرمة، وما أردت إلا الخير، وأستغفر الله.

قلت: وتشكوا منك نهر الرعية وعُنف السياق.

قال: فشـرع الدّرة، ثم مسحها حـتى أتى على آخرها ، ثم قال: أنا زميل مـحمـد - وكان زامله فى غـزوة قرقرة الكُدْر- فـوالله إنى لأرتع فأشـبع، وأسقى فأروى، وأنهـز اللفوت، وأزجر العَـروض، وأذب قدْرى، وأسـوق خَطْوى، وأضم العَنود، وألحق القطـوف، وأكثـر الزّجـر، وأقِلّ الضرب، وأشهر العصا، وأدفع باليد، لولا ذلك لاغتررت.

قال: فبلغ ذلك معاوية، فقال: كان والله عالماً برعيّتهم.

*** وذكر ابن الجوزى فى مناقب عمر قال:**

وعن الشعبى قال: بينما عمر يعس ذات ليلة إذ مر بامرأة جالسة على سرير، وقد أجافت الباب وهى تقول:

تطاول هذا الليل واخـضل جانبـه ... وأرقنى أن لا خليـل ألاعـبـه
فـوالله لولا الـله لا شىء غـيـره ... لحرك من هذا السـرير جوانبه

فقال عمر: أوه.. ثم خـرج حتى دخل على حفصة أم المؤمنين رضى الله عنها.

فقالت: يا أمير المؤمنين ما جاء بك فى هذا الوقت ؟!!

قال : أى بنية كم تحتاج المرأة إلى زوجها ؟

فقالت: فى ستة أشهر، فكان لا يغزى جيشاً له أكثر من ستة أشهر.

*** وعن أسلم قال:** بينما أنا مع عمر بن الخطاب، وهو يعس بالمدينة إذ عيى فاتكأ على جانب جدار فى جوف الليل، وإذا امرأة تقول لابنتها: يا

بنتاه قومى إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء .

قالت لها: يا أمتاه أو ما علمت بما كان من عزمة أمير المؤمنين؟

قالت : وما كان من عزمته يا بنية ؟!

قالت: إنه أمر مناديه فنادى لا يشاب اللبن بالماء.

فقالت لها: يا بنية قومى إلى اللبن فامذقيه بالماء، فإننا بموضع لا يراك عمر، ولا منادى عمر.

فقالت الصبيةلأمها: يا أمتاه ، والله ما كنت لأطيعه فى الملأ، وأعصيه فى الخلاء، وعمر يسمع ذلك كله، فقال: يا أسلم علّم الباب، واعرف الموضع، ثم مضى فى عسسه، فلما أصبح قال: يا أسلم امض إلى الموضع، فانظر من القائلة، ومن المقول لها، وهل لهما من بعل؟

فأتيت الموضع فنظرت فإذا الجارية أيم لا بعل لها، وإذا تيك أمها ليس لها بعل، فأتيت عمر فأخبرته، فدعا عمر ولده، فجمعهم فقال: هل فيكم من يحتاج امرأة فأزوجه؟ لو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحد إلى هذه الجارية، فقال عبد الله: لى زوجة، وقال عبد الرحمن: لى زوجة، وقال عاصم: يا أبتاه لا زوجَة لى، فزوجنى، فبعث إلى الجارية فزوجها من عاصم، فولدت له بنت، فولدت البنت عمر بن عبد العزيز رحمه الله [1].

(١) أخرجه ابن حبان فى العقلاء ص٥٤ . بسند حسن.

وعند الطبري[١] أيضاً: كان عمر بن الخطاب يقول :

أربع من أمر الإسلام لست مضيِّعهنّ ، ولا تاركهنّ لشيء أبداً:

القوة في مال الله، وجمعه حتى إذا جمعناه وضعناه حيث أمر الله، وقعدنا آل عمر ليس في أيدينا ، ولا عندنا منه شيء.

والمهاجرون الذين تحت ظلال السيوف، ألا يحبسوا، ولا يجمَّروا، وأن يوفر فيء الله عليهم، وعلى عيالاتهم، وأكون أنا للعيال حتى يقدموا.

والأنصار الذين أعطوا الله عز وجل نصيباً، وقاتلوا الناس كافة، أن يقبل من محسنهم، ويُتجاوز عن مسيئهم، وأن يشاوروا في الأمر.

والأعراب الذين هم أصل العرب، ومادة الإسلام، وأن تؤخذ منهم صدقتهم على وجهها، ولا يؤخذ منهم دينار، ولا درهم، وأن يرد على فقرائهم، ومساكينهم.

قال ابن الجوزي :

كان عمر بن الخطاب إذا بعث عماله يشترط عليهم: أن لا تتخذوا على المجالس التي تجلسون فيها للناس باباً، ولا تركبوا البراذين، ولا تلبسوا الثياب الرقاق، ولا تأكلوا النقي، ولا تغيبوا عن صلاة الجماعة، ولا تطمعوا فيكم السعاة .

فمر يوماً في طريق من طرق المدينة، وفي ناحية منها رجل

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٥٧٩، ٥٨٠). بسند رجاله ثقات.

يسأل، فقال: يا عمر تستعمل العمال وتعهد إليهم عهدك، ثم ترى أن ذلك قد أجزأك، كلا والله: إنك لمأخوذ إذا لم تعاهدهم، قال: وماذاك ؟

قال: عياض بن غنم يلبس اللين، ويفعل ويفعل، فقال: أساعٍ ؟ قال: بل مؤدى الذى عليه.

فبعث إلى محمد بن مسلمة أن الحق بعياض بن غنم فآتنى به كما تجده، فانتهى إلى بابه، وإذا عليه بواب، فقال له: قل لعياض على الباب رجل يريد أن يلقاك، قال: ما تقول؟

قال: قل له: ما أقول لك.

فذهب كالمتعجب، فأخبره، فعرف عياض أنه أمر حدث، فخرج فإذا محمد بن مسلمة، فرحب به، وقال: ادخل، وإذا عليه قميص رقيق لين، فقال: أمير المؤمنين أمرنى أن لا يفارق سوادى سوادك، حتى أذهب بك كما أجدك، ونظر فى أمره، فوجد الأمر كما حدثه السائل.

فلما قدم به على عمر، وأخبره، ودعا بدراعة، وكساء، وحذاء وعصا، وقال: أخرجوه من ثيابه، فأخرج منها، وألبسه ذلك، ثم قال: انطلق بهذه الغنم فأحسن رعايتها، وسقيها، والقيام عليها، واشرب من ألبانها، واجتز من أصوافها، وارفق بها، فإن فضل شىء فأردده علينا، فلما مضى رده، وقال: أفهمت ؟ قال: نعم، والموت أهون من هذا، قال: كذبت، ولكن ترك الفجور أهون من هذا، ثم قال له: أرأيت لو

رددتك أتراه يكون فيك خير ؟ قال: نعم والله يا أمير المؤمنين، لا يبلغنك عنى شىء بعد هذا، فرده، ولم يبلغه عنه شىء إلا ما أحب حتى مات أ. هـ[١]

بالله عليك هل فى لغة البشر، وقواميس الدنيا ما نعبر به عن عدل الفاروق عمر ؟!!

*** وقال ابن الجوزى أيضاً :**

قال ابن سعد: كان عدى بن فضلة قديم الإسلام بمكة، وهاجر إلى الحبشة، ومات هناك أول من مات ممن هاجر، وأول من ورث فى الإسلام، ورثه ابنه النعمان، وكان عمر قد استعمل النعمان على ميسان، وكان يقول الشعر ، فقال :

ألا هل أتى الحسناء أن حليلها ... بميسان يسقى من زجاج وحنتم
إذا شئت غنتنى دهاقين قرية ... ورقاصة يحثو على كل ميسم
فإن كنت ندما فى فبالأكبر اسقنى ... ولا تسقنى بالأصغر المتثلم
لعل أمير المؤمنين يسوؤه ... تنادماً فى الجوسق المتهدم

فلما بلغ عمر قوله قال: نعم، والله إنه ليسوؤنى من لقيه فليخبره أنى قد عزلته، فقدم عليه رجل من قومه فأخبره بعزله، فقدم على عمر، فقال: والله ما صنعت شيئاً مما قلت، ولكن كنت امرءاً

---

(١) المنتظم لابن الجوزى (٤/ ١٣٧).

شاعـراً، وجدت فضلاً من قـول فقلت فيه الشـعر، فقال عـمر: والله لا تعمل على عمل ما بقيت، وقد قلت ما قلت أ. هـ[١].

*** و فى البخارى عن المغيرة بن حكيم الصنعانى عن أبيه قال:**

أن امرأة بصـنعاء غاب عنـها زوجهـا، وترك فى حجـرها ابناً له من غيرها غـلاماً يقال له أصيل، فاتخـذت المرأة بعد زوجها خليـلاً فقالت له: إن هذا الغلام يفضحنا فـاقتله فأبى، فامتنعت منه، فطاوعهـا، فاجتمع على قتل الغلام الرجل، ورجل آخر، والمرأة، وخادمـها فقتلوه، ثم قطعوه أعضاء، وجـعلوه فى عيبة (هى وعاء من أدم) فطرحـوه فى ركية (هى البئر التى لم تطو) فى ناحية القرية ليس فيها ماء، فَأُخِذَ خليلها، فاعترف ثم اعتـرف الباقون فكتب يعلى - وهو يومئـذ أمير - بشأنهم إلـى عمر فكتب إليه عمر بقـتلهم جميعاً، وقال: والله لو أن أهل صنعـاء اشتركوا فى قتله لقتلتهم أجمعين»[٢].

وفى مسند الإمام أحمد :

جاء رجل إلى عـمر، وهو بعـرفة فقـال: جئت يا أميـر المؤمنين من الكوفـة، وتركت بهـا رجـلاً يملـى المصـاحف عـن ظهـر قلبـه ، فغضب، وانتـفخ حتى كاد يملأ مـا بين شُعبتى الرَّحْل، فـقال: ومن هو

---

(١) المنتظم لابن الجوزى (٤/ ١٣٨)، وقال محققه: الخبر، والشعر فى الإصابة (٦/ ٢٤٣) مع بعض الاختلاف فى العبارة .

(٢) رواه البخارى رقم (٦٨٩٦) فى الديات مختصراً ، وانظر الفتح (١٢/ ٢٨١).

ويحك ؟ قال: عبد الله بن مسعود، فمازال يُطْفأ ويسرَّى عنه الغضب حتى عاد إلى حالته التى كان عليها، ثم قال: ويحك والله ما أعلمه بقى من الناس أحد هو أحق بذلك منه، وسأحدثك عن ذلك، كان رسول الله ﷺ لا يزال يسمر عند أبى بكر الليلة كذاك فى الأمر من أمر المسلمين، وإنه سمر عنده ذات ليلة، وأنا معه، فخرج رسول الله ﷺ فخرجنا معه، فإذا رجل قائم يصلى فى المسجد، فقام رسول الله ﷺ يستمع قراءته، فلما كدنا أن نعرفه قال رسول الله ﷺ:

« من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أُنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد».

قال: ثم جلس الرجل يدعو، فجعل رسول الله ﷺ يقول له:

« سل تُعْطَهْ، سل تُعْطَهْ».

قال عمر: قلت: والله لأغدُوَنَّ إليه فلأبشرنَّهُ قال: فغدوت لأبشره فوجدت أبا بكر قد سبقنى إليه، فبشره، ولا والله ما سبقته إلى خير قط إلا وسبقنى إليه[1].

وفى مصنف ابن أبى شيبة، والبيهقى:

عن صفية بنت أبى عبيد قالت: تزلزلت الأرض على عهد عمر حتى اصطفقت السُّرَرُ، فخطب عمر الناس فقال: أحدثتم، لقد عجلتم، لئن

---

(١) رواه أحمد فى المسند رقم (١٧٥) ، وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح.

عادت لأخرجن من بين ظهرانيكم، ولا أساكنكم فيها أبداً »[١].

(إنه القاضي الفقيه العالم)

وأخرج البخاري (٣٠٩٤) عن مالك بن أوس قال:

بينما أنا جالس في أهلي حين متع النهار، إذا رسول عمر بن الخطاب يأتيني فقال: أجب أمير المؤمنين، فانطلقت معه حتى أدخل على عمر، فإذا هو جالس على رمال سرير ليس بينه وبينه فراش، متكىء على وسادة من أدم. فسلمت عليه، ثم جلست، فقال:

يا مال (أي يا مالك) إنه قدم علينا من قومك أهل أبيات، وقد أمرت فيهم برَضْخ[٢] فاقبضه، فاقسمه بينهم.

فقلت: يا أمير المؤمنين، لو أمرت له غيري.

قال: فاقبضه أيها المرء، فبينما أنا جالس عنده أتاه حاجبه يرفأ .

فقال: هل لك في عثمان، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير، وسعد بن أبي وقاص يستأذنون، قال: نعم. فأذن لهم، فدخلوا فسلموا، وجلسوا، ثم جلس يرفأ يسيراً، ثم قال: هل لك في عليّ، وعباس؟

قال: نعم. فأذن لهما، فدخلا، فسلَّما فجلسا.

---

(١) ابن أبي شيبة (٢/ ٤٧٣)، والبيهقي (٣/ ٣٤٢) ، وإسناده صحيح.

(٢) برضخ: أي عطية غير كثيرة ، ولا مقدرة.

فقال عباس: يا أمير المؤمنين اقضى بينى، وبين هذا ـ وهما يختصمان فيما أفاء الله على رسوله من مال بنى النضير ـ فقال الرهط ـ عثمان وأصحابه ـ: يا أمير المؤمنين اقض بينهما، وأرح أحدهما من الآخر.

فقال عمر: تيدكم (أى أصبروا، وأمهلوا، وعلى رسلكم، والتؤدة : الرفق) أنشدكم بالله الذى بإذنه تقوم السماء، والأرض، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: لا نورث، ما تركنا صدقة ؟ يريد رسول الله ﷺ نفسه.

قال الرهط: قد قال ذلك. فأقبل عمر على عَلِىّ وعباس فقال : أنشدكما الله، أتعلمان أن رسول الله ﷺ قد قال ذلك ؟ قالا: قد قال ذلك.

قال عمر: فإنى أُحدِّثكم عن هذا الأمر: إن الله قد خص رسوله ﷺ فى هذا الفىء بشىء لم يعطه أحداً غيره، ثم قرأ ﴿ وما أفاء الله على رسوله منهم ـ إلى قوله ـ قدير﴾ فكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ، ووالله ما اجتازها دونكم، ولا أستأثر بها عليكم، قد أعطاكموه ، وبثها فيكم حتى بقى منها هذا المال، فكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال، ثم يأخذ ما بقى فيجعله مجعل مال الله، فعمل رسول الله ﷺ بذلك حياته، أنشدكم الله هل تعلمون ذلك ؟ قالوا :نعم.

قال عمر : ثم توفى الله نبيه ﷺ فقال: أبو بكر: أنا ولى رسول الله ﷺ، فقبضها أبو بكر ، فعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ ، والله يعلم إنه فيها لصادق بارٌّ راشد تابع للحق، ثم توفى الله أبا بكر، فكنت أنا ولىُّ أبى بكر، فقبضتها سنتين من إمارتى أعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ، وما عمل فيها أبو بكر، والله يعلم إنى فيها لصادق بارٌّ راشد تابع للحق.

ثم جئتمانى تُكلمانى، وكلمتكما واحدة، وأمركما واحد، جئتنى يا عباس تسألنى نصيبك من ابن أخيك، وجاءنى هذا - يريد علياً - يريد نصيب امرأته من أبيها فقلت لكما: إن رسول الله ﷺقال: « **لا نورث، ما تركنا صدقة**» فلما بدا لى أن أدفعه إليكما قلت: إن شئتما دفعتها إليكما على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ، وبما عمل فيها أبو بكر، وبما عملت فيها منذ وليتها، فقلتما: ادفعها إلينا، فبذلك دفعتها إليكما فأنشدكم بالله، هل دفعتها إليهما بذلك؟

قال الرهط: نعم. ثم أقبل على علىّ وعباس.

فقال : أنشدكما بالله هل دفعتها إليكما بذلك؟

قالا: نعم.

قال: فتلتمسان منى قضاء غير ذلك؟فوالله الذى بإذنه تقوم السماء

والأرض لا أقضى فيها قضاء غير ذلك، فإذا عجزتما عنها فادفعاها إلىّ، فإنى أكفيكُماها[١].

انظر إلى حكمة هذا الرجل و دقة اتباعه لصاحبيه محمد ﷺ، وأبى بكر رضى الله عنه، إنه الخليفة الراشد والحاكم العادل.

* * *

(١) رواه البخارى رقم (٣٠٩٤) فى الخمس، باب فرض الخمس، ومسلم رقم (١٧٥٧) فى الجهاد والسير، باب حكم الفىء ، وأبو داود رقم (٢٩٦٣) فى الخراج والإمارة، والترمذى فى السير ، والنسائى فى كتاب الفىء.

صور من شفقته على الرعية

قال ابن الجوزي :عن أبي عثمان قال:

استعمل عمر رضي الله عنه رجلاً من بني أسد على عمل، فدخل ليسلم عليه فأُتي عمر ببعض ولده فقبله، فقال الأسدي: أتقبل هذا يا أمير المؤمنين؟ فوالله ما قبلت ولداً لي قط!!

فقال عمر : فأنت والله بأولاد الناس أقل رحمة ، لا تعمل لي عملاً أبداً ،فرد عهده أو قال : فما ذنبي إن كان الله عز وجل نزع الرحمة من قلبك ،وإنما يرحم الله من عباده الرحماء، ثم قال: مزّق الكتاب، فإنه إذا لم يرحم أولاده، فكيف يرحم الرعية[1].

*** وفي مسند الإمام أحمد:**

عن فرّوخ مولى عثمان: أن عمر، وهو يومئذ أمير المؤمنين خرج إلى المسجد فرأى طعاماً منثوراً فقال: ما هذا الطعام؟

فقالوا: طعام جلب إلينا، قال: بارك الله فيه، وفيمن جلبه.

قيل: يا أمير المؤمنين، فإنه قد احتكر، قال: ومن احتكره؟ قالوا: فرّوخ مولى عثمان، وفلان مولى عمر، فأرسل إليهما فدعاهما، فقال: ما حملكما على احتكار طعام المسلمين؟ قالا: يا أمير المؤمنين نشتري

(١) أخرجه عبد الرزاق (٢٠٥٩٠) ،والبخاري في الأدب (٩٩)، وحسن إسناده شيخنا الألباني في صحيح الأدب المفرد (٧٢).

بأموالنا ونبيع فقال عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالإفلاس أو بجذام**».

فقال فروخ عند ذلك: يا أمير المؤمنين أعاهد الله وأعاهدك أن لا أعود فى طعام أبداً، وأما مولى عمر فقال: إنما نشترى بأموالنا ونبيع، قال أبو يحيى (راوى الحديث عن فروخ): فلقد رأيت مولى عمر مجذوماً[1].

*** وفى صحيح البخارى :**

قال أسلم مولى عمر: استعمل عمر مولى له على الحمى، فقال: يا هُنَىُّ أضمُمْ جناحك عن المسلمين، واتق دعوة المظلوم، فإنها مستجابة، وأدخل ربَّ الصُّريمةَ والغُنَيْمة (أى صاحب القطعة القليلة من الإبل والغنم)، وإيَّاى، ونَعَم ابن عوف، ونَعم ابن عفان[2] فإنهما إن تهلك ماشيتهما يرجعان إلى زرعٍ ونخلٍ، وإن رب الصُّرَيْمة، والغُنَيْمة إن تهلك ماشيتهما، يأتينى ببنيه فيقول: يا أمير المؤمنين ! أفتاركهم أنا لا أبالك ! فالماء، والكلأ أيْسرُ على من الذهب والفضة، وأيم الله إنهم

(١) أخرجه أحمد فى المسند رقم (١٣٥)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، والحديث رواه ابن ماجة مختصراً ، وأشار إليه البخارى فى التاريخ الكبير (٤/٢/٢١٦ ـ ٢١٧) .

(٢) قال الحافظ فى الفتح (٦/ ٢١٧): خصها بالذكر على طريق المثال لكثرة نعمهما لأنهما كانا من مياسير الصحابة، ولم يرد بذلك منعهما البتة، وإنما أراد أنه إذا لم يسع المرعى إلا نعم أحد الفريقين، فنعم المقلين أولى فنهاه عن إيثارهما على غيرهما ، أو تقديمهما قبل غيرهما .

لَيَرَوْن أنى قد ظلمتهم، إنها لبلادهم قاتلوا عليها فى الجاهلية، وأسلموا عليها فى الاسلام، والذى نفسى بيده لولا المال الذى أحمل عليه فى سبيل الله ما حَمَيْتُ عليهم من بلادهم شبراً [1].

***و عن ابن عمر قال:** قَدِمَتْ رُفقةٌ من التجار فنزلوا المُصَلَّى فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف: هل لك أن نَحْرسَهم الليلة من السَّرق؟ فباتا يحرسانهم، ويصليان ما كتب الله لهما، فسمع عمر بكاء صبيّ فتوجه نحوه فقال لأمه: اتقى الله، وأحْسنى إلى صبيك، ثم عاد إلى مكانه، فسمع بكاءه فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك، ثم عاد إلى مكانه، فلما كان آخر الليل سمع بكاءه فأتى أمه فقال: ويحك: إنى لأراك أمّ سَوْء، مالى أرى ابنك لا يَقرّ منذ الليلة ؟

قالت: يا عبد الله قد أبْرَمْتَنى منذ الليلة، إنى أُريغُه عن الفطام فأبى؟ قال: ولم ؟

قالت: لأن عمر لا يفرض إلا للفُطُم، قال: وكم له ؟ قالت: كذا وكذا شهراً، قال: ويحك لا تعجليه !

فصلى الفجر، وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء، فلما سلّم قال: يا بؤساً لعمر، كم قتل من أولاد المسلمين ؟! ثم أمر منادياً فنادى :

(١) رواه البخارى رقم(٣٠٥٩) فى الجهاد، والسير ، باب إذا أسلم قوم فى دار الحرب، ولهم مال ، وأرضون فهى لهم.

ألا لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام، فإنا نفرض لكل مولود فى الإسلام، وكتب بذلك إلى الآفاق، أن يفرض لكل مولود فى الإسلام(١).

و فى البخارى عن زيد بن أسلم عن أبيه قال:

خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى السوق، فلحقت عمر امرأة شابة فقالت: يا أمير المؤمنين، هلك زوجى، وترك صبية صغاراً، والله ما ينضجون كراعاً (أى لا كراع لهم ينضجونه، والكراع هو ما دون الكعب من الشاة)، ولا زرع لهم، ولا ضرع (ليس لهم نبات ،وليس لهم ما يحلبونه)، وخشيت أن تأكلهم الضَّبُع(أى خشيت أن تهلكهم السنة المجدبة) وأنا بنت خُفاف بن إيماء الغفارى، وقد شهد أبى الحديبية مع النبى ﷺ، فوقف معها عمر، ولم يمض، ثم قال: مرحباً بنسب قريب، ثم انصرف إلى بعير ظهير (أى قوى الظهر معد للحاجة) كان مربوطاً فى الدار فحمل عليه غرارتين ملأهما طعاماً، وحمل بينهما نفقة وثياباً، ثم ناولها بخطامه، ثم قال: اقتاديه، فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير.

فقال رجل: يا أمير المؤمنين أكثرت لها .

قال عمر:

ثكلتك أمُّك، والله إنى لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصناً زماناً

---

(١) أخرجه ابن سعد فى الطبقات (٣/ ٢٢٨، ٢٢٩). ورجاله ثقات.

فافتتحناه، ثم أصبحنا نستفيء سهماننا فيه[1].

وعند ابن الأثير في أسد الغابة بسنده عن قسامة بن زهير قال:

وقف أعرابي على عمر بن الخطاب فقال:

يا عُمَرَ الخير جُزِيتَ الجَنَّة   جَهِّزْ بُنَيَّاتي واكسُهنه

أقسمُ بالله لَتَفْعَلَنَّهْ

قال: فإن لم أفعل يكون ماذا يا أعرابي؟

قال: أقسم بالله لأمْضِيَنَّه.

قال: فإن مَضَيَت يكون ماذا يا أعرابي؟

والله عن حالي لَتُسْأَلَنَّهْ   ثُمَّ تكونُ المَسْألات عَنَّهْ

والواقفُ المسؤول بَيْنَهُنَّه   إمَّا إلى نارٍ وإمَّا جَنَّهْ

قال: فبكى عمر حتى أخضلت لحيته بدموعه، ثم قال: يا غلام، أعطه قميصي هذا، لذلك اليوم لا لشعره، والله ما أملك قميصاً غيره![2]

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رحمه الله إلى حَرَّة، واقم حتى إذا كنا بصرار، إذا نار تؤرث، فقال: يا أسلم،

---

(١) رواه البخاري رقم (٤١٦٠، ٤١٦١) في المغازي، باب غزوة الحديبية.

(٢) أخرجه ابن الأثير في أسد الغابة (٤/ ١٥٥) بسند صحيح، والخبر في مناقب عمر لابن الجوزي وغيره.

إنى أرى هؤلاء ركباً قصر بهم الليل والبرد، انطلق بنا، فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم، فإذا امرأة معها صبيان لها، وقِدْر منصوبة على النار، وصبيانها يتضاغوْن فقال عمر: السلام عليكم يا أصحابَ الضَّوء - وكره أن يقول: يا أصحاب النار - قالت: وعليك السلام .

قال: أأدنو؟ قالت: أدنُ بخير أو دَعْ، فدنا فقال: مابالُكم ؟ قالت : قصّر بنا الليل والبرد، قال: فما بال هؤلاء الصبية يتضاغوْن ؟ قالت : الجوع .

قال: وأى شيء فى هذه القِدْر ؟ قالت: ماء أسكتهم به حتى يناموا، الله بيننا وبين عمر! قال: أى رحمك الله، ما يُدرى عمر بكم ؟! قالت: يتولى أمرنا، ويغفل عنَّا ! فأقبل علىّ فقال: انطلق بنا، فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق، فأخرج عِدْلاً فيه كُبّة شحم فقال: احمله علىّ! فقلت: أنا أحمله عنك، قال: احمله على مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك أقول : أنا أحمله عنك، فقال لى فى آخر ذلك : أنت تحمل عنى وزرى يوم القيامة ؟! لا أمَّ لك، فحمّلته عليه، فانطلق، وانطلقت معه نهرول، حتى انتهينا إليها، فألقى ذلك عندها، وأخرج من الدقيق شيئاً، فجعل يقول لها: ذُرّى علىّ ، وأنا أحرِّك لك، وجعل ينفخ تحت القدر- وكان ذا لحية عظيمة - فجعلتُ أنظر إلى الدخان من خَلَل لحيته حتى أنضج وأدُمَ القِدرُ، ثم أنزلها، وقال: ابغنى شيئاً فأتته بصحفة فأفرغها فيها، ثم جعل

يقول: أطعميهم، وأنا أسطّح لك، فلم يـزل حتى شبعوا، ثم خلّى عندها فضل ذلك، وقام وقمت معه، فجعلت تقول: جزاك الله خيراً، أنت أولى بهذا الأمـر من أمير المؤمنين! فـيقول: قولى خـيراً، إنك إذا جئت أمـير المؤمنين، وجدتنى هناك إن شاء الله.

ثم تنحى ناحية عنها، ثم استقبلها وربَض مربض السّبعُ، فجعلت أقول له: إن لك شأناً غير هذا، وهو لا يكلمنى حتى رأيت الصبية يصطرعون ويضـحكون، ثم ناموا، وهدؤوا، فـقام، وهو يحـمد الله. ثم أقـبل علىّ فقال:

يا أسلم إن الجوع أسـهرهم وأبكاهم، فأحببـت ألا أنصرف حتى أرى ما رأيت منهم[1]

* وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قدم علينا عمر بن الخطاب رضوان الله عليه حـاجاً فصنع له صفـوان بن أمية طعاماً قـال: فجاؤوا بجفنة يحملها أربعة، فوضعت بين القوم فأخذ القوم يأكلون، وقام الخدام فـقال عـمر: مـالى أرى خـدامكم لا يأكلون معـكم، أترغبـون عنهم ؟ فقال: سفيان بن عبد الله: لا والله يا أمير المؤمنين، ولكننا نستأثر عليهم، فغضب غضباً شديداً، ثم قال: مالقوم يستأثرون على خدامهم ؟ فعل الله بهم وفعل، ثم قـال: للخُدّام اجلسـوا، فكلوا، فقعـد الخدام يأكلون، ولم

(١) تاريخ الطبرى (٥٦٨ / ٢) بسند رجـاله رجال الصحـيح، وأخرجه عبـد الله بن الإمام أحمد (٣٨٢) فى الفضائل.

يأكل أمير المؤمنين[١].

الله أكبر . . والله ليس لنا من قول أمام هذا الموقف إلا أن تقول:

يا خالق عمر . . سبحانك.

* وعن سعيد بن جبير بسند رجاله ثقات:

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا أمسى أخذ دِرّته، ثم طاف بالمدينة، فإذا رأى شيئاً يُنكره أنكره، فبينما هو ذات ليلةٍ يَعُسُّ إذ مرّ بامرأةٍ على سطحٍ وهى تقول :

تطاول هذا الليل واخْضلَّ جانبه ... وأرَّقنى ألا خليلَ أُلاعبُهْ
فوالله لولا الله لا ربَّ غيرُهُ ... لحُرِّكَ من هذا السَّرير جوانبُه
مخافةُ ربى والحياءُ يَصُدُّنى ... وأُكرم بعلى أن تُنال مراكبُه

ثم تنفست الصعداء، وقالت: لهان على عمر بن الخطاب ما لقيت الليلة، فضرب باب الدار، فقالت: من هذا الذى يأتى إلى امرأةٍ مُغِيبَةٍ (غاب زوجها) هذه الساعة ؟!

فقال: افتحى، فأبت، فلما أكثر عليها قالت: أما والله لو بلغ أمير المؤمنين لعاقبك، فلما رأى عفافها، قال افتحى فأنا أمير المؤمنين.

قالت: كذبت ما أنت أمير المؤمنين، فرفع بها صوته، وجهر لها،

---

(١) أخرجه البخارى فى« الأدب المفرد» (٢٠١)، وقال الألبانى فى صحيح الأدب (١٤٨): صحيح الإسناد.

فعـرفت أنه هو، ففتـحت له فقال: هيه كـيف قلت ؟ فأعادت عليـه ما قالت، فقال: أين زوجك ؟

قالت: في بَعْـثَ كذا، وكذا، فـبعث إلى عامـل ذلك الجند أن سرح فلان بن فلان، فلما قدم عليه، قال: اذهب إلى أهلك.

ثم دخل على حفصة ابنته فقال: أي بُنَيَّه كم تصبر المرأة عن زوجها؟

قالت: شهراً واثنين، وثلاثة، وفي الرابع يَنفَدُ الصبر، فجعل ذلك أجلاً للبعث[1].

طاعون عمواس

عن عبد الله بن عباس: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشـام، حتى إذا كان بـسَرْغ [2] لقـيـه أمراء الأجنـاد ـ أبو عبـيـدة بن الجراح، وأصحابه ـ فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام.

قال ابن عباس : فقال عمر: ادْعُ لي المهاجرين الأولين ، فدعاهم، فاستـشارهم، وأخبرهم أن الوباء قـد وقع بأرض الشام، فاختلفـوا: فقال بعضهم قـد خرجنا لأمر، ولا نرى أن تقدمهـم على هذا الوباء. فقال :

---

(١) أخرجه عبـد الرزاق، والبيهقي (٢٩١٩)، والخبر في الطبقات الكبـرى لابن سعد، روضة المحبين لابن القيم (٢٥٢ـ ٢٥٣) ط ابن كثير . سوريا.

(٢) سرغ: مدينة افتتحها أبو عبيـدة ،وهي اليرموك والجابية متصلات، وبينها وبين المدينة ثلاث عشرة مرحلة .

ارتفعوا عنى، ثم قال: ادعوا لى الأنصار فدعوهم، فاستشارهم، فسلكوا سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم فقال: ارتفعوا عنى، ثم قال: ادعُ لى من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم فلم يختلف منهم عليه رجلان، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس، ولا تقدمهم على هذا الوباء. فنادى عمر فى الناس: إنى مُصَبِّحٌ على ظهر، فأصبحوا عليه. فقال أبو عبيدة بن الجراح: أفراراً من قدر الله ؟ فقال عمر: لو غيرُك قالها يا أبا عبيدة، نعم نفرُّ من قدر الله إلى قدر الله[1]. أرأيت إن كانت لك إبلٌ هبطت وادياً له عُدْوتان[2]: إحداهما خصيبة، والأخرى جَدْبة ! أليس إن رعيت الخصيبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟

قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف ـ وكان متغيباً فى بعض حاجته ـ فقال: إن عندى فى هذا علماً، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض، وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه**».

---

(١) قال الحافظ فى الفتح: فى رواية هشام بن سعد« إن تقدمنا فبقدر الله، وإن تأخرنا فبقدر الله » وأطلق عليه فراراً لشبهه به فى الصورة، وإن كان ليس فراراً شرعياً، والمراد أن هجوم المرء على ما يهلكه منهى عنه ولو فعل لكان من قدر الله وتجنبه ما يؤذيه مشروع، وقد يقدر الله وقوعه فيما فر منه، فلو فعله أو تركه لكان من قدر الله، فهما مقامان: مقام التوكل، ومقام التمسك بالأسباب اهـ (١٠/ ٢٢٨).

(٢) عُدوتان: تثنية عدوة، وهو المكان المرتفع من الوادى، وهو شاطئه.

قال : فحمد الله عمرُ ، ثم انصرف[١].

عزل خالد بن الوليد رضى الله عنه

قال الله عز وجل : **﴿يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً﴾**.

والحق أن الله تعالى قد أفاء على عمر بن الخطاب رضى الله عنه من الفهم والحق والحكمة بما لم ينله أحدٌ فى الأمة بعد نبيها وصديقها ، حتى قال النبى ﷺ : « **إن الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه**».

ومن ثم لم تكن قرارات عمر رضى الله عنه موضع ريبة أو شك على الإطلاق، لأن صاحبها قد بلغ من الإيمان والورع والزهد والاستقامة والإخلاص، والصدق والأمانة مبلغاً زكاه الله الذى يعلم من خلق وزكاه المصطفى الذى لا ينطق عن الهوى .

وخالد بن الوليد رضى الله عنه رجل حرب من المهد إلى اللحد، وسيف من سيوف الله سَلَّهُ الله على الكافرين والمجرمين بحيث لم يهزم بإذن الله فى معركة قط .

ومن أسخف الظنون أن يُظنَّ أن فاروق الأمة العادل الأواب قد عزل

(١) رواه البخارى رقم (٥٧٢٩) فى الطب، باب ما يُذكر فى الطاعون.

خالد بن الوليد رضى الله عنه لـضغينة فى نفس عمر أو لبغـضاء قديمة كانت بينه وبين خالد إلى آخر هذه الدعـاوى الباطلة ،والأخبار المكذوبة المبثوثة فى كتب التاريخ .

فوالله إنى لأُبرئُ منها آحاد المؤمنين الصادقين، فكيف بالفاروق القوى الأمين المُزكّى من رب العـالمين ،وسـيـد المرسلين ﷺ، والعـجـيب أن الفاروق نفسه رضى الله عنه قد بين سبب عزله لخالد بجلاء ووضوح، فقال: « إنى لم أعزل خالداً عن سخطة ولا خيانة ولكن الناس فتنوا به فخـفت أن يوكلوا إليه، فأحـببت أن يعلمـوا أن الله هو الصانع، وأن لا يكونوا بعرض فتنة» [1].

وما أجمل وأعـذب كلماته التى ودَّع بها عُمـر بن الخطاب خالد بن الوليد يوم موته، رحم الله أبا سـليمان . . ما عند الله خيرٌ مما كـان فيه . . لقد عاش حميداً . . ومات سعيداً .

والعجـيب أن عمـر لم ينس خالداً رضى الله عنه حـتى وهو على فراش الموت، لما قيل له لو عهدت يا أمير المؤمنين فقال :

لو أدركت أبا عـبيدة ثم ولـيته، ثم قـدمت على ربى فقـال لى لم استخلفته لقلت: سمعت عبدك وخليلك يقول: لكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح ،ولو أدركت خالد بن الوليد ثم وليته ،

---

(١) تاريخ الطبرى (٢/ ٤٩٢) .

فقـدمت على ربى لقلت : سمعـت عبدك وخليلك يقـول : خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سَلَّه الله على المشركين .

رضى الله عنهما وصلى الله على من رباهما !!

* * *

تدوين الدواوين

أخرج ابن سعد فى الطبقات بإسناد حسن :

عن أبى هريرة رضى الله عنه: أنه قـدم على عمر من البحـرين، قال أبو هريرة: فلقيـته (أى عمـر بن الخطاب) فى صلاة العشـاء الآخرة ، فسلمت عليه فسألنى عن الناس، قال: هل تدرى ما تقول ؟ قلت: جئت بخمسمائة ألف درهم، قال: ماذا تقول؟

قال: قلت: مائة ألف، مائة ألف، مائة ألف، مائة ألف، مائة ألف حتى عددت خمساً .

قال: إنك ناعس فارجع إلى أهلك فَنَمْ، فإذا أصبحت فأتنى .

فقال: أبو هريرة : فغدوت إليه ، فقال: ماذا جئت به ؟

قلت: جئتُ بخمسمائة ألف درهم، قال: أطيّبٌ ؟

قلت: نعم لا أعلم إلا ذلك.

فقـال للناس: إنه قـد قدم علينا مـال كثـير، فإن شـئتم أن نعـدّ لكم عدداً، وإن شئتم أن نكيله لكم كيلاً.

فقال له رجل: يا أمير المؤمنين إنى قد رأيت هؤلاء الأعاجم يدونون ديواناً يعطون الناس عليه .

قال: فدون الديوان، وفرض للمهاجرين الأولين في خمسة آلاف، وللأنصار في أربعة آلاف، ولأزواج النبي ﷺ في إثني عشر ألفاً أ. هـ[١].

قال الطبري[٢] :

ولما أراد عمر وضع الديوان، قال له عليّ، وعبد الرحمن بن عوف : ابدأ بنفسك، قال: لا، بل أبدأ بعم رسول الله ﷺ، ثم الأقرب فالأقرب، ففرض للعباس، وبدأ به، ثم فرض لأهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف، ثم فرض لمن بعد بدر إلى الحديبية أربعة آلاف، ثم فرض لمن بعد الحديبية إلى أن أقلع أبو بكر عن أهل الردة ثلاثة آلاف في ذلك من شهد الفتح، وقاتل عن أبي بكر، ومن ولي الأيام قبل القادسية ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف، ثم فرض لأهل القادسية، وأهل الشام ألفين ألفين، وألحق بأهل بدراً أربعة من غير أهلها الحسن، والحسين، وأبا ذر، وسلمان، وكان فرض للعباس خمسة وعشرين ألفاً، وأعطى نساء النبي ﷺ عشرة آلاف عشرة آلاف، إلا من أجرى عليها الملك، فقال نسوة رسول الله ﷺ: ما كان رسول الله ﷺ يفضلنا عليهن في القسمة فسوِّ بيننا، ففعل، وفضل عائشة بألفين لمحبة رسول الله ﷺ إياها فلم تأخذ.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٢٧، ٢٢٨)، بإسناد حسن.
(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٤٥٢) بتصرف.

كتابة التاريخ

قال الطبرى :

أول من كتب التأريخ عمر بن الخطاب، لسنتين ونصف من خلافته، فكتب لست عشرة من الهجرة، بمشورة على بن أبى طالب .

أما سبب كتابة التاريخ، يقول ابن الجوزى:

ذلك أن أبا موسى الأشعرى كتب إلى عمر: إنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ فقال بعضهم: أرخ لمبعث رسول الله ﷺ، وقال بعضهم أرخ لمهاجر رسول الله ﷺ .

فقال عمر: لا بل نؤرخ لمهاجر رسول الله ﷺ، فإن مهاجره فرق بين الحق، والباطل[1].

وقال ميمون بن مهران :

رفع إلى عمر صك محله فى شعبان، فقال عمر: أى شعبان ؟ الذى هو آت، أو الذى نحن فيه ؟ قال: ثم قال لأصحاب النبى ﷺ: ضعوا للناس شيئاً يعرفونه به، فاجتمع رأيهم على أن ينظروا كم أقام رسول الله بالمدينة، فوجدوا عشر سنين، فكتب التاريخ من هجرة رسول الله ﷺ.

(١) أخرجه ابن سعد فى الطبقات (٣/ ٢١٣) ، والطبرى فى تاريخه (٢/ ٤٧٦)، والحاكم (٣/ ١٤) ، وقال صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبى .

قال ابن الجوزى :قال ابن سيرين:

قام رجل إلى عمـر فقال: أرخوا، فـقال عمر: مـا أرخوا ؟ قال: شىء تفعله الأعـاجم يكتبـون فى شهـر كذا فى سنة كذا، قـال عمـر: حسن فأرخوا، فقال: من أى السنين نبدأ ؟ فقـالوا: من مبعثه، وقالوا من وفاته، ثم اجمـعوا على الهـجرة، ثم قـال: فبـأى الشهـور نبدأ ؟ فقـالوا: من رمضـان، ثم قالوا: المحـرم فإنه منصرف الناس من حـجهم، وهو شـهر حرام، فأجمعوا على المحرم أ. هـ.[1]

* * *

(١) المنتظم لابن الجوزى (٤/ ٢٢٧).

فتح بيت المقدس

قال ابن كثير :

لما فرغ أبو عبيدة من دمشق كتب إلى أهل إيليا يدعوهم إلى الله، وإلى الإسلام أو يبذلون الجزية، أو يؤذنوا بحرب، فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه.

فركب إليهم فى جنوده، واستخلف على دمشق سعيد بن زيد، ثم حاصر بيت المقدس، وضيق عليهم حتى أجابوا إلى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فكتب إليه أبو عبيدة بذلك فاستشار عمر الناس فى ذلك، فأشار عثمان بن عفان فإن لا يركب إليهم ليكون أحقر لهم، وأرغم لأنوفهم.

وأشار على بن أبى طالب بالمسير إليهم ليكون أخف وطأة على المسلمين فى حصارهم بينهم، فَهَوَ ما قال علىّ، ولم يهو ما قال عثمان، وسار بالجيوش نحوهم، واستخلف على المدينة على بن أبى طالب، وسار العباس بن عبد المطلب على مقدمته، فلما وصل إلى الشام تلقاه أبو عبيدة ورؤوس الأمراء، فترجل أبو عبيدة، وترجل عمر فأشار أبو عبيدة ليقبل يد عمر فهمّ عمر بتقبيل رجل أبى عبيدة فكف أبو عبيدة ، فكف عمر.

ثم سار حتى صالح نصارى بيت المقدس، واشترط عليهم إجلاء الروم إلى ثلاث ، ثم دخلها إذ دخل المسجد من الباب الذى دخل منه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء، ثم جاء إلى الصخرة فاستدل على مكانها من كعب الأحبار، وأشار عليه كعب أن يجعل المسجد من ورائه فقال : ضاهيت اليهودية، ثم جعل المسجد فى قبلى بيت المقدس، وهو العمرى اليوم، ثم نقل التراب عن الصخرة فى طرف ردائه وقبائه، ونقل المسلمون معه أ.هـ[1].

و أخرج الإمام أحمد:

قال عمر بن الخطاب لكعب حين دخل بيت المقدس: أين ترى أن أصلى ؟

قال: إن أخذت عنى صليت خلف الصخرة، وكانت القدس كلها بين يديك.

فقال عمر: ضاهيت اليهودية لا، ولكن أصلى حيث صلى رسول الله ﷺ، فتقدم إلى القبلة، فصلى، ثم جاء فبسط رداءه، وكنس الكناسة فى ردائه، وكنس الناس[2].

وأخرج ابن أبى الدنيا عن أبى الغالية الشامى قال:

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٥٢، ٥٣).

(٢) رواه الإمام أحمد رقم (٢٦١)، وقال الحافظ ابن كثير: وهذا إسناد جيد.

قدم عمـر بن الخطاب الجابية على طريق إيليـا على جمل أورق، تلوح صلعـته للشـمس ليس عليه قلنسـوة، ولا عمـامة، تصطفق رجـلاه بين شعبتى الرحل بلا ركاب وطاؤه كـساء انبجانى ذو صوف، هو وطاؤه إذا ركب، وفراشه إذا نزل، حقيـبته نمرة، أو شملة محشوة ليف، هى حـقيبته إذا ركب ووسادته إذا نزل، وعليه قمـيص من كرابيس(ثوب خشن) قد رسم، وتخرق جنبه.

فقال: ادعوا لى رأس القوم، فدعوا له الجلومس، فقال: اغسلوا قميصى وخيطوه، وأعيرونى ثوباً، أو قميصاً.

فأتى بقميص من كتان، فقال: ما هذا ؟

قالوا: كتان.

قال: وما الكتان ؟

فأخبـروه، فنزع قميصـه، فغسل ورقع وأتى به فنزع قمـيصهم، ولبس قميصه .

فـقال له الجلومس: أنـت ملك العرب، وهذه البـلاد لا تصلح لهـا الإبل، فلو لبسـت شيئـاً غير هذا، وركـبت برذوناً لكان ذلك أعظم فى أعين الروم.

فقال: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فلا نطلب بغير الله بديلاً.

فأتى ببرذون فطرح عليه قطيفة بلا سرج ولا رحل، فركبه بها فقال :

احبسوا احبسوا: ما كنت أرى الناس يركبون الشيطان قبل هذا، فأتى بجمله فركبه .أ.هـ[1].

* * *

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٥٧) .

عام الرمادة

قال ابن الجوزي :

وذلك أن الناس، أصابهم جدب، وقحط، وجوع شديد حتى جعلت الوحش تأوى إلى الإنس، وكانت الريح تسفى تراباً كالرماد، فسمى ذلك العام، عام الرمادة، وكان الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها، وإنه لمعسر.

فآلى عمر ألا يذوق سمناً ، ولا لبناً ، ولا لحماً حتى يحيى الناس، وإن غلاماً لعمر اشترى عكة من سمن ورطباً من لبن بأربعين ، ثم أتى بهما عمر، فقال عمر رضى الله عنه: تصدق بهما فإنى أكره أن آكل إسرافاً، كيف يعنينى شأن الرعية إذا لم يمسسنى ما مسهم أ.هـ[1].

فجمع عمر رضى الله عنه الناس للاستسقاء، وأخذ معه العباس عم رسول الله ﷺ.

ثم قال: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا، فالآن نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا[2].

ثم طلب من العباس أن يدعوا الله، فقام العباس فقال:

---

(١) المنتظم (٤/ ٢٥٠).
(٢) رواه البخارى رقم (١٠١٠) فى الاستسقاء ، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا.

اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بى إليك لمكانى من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث، فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس .

قال الحافظ فى الفتح (٢/ ٦٣٢):

وذكر ابن سعد، وغيره أن عام الرمادة كان سنة ثمان عشرة، وكان ابتداءه مصدر الحاج منها، ودام تسعة أشهر، والرمادة بفتح الراء، وتخفيف الميم، سمى العام بها لما حصل من شدة الجدب، فأغبرت الأرض جداً من عدم المطر اهـ.

والتوسل الذى عناه عمر رضى الله عنه هو الذى وضحه حديث أنس ابن مالك خادم رسول الله ﷺ. والحديث فى الصحيحين: إن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان نحو دار القضاء، ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً، ثم قال: يا رسول الله ﷺ هلكت الأموال، وانقطعت السُّبل فادع الله يغيثنا قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: « **اللهم أغثنا اللهم أغثنا** » ثلاثاً .

قال أنس: والله ما نرى فى السماء من سحاب ، ولا قزعة، وما بيننا وبين سلع فى بيت، ولا دار.

قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء

انتشرت، ثم أمطرت.

قال أنس: والله ما رأينا الشمس سبتاً أى أسبوعاً.

قال أنس: ثم دخل رجل من ذلك الباب فى الجمعة المقبلة ورسول الله قائم فاستقبله قائماً، فقال: يا رسول الله هلكت الأموال، وانقطعت السُّبل، فادع الله يمسكها عنا.

قال أنس: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: «**اللهم حوالينا، ولا علينا، اللهم على الآكام[1]، والظِراب[2]، وبطون الأودية، ومنابت الشجر**» فانقلعت، وخرجنا نمشى فى الشمس[3].

فالتوسل معناه: طلب الدعاء، فلما مات النبى ﷺ عدل عمر رضى الله عنه فتوسل بالعباس عم النبى ﷺ أى طلب منه أن يدعوا الله أن يغيثهم، وهذا هو أحد أنواع التوسل المشروع، ألا وهو طلب الدعاء من الحى الصالح.

---

(١) الآكام: جمع أكمه، وهى دون الجبل وأعلى من الرابية.

(٢) الظِراب: واحدها ظرب، وهى الروابى الصغار.

(٣) رواه البخارى رقم (١٠١٣) فى الاستسقاء، باب الاستسقاء فى المسجد الجامع، ومسلم رقم (٨٩٧) فى صلاة الاستسقاء، باب الدعاء فى الاستسقاء.
قال النووى فى شرح مسلم:
وفيه أدبه ﷺ فى الدعاء، فإن لم يسأل رفع المطر من أصله، بل سأل رفع ضرره وكشفه عن البيوت والمرافق والطرق، بحيث لا يتضرر ساكن ولا ابن سبيل، وسأل بقاءه فى مواضع الحاجة بحيث يبقى نفعه وخصبه، وهو بطون الأودية، وغيرها من المذكور أ.هـ.

إشارات لقتله شهيدا
وطلبه الشهادة رضي الله عنه

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ صعد أحداً، ومعه أبو بكر وعمر، وعثمان ، فرجف فضربه برجله، وقال: « **اثبت أحد،فما عليك إلا نبى ،وصديق، وشهيدان**»[1].

ورأى رسول الله ﷺ على عمر ثوباً غسيلاً فقال: « **أجديد ثوبك هذا أم غسيل؟**»

قال: غسيل يا رسول الله . قال: «**البس جديداً ،وعش حميداً ،وتوف شهيداً ،ويعطيك الله قرة عين فى الدنيا، والآخرة**»[2].

وفى صحيح البخارى:

أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال:

أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ فى الفتنة؟

قال حذيفة: أنا أحفظ كما قال: قال: هات، إنك لجرىء، قال رسول

---

(١) رواه البخارى (٣٦٧٥) فى الفضائل، باب قول النبى لو كنت متخذاً خليلاً، وأبو داود رقم (٤٦٥١) فى السنة، باب ما جاء فى الخلفاء، والترمذى رقم (٣٦٩٧) فى المناقب، باب مناقب عثمان بن عفان رضى الله عنه، وقال :حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٨٨)، والنسائى فى اليوم والليلة (٣١١) ،وابن ماجة رقم (٣٥٥١)، والطبرانى (١٣١٢٧). وقال الشيخ شاكر إسناده صحيح .

الله ﷺ: فتنة الرجل فى أهله، وماله، وجاره تكفرها الصلاة، والصدقة، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر. قال: ليست هذه، ولكن التى تموج كموج البحر.

قال: يا أمير المؤمنين لا بأس عليك منها، إن بينك وبينها باباً مغلقا.

قال: يُفتح الباب أو يُكسرَ ؟ قال: لا، بل يكسر، قال: ذلك أحرى أن لا يغلق[١].

قال النووى: يحتمل أن يكون حذيفة علم أن عمر يقتل، ولكنه كره أن يخاطبه بالقتل لأن عمر كان يعلم أنه الباب فأتى بعبارة يحصل بها المقصود بغير تصريح بالقتل أهـ.

وفى البخارى من حديث زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر رضى الله عنه قال: « اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك، واجعل موتى فى بلد رسولك»[٢].

وعن سعيد بن المسيب قال:

لما صدر عمر من منى أناخ بالأبطح، ثم كوم كومة من البطحاء، ثم ألقى عليها نفسه فلزق بثوبه، واستلقى، ومد يده إلى السماء فقال:

اللهم ضعفت قوتى، وكبرت سنى، وانتشرت رعيتى، فاقبضنى إليك

---

(١) رواه البخارى رقم (٣٥٨٦) فى المناقب.
(٢)رواه البخارى رقم (١٨٩٠) فى فضائل المدينة.

غير مضيع ،ولا مفرط، ثم قدم المدينة ، فخطب فقال :

أيها الناس: إنى قد سننت لكم السنن، وفرضت لكم الفرائض، وتركتكم على واضحة إلا أن تضلوا بالناس يميناً، وشمالاً . . .

قال سعيد: فما انسلخ ذو الحجة، حتى قتل عمر(1).

وعن معدان بن أبى طلحة العمرى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قام على المنبر يوم جمعة، فحمد الله ، وأثنى عليه، ثم ذكر النبى ﷺ وذكر أبا بكر رضى الله عنه، ثم قال:

رأيت رؤيا لا أراها إلا بحضور أجلى، ورأيت ديكاً نقرنى نقرتين، فقصصتها على أسماء بنت عميس فقالت: يقتلك رجل من العجم.

قال: وإن الناس يأمروننى أن استخلف، وإن الله عز وجل لم يكن ليضيع دينه، وخلافته التى بعث بها نبيه ﷺ ، وأن يعجل فى أمر، فإن الشورى فى هؤلاء الستة الذى مات نبى الله وهو عنهم راض ، فمن بايعتم منهم فاسمعوا له وأطيعوا، وإنى أعلم إن ناساً سيطعنون فى هذا الأمر أنا قاتلتهم بيدى هذه على الإسلام، أولئك أعداء الله ، الضلال الكفار، وإنى أشهد الله على أمراء الأمصار إنى إنما بايعتهم ليعلموا

---

(1) أخرجه مالك (٢/ ٨٢٤ / ١٠)، وابن أبى الدنيا فى مجابوا الدعوة (٩)، وأبو نعيم (١/ ٥٤)، والحاكم (٣/ ٩١) انظر المطالب العالية رقم (٤٣١٧).

الناس دينهم، ويبينوا لهم سنة نبيهم ﷺ، ويرفعوا إلىّ ما عمى عليهم .

قال: فخطب الناس ، وأصيب يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذى الحجة[١] .

الكلب يطعن الأسد فى عرينه !!

فى البخارى ،وغيره عن عمرو بن ميمون قال:

رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه قبل أن يصاب بأيام بالمدينة، ووقف على حذيفة بن اليمان، وعثمان بن حنيف قال: كيف فعلتما ؟

أتخافان أن تكونا حمَّلْتما الأرض مالا تطيق[٢] ؟

قالا: حملناها أمراً هى له مطيقة، ما فيها كبير فضل.

قال: انظرا أن تكونا حملتما الأرض مالا تطيق .

قالا: لا.

فقال عمر: لئن سلمنى الله لأدَعنَّ أرامل أهل العراق لا يَحْتجن إلى

---

(١) رواه أحمد فى المسند رقم (١٦٨، ٣٦٢) مختصراً ورواه مسلم ،وأبو يعلى (٢٥١) واللالكائى (٢٥٤٠)، وابن حبان (٣/ ٤٠٣)، والحاكم (٣/ ٩٠ ـ٩١)، والبيهقى (٨/ ١٥٠)، وابن سعد (٣/ ٢٥٥) .

(٢) الأرض المشار إليها هى أرض السواد، وكان عمر بعثهما يضربان عليها الخراج، وعلى أهلها الجزية .

رجلٍ بعدى أبداً ،قال: فما أتت عليه إلا رابعة حتى أصيب. قال: إنى لقائم ما بينى، وبينه إلا عبد الله بن عباس[1] غداة أصيب - وكان إذا مَرَّ بين الصفين قال: استووا، حتى إذا لم ير فيهم خللاً تقدم فكبَّر، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك فى الركعة الأولى حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبَّر فسمعته يقول: قتلنى أو أكلنى - الكلب، حين طعنه[2]، فطار العِلجُ بسكين ذات طرفين، لا يمر على أحد يميناً، ولا شمالاً إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجلٌ من المسلمين طرح عليه برنساً، فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه، وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدَّمه [3]،

(١) قال الحافظ فى الفتح : وفى رواية أبى إسحاق عن عمرو بن ميمون : شهدت عمر يوم طعن، فما منعنى أن أكون فى الصف الأول إلا هيبته، وكان رجلاً مهيباً، وكنت فى الصف الذى يليه ،وكان عمر لا يكبر حتى يستقبل الصف المقدم بوجهه، فإن رأى رجلاً متقدماً من الصف أو متأخراً ضربه بالدرة، فذلك الذى منعنى منه اهـ فتح البارى(٧/ ٧٧).

(٢) قال الحافظ: روى ابن سعد بإسناد صحيح إلى الزهرى قال: كان عمر لا يأذن لسبى قد احتلم فى دخول المدينة، حتى كتب المغيرة بن شعبة ،وهو على الكوفة يذكر له غلاماً عنده صانعاً، ويستأذنه أن يدخله المدينة، ويقول: إن عنده أعمالاً تنفع الناس، إنه حداد نقاش نجار، فأذن له ، فضرب عليه المغيرة كل شهر مائة، فشكى إلى عمر شدة الخراج، فقال له: ماخراجك بكثير فى جنب ما تعمل، فانصرف ساخطاً، فلبث عمر ليالى ، فمر به العبد فقال : ألم أحدث أنك تقول لو أشاء لصنعت رحى تطحن بالريح؟ فالتفت إليه عابساً فقال: لأصنعن لك رحى يتحدث الناس بها، فأقبل عمر على من معه فقال : توعدنى العبد ، فتح البارى (٧/ ٧٨).

(٣) أى للصلاة بالناس.

فمن يلى عمر فقد رأى الذى أرى ،وأما نواحى المسجد فإنهم لا يدرون غير أنهم قد فقدوا صوت عـمر، وهم يقولون : سبحان الله ، فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة .

وفى رواية : فظن عـمر أن له ذنباً إلى الـناس لا يعلمه، فـدعا ابن العباس ـ وكان يحبه ويدنيه.

فقال : أحب أن تعلم عن ملأ من الناس كان هذا؟ فخرج لا يمر بملأ من الناس إلا، وهم يبكون، فكأنما فقدوا أبكار أولادهم، قال ابن عباس: فرأيت البشر فى وجهه.

قال: فلما انصرفوا قال: يا ابن عباس ، انظر من قتلنى. فجال ساعة ثم جاء فقال : غلام المغيرة. قال : الصنع؟ قال: نعم. قال : قاتله الله ، لقد أمرت به معروفاً، الحمـد لله الذى لم يجعل ميتتى بيد رجل يدَّعى الإسـلام، قد كنـت أنت وأبوك تحبـان أن تكثـر العلوج بالمدينة، وكـان العباس أكثرهم رقيقاً. فقال : إن شئت فعلت ـ أى إن شئت قتلنا.

قال: كذبت، بعدما تكلموا بلسانكم، وصَلُّوا قبلتكم، وحجوا حجكم؟ فانطلقنا معه.

وفى رواية: ثم غلب عمر النزف حتى غشى عليه ،فاحتملته فى رهط حتى أدخلته بيته فلم يزل فى غشيته حتى أسفر فنظر فى وجوهنا فقال: أصلى الناس ؟ فقلـت: نعم، قال: لا إسلام لمن ترك الصـلاة، ثم توضأ

وصلى.

قال: وكأن الناس لم تُصبْهم مصيبة قبل يومئذ، فقائل يقول: لا بأس، وقائل يقول: أخاف عليه، فأتى بنبيذ[1] فشربه فخرج من جوفه، ثم أوتى بلبن فشربه فخرج من جرحه، فعلموا أنه ميت، فدخلنا عليه، وجاء الناس، فجعلوا يثنون عليه، وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك، وصحبة رسول الله ﷺ، وقدمٍ فى الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة. قال: وددت أن ذلك كفافٌ لا علىَّ ولا لى.

فلما أدبر إذا إزاره يمسُّ الأرض، قال: رُدوا علىّ الغلام. قال: يا ابن أخى، ارفع ثوبك، فإنه أبقى لثوبك، وأتقى لربك.

وفى رواية : قال ابن عباس: وإن قلت ذلك فجزاك خيراً، أليس قد دعا رسول الله ﷺ أن يعز الله بك الدين والمسلمين إذ يخافون بمكة، فلما أسلمت كان إسلامك عزاً، وظهر بك الإسلام، وهاجرت فكانت هجرتك فتحاً، ثم لم تغب عن مشهد شهده رسول الله ﷺ من قتال المشركين، ثم قُبض وهو عنك راضٍ، ووازرت الخليفة بعده على منهاج رسول الله ﷺ فضربت من أدبر بمن أقبل، ثم قبض الخليفة وهو عنك راضٍ، ثم وليت بخير ما ولى الناس : مَصَّرَ الله بك الأمصار، وجبَا بك

(١) قال الحافظ فى الفتح: المراد بالنبيذ المذكور تمرات نبذت فى ماء ، أى نقعت فيه، كانوا يصنعون ذلك لاستعذاب الماء .

الأموال، ونفى بـك العدو، وأدخل بك على أهل بيت من سـيوسـعهم دينهم وأرزاقهم، ثم ختم لك بالشهادة، فهنيئاً لك.

فقال: والله إن المغرور من تغرونه. ثم قال : أتشهد لى يا عبد الله عند الله يوم القيامة ؟

فقال : نعم. قال : اللهم لك الحمد.

قال : قـال عمر : يا عـبد الله بن عمر، انـظر ما علىّ من الدَّين ، فحسـبوه فوجدوه سـتة وثمانين ألفا أو نحـوه. قال: إن وفى له مال آل عمر فـأده من أموالهم، وإلا فسل من بنى عدى بن كـعب ، فإن لم تف أموالهم فـسل فى قريش، ولا تَعْـدُهم إلى غيرهم، فـأد عنى هذا المال. انطلق إلى عائـشة أم المؤمنين فقل: يقـرأ عليك عمـر السلام ـ ولا تقل أمير المؤمنين، فإنى لست اليوم للمؤمنين أمـيراً ـ وقل : يستأذن عمر بن الخطاب أن يُدفن مع صاحبـيه، فسلم فاستأذن، ثم دخل عليـها فوجدها قاعدة تبكى. فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسى، ولأوثرنه به اليوم على نفسى .

فلمـا أقبل قـيل: هذا عبـد الله بن عمـر قد جـاء. قال: ارفعـونى : فأسنده رجلٌ إليـه فقال: مالديك ؟ قال: الذى تحب يا أمـير المؤمنين، أذنت، قـال: الحمـد لله، مـا كان من شـيئ أهمَّ إلىَّ من ذلك، فـإذا أنا قضيت احملونى، ثم سلمْ فقل: يسـتأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لى

فأدخلونى، وإن ردتنى ردُّونى إلى مقابر المسلمين، وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء تسير معها، فلما رأيناها قمنا، فولجت[١] عليه، فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال فولجت داخلاً لها، فسمعنا بكاءها من الداخل، قالت: يا صاحب رسول الله ﷺ، يا صهر رسول الله ﷺ، يا أمير المؤمنين.

فقال عمر: لا صبر لى على ما أسمع، أحرج عليك بمالى عليك من الحق أن تندبينى بعد مجلسك هذا، فأما عينيك فلن أملكها.

قال: فقالوا: أوصى يا أمير المؤمنين، استخلف.

قال: ما أجدُ أحق بهذا الأمر من هؤلاء الرهط النفر - أو الرهط - الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ: فسمىَّ علياً وعثمان، والزبير وطلحة، وسعداً، وعبد الرحمن[٢]، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر، وليس له من الأمر شىء - كهيئة التعزية له - فإن أصابت الإمرة سعد فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أُمِّر، فإنى لم أعزله عن عجز ولا خيانة، وقال: أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين، أن

---

(١) أى دخلت عليه.

(٢) قال الحافظ فى الفتح(٧/ ٨٤): واقتصار عمر على الستة من العشرة لا إشكال فيه لأنه منهم، وكذلك أبو بكر، ومنهم أبو عبيدة، وقد مات قبل ذلك، أما سعيد بن زيد فهو ابن عم عمر فلم يسمه عمر فيهم مبالغة فى التبرى من الأمر، وقد صرح المداينى بأسانيده، أن عمر عد سعيد بن زيد فيمن توفى النبى ﷺ وهو عنه راض، إلا أنه استثناه من أهل الشورى لقرابته منه، وقد صرح بذلك المداينى بأسانيده، قال: « فقال عمر: لا أرب لى فى أموركم فأرغب فيها لأحد من أهلى » اهـ.

يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيراً، الذين تبوءوا الدار والإيمان[1] من قبلهم، أن يقبل من محسنهم، وأن يُعفى من مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً، فإنهم رِدْءُ الإسلام (أى عون الإسلام الذى يدفع عنه)، وغيظ العدو (أى يغيظون العدو بكثرتهم وقوتهم) ، وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم (أى إلاما فضل عنهم) . وأوصيه بالأعراب خيراً، فإنهم أصلُ العرب، ومادة الإسلام ، أن يؤخذ من حواشى أموالهم (أى التى ليست بخيار) ، ويرد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله، وذمة رسوله ﷺ (أى أهل الذمة) أن يوفى لهم بعدهم، وأن يقاتل من وراءهم، ولا يكلفوا إلا طاقتهم»[2].

فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشى، فسلم عبد الله بن عمر قال: يستأذن عمر بن الخطاب، قالت: أدخلوه، فأدخل فوضع هنالك مع صاحبيه.

وفى مسند الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

أنا أول من أتى عمر حين طعن، فقال: احفظ عنى ثلاثاً، فإنى أخاف أن لا يدركنى الناس، أما أنا فلم أقْض فى الكلالة قضاء، ولم استخلف على الناس خليفة ، وكل مملوك له عتيق.

---

(١) أى سكنوا المدينة قبل الهجرة.

(٢) رواه البخارى رقم (٣٧٠٠) فى فضائل أصحاب النبى ﷺ، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وفيه مقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

فقال له الناس: استخلف، فقال: أى ذلك أفعل فقد فعله من هو خير منى: إن أدع الناس أمرهم، فقد تركه نبى الله عليه السلام، وإن استخلف فقد استخلف من هو خير منى، أبو بكر.

فقلت له: أبشر بالجنة، صاحبت رسول الله ﷺ فأطلت صحبته، ووليت أمر المؤمنين فقويت وأديت الأمانة.

فقال: أما تبشيرك إياى بالجنة فوالله لو أن لى الدنيا بما فيها، لافتديت به من هول ما أمامى قبل أن أعلم الخبر، وأما قولك فى أمر المؤمنين، فوالله لودِدْتُ أن ذلك كفافاً لا لى ولا علىّ، وأما ما ذكرت من صحبة نبى الله ﷺ فذلك[1].

قال الذهبى: قال ابن عمر:

كان رأس عمر فى حجرى، فقال: ضع خدى على الأرض، فوضعته فقال: ويلٌ لى وويل أمى إن لم يرحمنى ربى »[2].

الله أكبر ... يا خالق عمر سبحانك !!

(١) رواه أحمد فى المسند رقم (٣٢٢) ، وقال الشيخ أحمد شاكر: اسناده صحيح.
(٢) سيرة الخلفاء للذهبى (٩٤) ، والخبر فى الطبقات (٣/ ٢٧٤). وإسناده صحيح.

ثناء الصحابة عليه
رضي الله عنه

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

وضع عمر على سريره، فتكنفه الناس يدعون، ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم - فلم يَرُعْنى إلا رجلٌ آخـذ منكبى، فإذا على بن أبى طالب، فتـرحم على عـمر وقـال: ما خلَّفت أحـداً أحب إلىّ أن ألقى الله بمثل عـمله منك، وأيم الله إن كنت لأظن أن يجـعلك الله مع صـاحبـيك، وحسبت أنى كثـيراً أسمع النبى ﷺ يقول: ذهبت أنا، وأبو بكر، وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر، وعمر»[1].

وعن عائشة رضى الله عنها قالت :

لما قـبض النبى ﷺ ارتدت العـرب قاطبـة، واشـرأب القوم ، وعـاد أصحاب محمد ﷺ كأنهم معزى طيرت فى حش، فوالله ما اختلفوا فى لفظة إلا طار أبى بفنائها، ثم ذكرت عمر، فقالت: ومن رأى عمر علم أنه خلق غناء الإسلام، ثم قـالت: كان والله أحوذياً، نسيج وحـده، قد أعد للأمـور أقـرانها، مـا رأيت مـثل خلقـه، حـتى تعـد سبع خـصـال لا أحفظها[2].

---

(1) رواه البـخارى رقم (٣٦٨٥) فى فـضـائل أصـحاب النبى ﷺ، باب منـاقب عمـر بن الخطاب، ومسلم رقم (٢٣٨٩) فى فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر بن الخطاب.
(2) المطالب العالية لابن حجر : (٤٢٩٧). بسند حسن.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال:

أكثروا ذكر عمر، فإنكم إذا ذكرتموه ذكرتم العدل، وإذا ذكرتم العدل ذكرتم الله تبارك وتعالى(١).

*وعن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبى (على بن أبى طالب) : أى الناس خير بعد رسول الله ﷺ ؟ قال: أبو بكر . قلت : ثم من؟ قال: عمر، وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت ؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين(٢).

*** وفى الطبقات : قال أبو وائل رحمه الله :**

قدم علينا عبد الله بن مسعود فنعى إلينا عمر، فلم أر يوماً كان أكثر باكياً، ولا حزيناً منه، ثم قال: والله لو أعلم عمر كان يحب كلباً لأحببته(٣). ولما مات عمر بكى سعيد بن زيد فقيل ما يبكيك؟قال: لا يبعد الحق أهله، اليوم يهى أمر الاسلام، وقيل له: ما يبكيك ؟ قال: على الإسلام أبكى إن موت عمر ثلم الإسلام ثلمة لا ترتق إلى يوم القيامة(٤)، وعن حذيفة رضى الله عنه: أنه قال يوم موت عمر: اليوم ترك المسلمون حافة الإسلام(٥).

---

(١) أسد الغابة (٤/ ١٥٣). بسند صحيح .

(٢) رواه البخارى رقم (٣٦٧١) فى فضائل أصحاب النبى ﷺ، باب قول النبى ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً، وأبو داود رقم (٤٦٢٩) فى السنة، باب فى التفضيل.

(٣، ٤، ٥) الطبقات لابن سعد (٣/ ٢٨٤).

قال أبو عبيدة يوماً وهو يذكر عمر: إن مات عمر رق الإسلام ، ما أحب لى ما تطلع عليه الشمس أو تغرب، وأن أبقى بعد عمر، قال قائل: ولم ؟ قال: سترون ما أقول إن بقيتم، فإن ولى وال بعد عمر فأخذهم بما كان عمر يأخذهم به لم يُطع له الناس بذلك ،ولم يحملوه ،وإن ضعف عنهم قتلوه[١] .

وعن حذيفة قال: كان الإسلام من زمن عمر كالرجل المقبل لا يزداد إلا قرباً، فلما قتل عمر رحمه الله ، كان كالرجل المدبر لا يزداد إلا بعداً [٢].

وعن أنس بن مالك أن أصحاب الشورى اجتمعوا فلما رآهم أبو طلحة، وما يصنعون قال: لأنا كنت لأن تدافعوها أخوف منى من أن تنافسوها، فوالله ما من أهل بيت من المسلمين إلا وقد دخل عليهم من موت عمر نقص فى دينهم، وفى دنياهم[٣] .

قال ابن الجوزى فى مناقب عمر (٢١٠):

قال عثمان بن عفان: إن عمر كان يمنع أهله ابتغاء وجه الله، وإنى أعطى أهلى، وأقربائى ابتغاء وجه الله، ولن تلقى مثل عمر، ولن تلقى مثل عمر. ولن نلقى مثل عمر !!

---

(١) الطبقات لابن سعد (٣/ ٢٨٤). بسند فيه الواقدى .

(٢،٣) الطبقات لابن سعد (٣/ ٢٨٥) ورجاله ثقات .

وقيل لعثمان: ألا تكون مثل عمر؟

قال : لا أستطيع أن أكون مثل لقمان الحكيم.

وقيل لعبد الله بن عباس: فما تقول فى عمر ؟

قال: رحمة الله على أبى حفص، كان والله حليف الإسلام، ومأوى الأيتام، ومحل الإيمان، ومنتهى الإحسان، ونادى الضعفاء، ومعقل الخلفاء، كان للحق حصناً، وللناس عوناً، قام بحق الله صابراً محتسباً حتى أظهر الدين، وفتح الديار، وذكر الله عز وجل على التلال والبقاع، وقوراً لله فى الرخاء والشدة، شكوراً له فى كل وقت، فأعقب الله من يبغضه الندامة إلى يوم القيامة[1].

ويقول العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه :

كنت جاراً لعمر بن الخطاب ، فما رأيت أحداً من الناس كان أفضل من عمر، إن ليله صلاة ،وإن نهاره صيام وفى حاجات الناس[2].

قال السيوطى: وقال معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما:

أما أبو بكر فلم يرد الدنيا ،ولم ترده، وأما عمر فأرادته الدنيا ،ولم يردها، وأما نحن فتمرغنا فيها ظهراً لبطن [3].

قال ابن الجوزى (٢١٦):

---

(١) الرياض النضرة (١/ ٣٥).

(٢) أخرجه السيوطى فى الحلية (١/ ٥٤)، ورجاله ثقات .

(٣) تاريخ الخلفاء ص ٤٦ .وقال السيوطى :أخرجه الزبير بن بكار فى الموفقيات .

وتقول الشفاء بنت عبد الله :

كان والله عمر إذا تكلم أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع، وهو الناسك حقاً.

ويقول الحسن البصرى : إذا أردتم أن يطيب المجلس، فأفيضوا فى ذكر عمر.

ويقول ابن الجوزى (٢١٦،٢١٧) قال ابن سيرين:

لم يكن أحد بعد رسول الله ﷺ أهيب لما لا يعلم من أبى بكر، ولم يكن أحد بعد أبى بكر أهيب لما لا يعرف من عمر .

وبعد هذه الرحلة الممتعة فى رحاب سيرة الفاروق العذبة . . يبقى السؤال : من أى طراز من البشر كان عمر ؟

ومن الذى رباه ؟ ومن أى المدارس تخرج ؟!!

والجوابُ الذى يزول به العجب هو أن الذى ربّاه هو المصطفى وكفى!!

لله درُّ ابن الخطاب . . أىُّ امرئٍ كان ؟!

* * *

فهرس الموضوعات